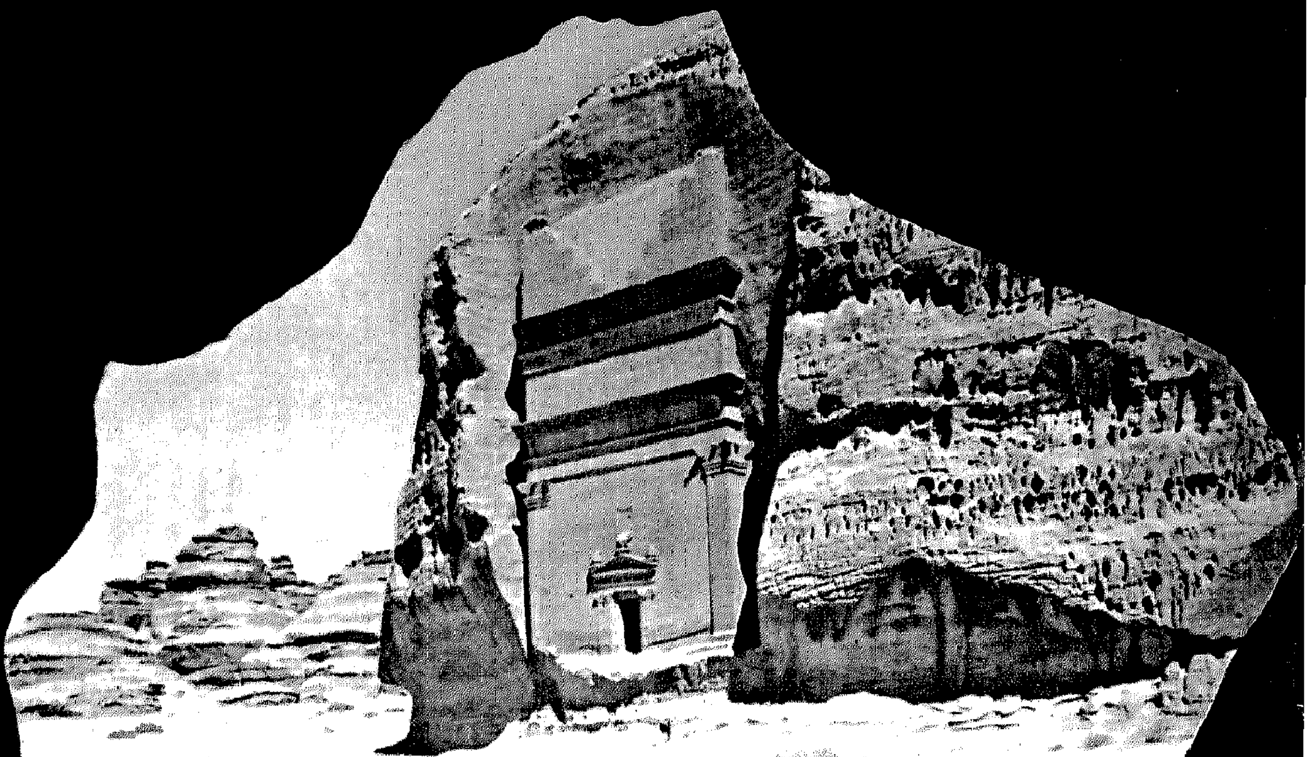
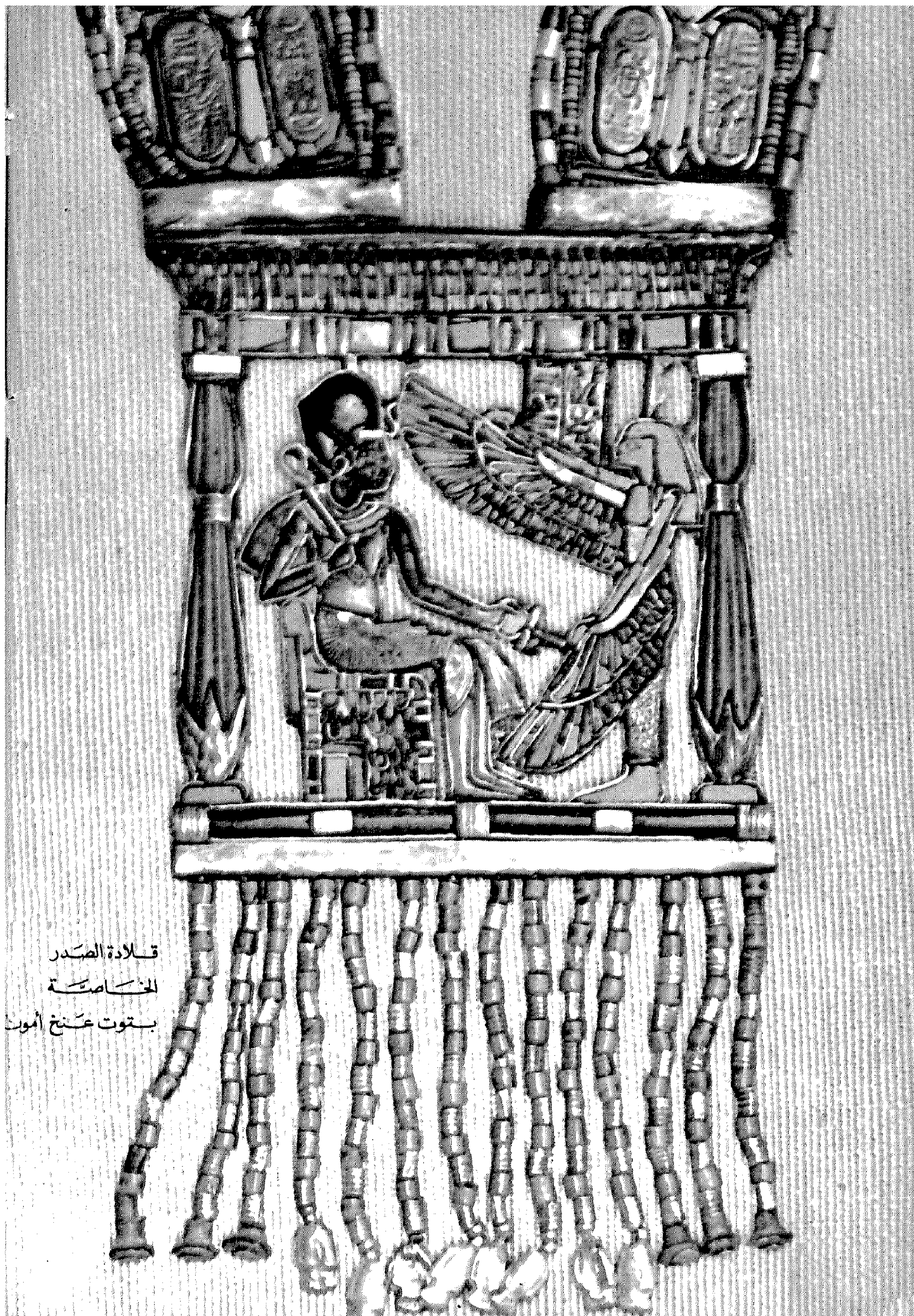
تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى - العدد الخامس - آذار «مارس» ١٩٧٩ - الموافق ربيع الثاني ١٣٩٩





قلادة الصدر
الخاصة
بتوت عنخ أمون

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد الخامس
آذار (مارس) ١٩٧٩
ربيع الثاني ١٣٩٩

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :
شركة سيغما للتصميم والطباعة
الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.
التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	مسقط : ٨٠٠ بيزة

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. : 346276
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
N°. 5 March 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

■ المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب وغيرهم. تراعي في الألقاب الصفات العلمية فقط.

في هذا العدد



مدائن صالح
في
جنوب الجزيرة العربية
«صورة الغلاف»
راجع موضوع د. نقولا زيادة
ص ٢١

■ المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت.

■ المواد الواردة إلى المجلة لا تردّ إذا لم تنشر.

■ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبّر بالضرورة عن اراء المجلة.



الاديبة التركية خالدة أديب
(من كتاب مذكرات خالدة أديب-لندن ١٩٢٦)

انطباعات الاديبة التركية خالدة اديب في لبنان وسوريا وفلسطين ١٩١٦-١٩١٧

د. احسان عباس

لا ريب في أن الكثيرين من الأحياء يعرفون شيئاً كثيراً عن دقائق الحياة أثناء تلك الحقبة التي تتحدَّثُ عنها خالدة أديب . في دمشق والجبل وبيروت : كانت الحرب الكبرى (الأولى) قد بدأت . وكان جمال باشا قد علّق المشانق للقوميين العرب . وكانت مذابح الأكراد والأرمن قد ملأت البلاد السورية بالمهاجرين والمشردين والأيتام . وشبح المجاعة المرعب أخذ يجوب الشوارع . . .

■ في تلك الغمرة أخذ جمال باشا يفكر في « تحديث » التعليم في سورية . وجعله على مستوى لائق ينافس ما كانت تتمتع به المدارس الفرنسية . التي أغلقها جمال باشا نفسه . من مستوى . فأرسل فالح رفقي بك برسالة إلى خالدة أديب يسألها فيها ان كانت تستطيع أن تقدّم العون في هذا السبيل إما بقدومها هي نفسها وإما بارسالها مدرّساتٍ يبدأن العمل هناك . لم يلبث جمال باشا ان شفع رسالته الأولى بأخرى أكثر تحديداً يطلب فيها إلى خالدة ان تجيء إلى سورية لدراسة الأوضاع ووضع خطة لانشاء مدارس كبيرة في دمشق وبيروت ولبنان . كان ذلك في صيف ١٩١٦ . ووجدت خالدة . التي لم تكن قد تجاوزت حدود الأناضول يومئذ . أنها فرصة سانحة للتعرف إلى بلاد لم ترها من قبل . فقبلت بالمهمة . وهي تظن انها سترسم الخطة التعليمية اللازمة . وتترك لغيرها تنفيذها . وكان

همها بعد أن وصلت صوفر – حيث مصيف جمال باشا وعائلته – أن تستشير بعض العارفين وتستنير بآرائهم حول التعليم، ثم توجهت إلى مدينة بيروت، حيث وضعت مخططاً للمدارس التي يمكن إنشاؤها، وعادت إلى دمشق، وقامت برحلة في الصحراء، وزارت القدس، وكانت هذه الزيارة الأولى «سياحيَّة الطابع» في أكثرها، كما تتحدث عنها في «مذكراتها».

انطباعات أولية عن بيروت

«كان الفقراء من السكان يبدون هزيلي الأجسام سيئي التغذية. غير أن نساء الطبقات الغنية كنَّ يطفن في عرباتهن أرجاء المدينة وهنَّ في أبهى حللهن وقد وضعن أصباغهن بدقة وإحكام. لم تكن المجاعة حينئذ قد بلغت ذروتها ولكن كانت نذرها قد بدأت، وكان رخاء الأثرياء يؤذي العيون.

زرنا جميع المدارس واذا شئنا الدقة قلنا ان لبنان وبيروت تملؤهما الأديرة الفرنسية والمدارس الدينية وغيرها من المؤسسات. كان أفق التعليم محدوداً، يتخذ في الأكثر دعاوة سياسية للفرنسيين. غير ان كل شيء كان يدرس بكلّ جهد وعناية وراء تلك الأسوار الديرية الحافلة بالأسرار.

أقمنا في فندق بسّول إزاء الميناء، وفيه أخذنا نعمل ونستقبل زائرينا، كما جعلنا من الفندق مركزنا الرئيسي – وهذا أتاح لي التعرف على (الكولونيل) فؤاد بك رئيس الأركان – وفي غضون اسبوعين تمّ اعداد التقرير.

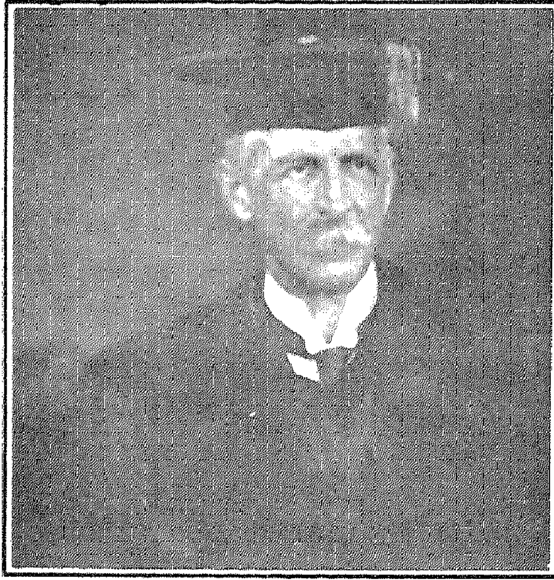
وكان فحوى التقرير في كلمات. «لا بد من أن تتوحد الجهود في بيروت ولبنان ودمشق فتنشأ مدرسة نظامية وكلية على أن تكون بيروت مركزاً للمدرسة النظامية. وستكون في كلّ من الولايات الثلاث مدرسة أولية نموذجية ذات ستة صفوف تعد الطلاب للكلية والمدرسة النظامية وستكون اللغات التي تعلم فيها هي التركية والعربية والفرنسية».

قصة الشهداء

«كان يعجبني في فؤاد بك نزاهته التي لا تتزعزع وكرهه للفساد. ولكن كان يقال عنه إنه ضعيف في السياسة، وانه شديد الطموح. طلبت اليه أن يخبرني عن اجراءات محكمة عاليه، وكان أهم ما أود معرفته هو: هل كان القوميون العرب يعملون لمجرد تغيير الحكم أو لنيل الاستقلال. فأسمعني وجهة نظر جمال باشا والحكومة دون وجهة نظره، لأني أعتقد انه هو نفسه كان أيضاً ضدّ الاعدام السياسي؛ قال: ان تحقيق النجاح هو غايتنا القصوى وانه لو لم تستعمل الحكومة شيئاً من الارهاب الجزئي لاضطر الجيش التركي أن يغادر سورية في الأشهر الأولى من الحملة. وحين تحدث عن القوميين العرب قال إنه يعتقد أن بعضهم كانوا وطنيين مخلصين. وقد حدثني عن موت أحدهم حديثاً لن أنساه، فقال: «جئت إلى بيروت يوم تنفيذ الحكم بالاعدام، وكان ذلك أمام السراي، حيث نصبت سلسلة من المشانق. وكان قد تمّ اعدام بعضهم. وكان فيهم واحد يتمشى بين المحكومين؛ كان ضابط احتياط يلبس قلبقاً. كان هادئاً وكأنما هو فوق مستوى الخوف من الموت. جلس على أحد المقاعد وظلّ يدخّن حتى حان دوره. اختار مشنقته، وأدار الأنشوطة حول عنقه وقال: ولدت عربياً وعملت من أجل العرب وها أنا أموت في سبيل العرب». تألمت لمقتل مثل هذا العربي العظيم حتى انني لم أسأل عن اسمه. غير ان السوريين يعرفونه ولا بدّ. لقد استولى عليّ خياله على نحو غريب. فكنت كلما مررت من أمام السراي أتوقف لحظة وألقي عليه تحية احترام. وكثيراً ما كنت أجلس – بعد عام – على شرفة دير الناصرة وأقول له في نفسي: إنني سأبذل كل ما في وسعي من جهد من أجل أطفال العرب أثناء اقامتي في سورية».



جمال باشا



هوارد بلس من كتاب «لكي تكون لهم حياة»

حفلة غنائية في دمشق

«في آخر ليلة قبل أن نغادر دمشق أقامت السيدات أمسية موسيقية على الطراز العربي. وكأنما كانت الحلوى والفواكهة اللذيذة ورقص النساء العربيات وغناؤهن أموراً لا تنتهي. وكانت المغنيات والراقصات يلبسن ثياباً أوروبية ضيقة... وعندما كاد الحفل ينتهي حدث هرج كثير. وقالت ربة البيت: «إنها آتية! إنها آتية! وأخيراً نجح تدبيري» قلت متسائلة: من هي؟ قالت هادية المطربة العربية الكبيرة؛ من أجلها يخرّب الرجال بيوتهم. هي حليلة موظف متقاعد أثرى باستغلال ظروف الحرب، لا يسمح لها أن تغني علناً ولكنه سمح لها هذه المرة تفضلاً إذ يعلم ان لا رجال هنالك».

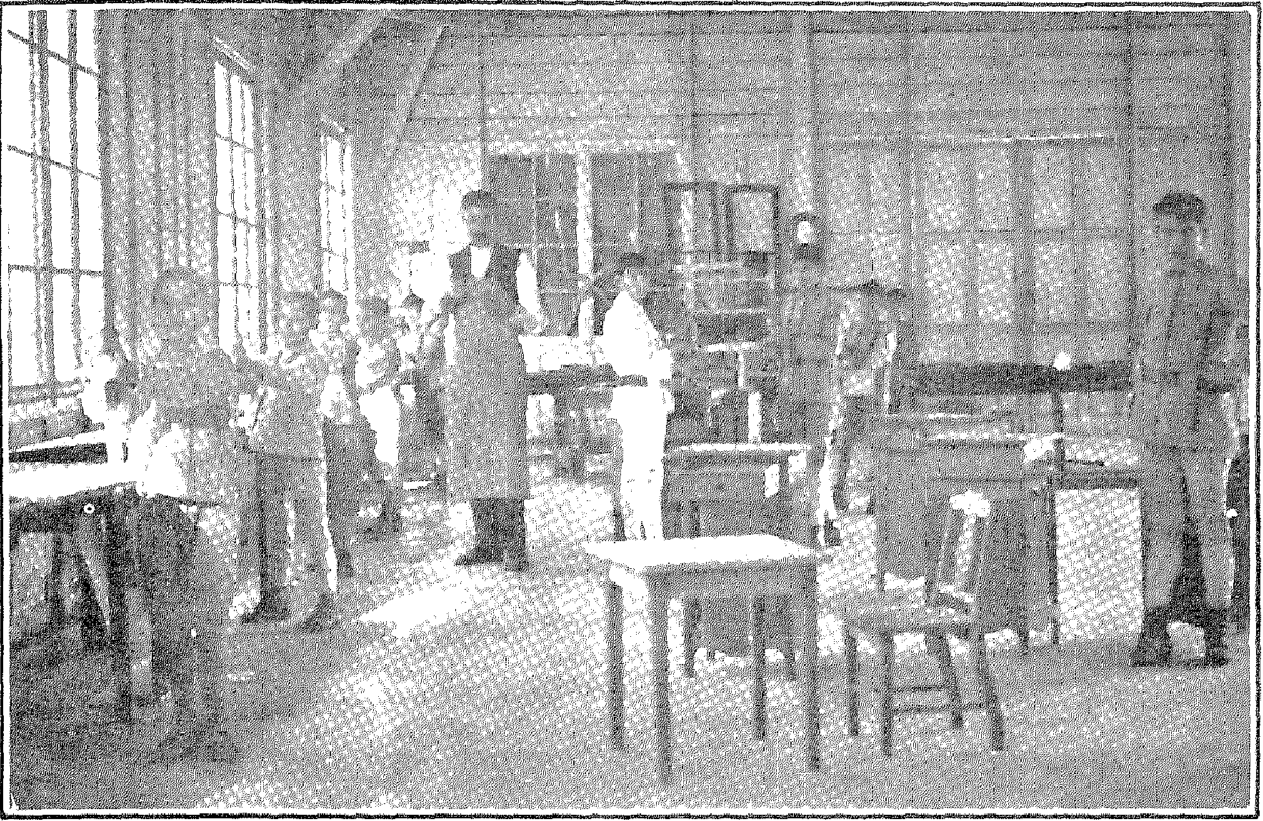
وجاءت... جاءت سافرة ترتدي ثياباً أوروبية. وكان لجسمها النحيل تلك القوة والحياة التي لا تستطيع أن يخفيها أي قدر من الملابس الأوروبية وانعدام الاصباغ، وكانت تتمتع بذلك المَيَد العربي النموذجي في خطراتها.

جلست السيدات من حولها وقدَّمْنَ لها الفواكهة: المشمش والعنب اللذيذين، من تلك الأنواع التي لا يحصل عليها المرء الا في دمشق. وكانت هادية ذات ابتسامة غريبة وعينين صافيتين ورأس صغير وشعر قد سُرِّحَ ببساطة وجمع في عقدةٍ عند العنق. وعلى نحو ما بدت أكثر أصالة بل أكثر نزاهةً من بعض السيدات اللواتي أثقلن أنفسهن بالجواهر والأصباغ، وبذلن جهدهن في تجميل أنفسهن محاولاتٍ الاحتفاظَ بأزواجهن. أما هادية فقد كانت «تدير» رؤوس كل الرجال الذين تلقاهم دون أن تبذل أي جهد من ذلك القبيل. كانت يداها الكبيرتان وأناملها الطويلة تتلاعب بالثروات، وتجعلها تنحدر عند أطرافها المستدقة عفواً دون عناء.

وبعد كثير من الالحاح والتحضيض. وذلك ما كانت تعده أمراً طبيعياً. أخذتْ تغني الأغنية البدوية:

إن كنتُ في الجيش أدعى قائد العلم
فانني في هواكم صاحب الألم
يا من تملكتم قلبي فكان لكم
عبداً وكنتُ لهذا العبد كالخدم

قوة الفن تتجاوز حدود البيئة. في ذلك الزيّ البسيط الذي يحاكى الأزياء الأوروبية، في



صف لتعليم مهنة النجارة في عينطورة

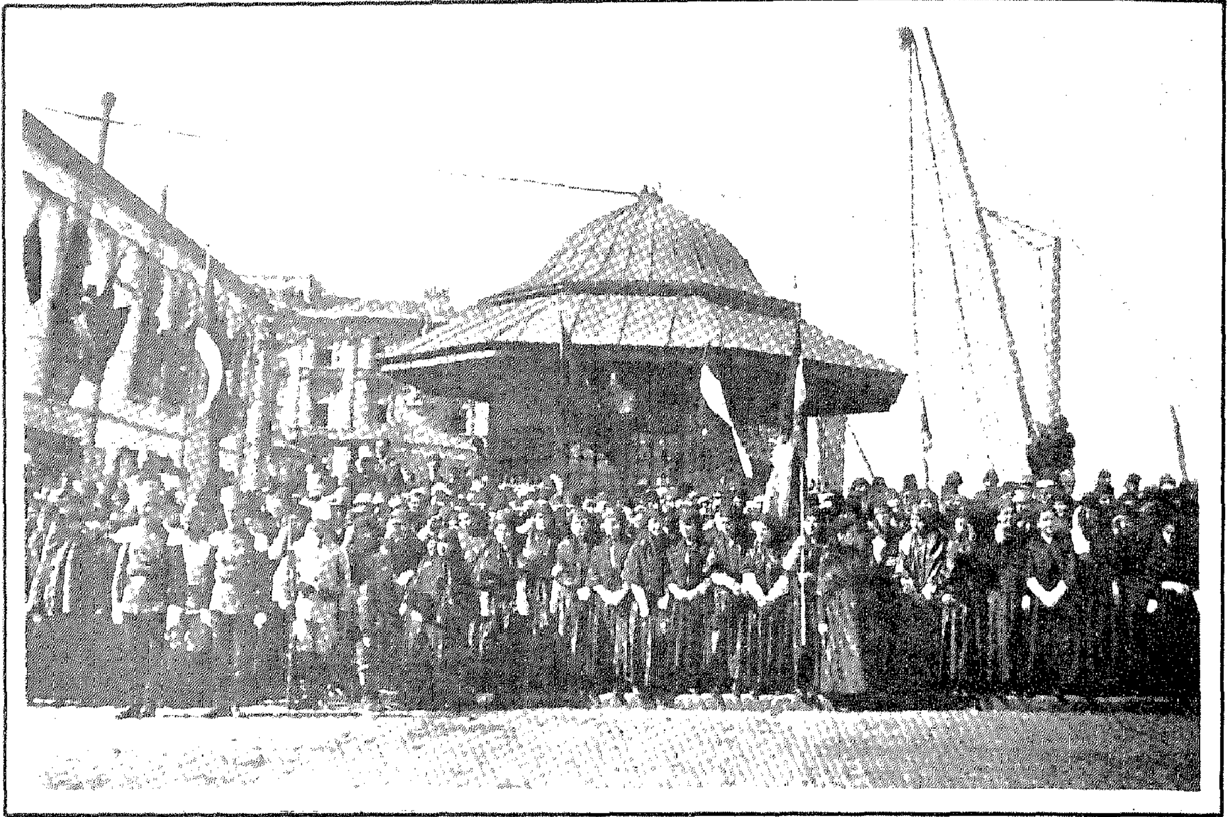
تلك الملابس الأوروبية الرخيصة السيئة التفصيل ، أدَّتْ هادية الأغنيةَ بروحِ العربية الحقِّ وعاطفتها ، كانت «المرنانية» في صوتها ذات درجة خفيفة لكنها صافية عميقة قوية تستطيع أن تستولي على النغمات العربية العاطفية حين تلفظ «يا ظالم» التي توجه إلى المحبوبة في الأغنية. وحين انتهت من أغنيتها أدركتُ مع الأخريات أننا كنا مأخوذات بجمال صوتها ، وتنفسنا الصعداء كما يفعل المرء إثرَ توترٍ أو إجهاد عاطفي.

لم تكن في ما يلوح للعين امرأةً جميلة ولكن كان لها «حضور» مشبوب لا تجد له تعليلاً. كانت تتنفسه. كانت تبثُّهُ من حولها على نحو يكاد يسوّغ ضعف الرجال وحماقتهم».

دار الأيتام في عينطورة

[قبل العودة إلى استانبول] «تحدثت ونحن في العربة إلى جمال باشا ، وكان حديثاً كاشفاً . قلت له : لقد كنتَ للأرمن نعم المعين ، قدر ما تسمح به هذه الأيام العصيبة ، فكيف ترضى أن يُسَمَّى أطفال الأرمن بأسماء إسلامية ؟ ذلك يبدو وكأنَّ الأرمن يتحولون إلى مسلمين ، يوماً ما سيثار التاريخ من ذلك في أشخاص الجيل التركي القادم».

فأجابني برزانة قائلاً : «أنت مثالية ، وككل المثاليين تفتقرين إلى استشعار الواقع . هل تعتقدين أنني أنفع قومي إذا حولت بضعَ مئات من أولاد الأرمن وبناتهم إلى الاسلام ؟ لقد رأيتِ أنت دورَ الأيتام الأرمنية في دمشق يديرها أرمن ولم يعد في تلك الدور مكان ، وليس هناك أموال لفتح دور جديدة. وهذه الدار [في عينطورة] اسلامية ، وهي وقف على أيتام المسلمين وأنا أرسل اليها كل طفل مشرد يأتي سورية من تلك المناطق التي حدثت فيها المأساة . فهي اليوم مليئة بالأكراد والأتراك. واذا سمعتُ بأطفال تائهين يكادون يموتون جوعاً أرسلتهم إلى عينطورة : عليّ أن ابقيهم على قيد الحياة. كيف ؟ ذلك ما لا أعبأ به. كل



النساء التركيات في القرنين الثامن والتاسع عشر

ما في الأمر أنني لا أستطيع أن أتحمل رؤيتهم يموتون في الشوارع ».

قلت له : « ومن بعد » ؟

قال : « تعنين من بعد الحرب ؟ بعد الحرب سيعودون كلٌّ إلى قومه . وأرجو الا يكون فيهم من لا يستطيع أن يعرف إلى أي شعب ينتمي » .

قلت : « لن يكون لي بهذه الدار أدنى صلة » .

فهز رأسه قائلا : « بل سيكون لك . انك حين ترينهم في بؤس وشقاء فانك ستذهبين اليهم دون أن تقفي كثيراً عند أسمائهم وأديانهم . انك تتحدثين وكأني آتي عملاً غير انساني . أنا آخذ الخبز من أفواه أيتام المسلمين الذين كان يمكن أن أنفق الأموال عليهم لو لم أقم برعاية هذا العدد الكبير من أطفال الأرمن » .

عاد جمال باشا فأرسل إلى خالدة يسألها ان تعود إلى سورية لتشرف على تنظيم المدارس ، ومن ضمنها مدرسة عينطورة التي كان عدد طلابها قد ارتفع إلى ثمانمائة . فقبلت بالاشراف على التنظيم ورفضت أن تكون مسؤولة عن دار الأيتام ، ووعدت أن تجد رجلاً كفؤاً يدير تلك الدار على أن تقوم هي بدور المفتش فيها . وكانت الخطة تقضي بأن تقام في بيروت كلية ومدرسة نظامية وان تفتح في لبنان ودمشق مدرستان أوليتان داخليتان تحوي كل منهما ستة صفوف على النظام الحديث . واختارت لهذه المدارس عدداً من طالباتها القدامى اللواتي تخرّجن في مدارس الأوقاف (باستانبول) وهكذا سافرت إلى سورية مع خمسين امرأة وبضعة رجال حوالي أواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦ .

إنشاء المدارس النظامية

« وصلنا بيروت مساء والمطر ينهمر . فأخذ مدير عينطورة الكتبة والمحاسبين (وهم من الرجال) إلى الفندق ، وذهبت مع المدرّسات الخمسين إلى

مدرسة البنات الأولية التي كانت تديرها أختي. وأخذ حكام بيروت ودمشق ولبنان يعاونون في إنجاز الخطة. وكان ذلك يعني بالنسبة لنا ست عشرة ساعة من العمل في اليوم، ولكن قبل نهاية كانون الثاني (يناير) ١٩١٧، كانت كل المدارس قد فتحت ووصل الطلاب وبدأ العمل فيها جميعاً.

وبدأت المدرسة النظامية والكلية التي كانت مشتركة بين الولايات الثلاث في دير الناصرة: بناية طويلة ذات ثلاثة جوانب تحتضن باحة عالية، تطلّ على مزارع البرتقال والموز وعلى نخلات طويلات في الباحات الدنيا وعلى الزرقة البديعة المديدة في مياه المتوسط. وكانت البناية من قبل تحتوي مدرسة دينية للبنات السوريات تديرها راهبات، كن هنالك حين وصلنا. ذهبت في صباح اليوم التالي إلى المدرسة، وكانت الغرف تبيّض وتنظف وتعدّ. فاستقبلتني رئيسة الراهبات وجالت معي في أرجاء المكان.

كان جمال باشا قد أعدّ للراهبات ديراً في القدس. وكان على رئيستهن الأخت فريج والثلاث اللواتي تحت ادارتها ان يرحلن. ولكني حين جلست اليها في غرفة الاستراحة البسيطة وجاءت راهبة تقدم لنا القهوة فكرت بتدبير أكفل به الاحتفاظ بالراهبات إلى جانبي... وفي خلال نصف ساعة توصلنا إلى تفاهم كامل. فقد رضيت الأخت فريج أن تبقى وأن تقوم بكل أعمال التدبير المنزلي... ولا أزال أذكر المحبة ونبرة الاخلاص في صوتها وهي تقول لي: «سنصلّي من أجل روحك يا بنيتي» ولا ريب في انهن كن يتذكرنني في صلواتهن اليومية في كنيستهن العجيبة».

...كانت امتحانات الدخول عملاً نشيطاً مثيراً فقد تقدم الينا ١٧٥ طلباً لملء عشرين مقعداً خالياً في الصفوف العليا. وكان أكثر المتقدمات بطلباتهن واللواتي ملأن المدرسة يأتين من لبنان وبيروت بالذات. أما طالبات دمشق فمن حسن الحظ ان معهد دمشق هو الذي كان يختارهن ويرسلهن الينا. وكان لبنان يرسل الينا بنات مسيحيات، وبيروت ترسل مسلمات ومسيحيات، بينما كانت الطالبات من دمشق جميعاً مسلمات. وحين ترجم الجسر أفندي المفتش العربي للتعليم العام أسئلة الامتحان إلى العربية ابتسم وقال لي: «لو كنت عربية لاتهمت بالقومية العربية ولقدمت إلى محكمة عاليه». أجل. بما أني كنت قومية مخلصة فقد كنت أرى ان من حق كل امرئ أن يعرف لغة بلده وثقافتها. والحق ان البنات وأكثرهن جئن من مدارس فرنسية لم يكن يعرفن شيئاً عن البلاد التي يعشن فيها، وكن يحتقرن لغتهن ويرينها في مستوى دون الفرنسية. ولهذا فان المدارس التي افتتحناها أخذت تعليم العربية مأخذ الجدّ الخالص.

... وسرعان ما افتتحنا صفوفاً لتدريس الخياطة واللغات وخاصة الفرنسية والتركية، وقد كانت قاعات الانتظار تكتظ بالنساء العربيات اللواتي كن حريصات على الانتظام في تلك الصفوف».

«دوماني» والزيّ الموّحد

«في هذه الأثناء جاء لمقابلتي رجل يدعى دوماني، أحضر معه نماذج من قماش محلي الصنع قابل للغسل والتنظيف بدا لي انه يصلح تمام الصلاحية ليتخذ زياً للطالبات. كان لديه معمل نسيج يفيد فيه من فضلات الحرير بسورية، وقدّم لنا القماش بسعر متهاود جداً مشترطاً أن يدفع له نصف ثمنه قمحاً. فوضعه الوالي عزمي بك تحت رعايته وزوّد جميع مدارسنا بذلك القماش العجيب من معمله. ولما عرفت تاريخ حياته من الأخت فريج أحسست بما يتجاوز السرور من أني عرّفته إلى عزمي بك: كان أبوه أغنى رجل في سورية، قد بدد كل ثروته في القمار، ومات وعليه دين ثقيل، فباع دوماني كل ما قدر عليه من ممتلكات، وسدد الديون وبدأ يشتغل عاملاً

بسيطاً . انه وأمه ، تلك المرأة النبيلة من كل وجه ، من بين أولئك الذين أكنُّ لهم عميق الاحترام » .

تحسّن الأوضاع في عينطورة

« في الوقت نفسه لم أكن راضية عن مجرى الأمور في عينطورة . حقاً انني عيَّنْتُ لها مديراً ومساعدين في أول أسبوع من كانون الثاني (يناير) ولكن المكان كان من القذارة والبؤس على درجة لا تصدق . فقد كان ما يزيد عن خمسمائة طالب من بين الثمانمائة ، مرضى ، ولم يكن هناك أي نظام ، وكانت هيئة المستخدمين تتألف من بضع نسوة طيّبات لكن تعوزهن الكفاية وبضعة رجال وستة عساكر يفترض فيهم أن يقوموا ببعض الأعمال . ولهذا أبدى النساء والرجال غاية الفرح حين رأوا ان هيئة جديدة كبيرة قد وصلت . كان كل طفل وكل سرير وكل جزء في الأثاث تعلوه الحشرات الطفيلية ، وكان معظم الأطفال مصابين بمرض في الفم . بل إن الأطفال انفسهم بدوا في مظهرهم وتصرفاتهم مثل الوحوش البرية ، وقد صدمت الموظفين الجدد الرائحة والقذارة والضجيج ومناظر التعاسة . وطلب المدير الجديد (لطفي بك) على التوّ مراجل وألقى فيها كل ما يمكن غَلْيُهُ ، وأخذ في تعقيم الأثاث والمكان كله لأن التيفوس كان في أسوأ الأمراض الوبائية السائدة في سورية . ووصل طبيب جديد (اسمه لطفي أيضاً) من الجبهة وعمل الأعاجيب لانشاء مستشفى مقبول ولتحسين الأوضاع الصحية ، فأبيدت الحشرات ، وأزيلت الأوساخ والقاذورات ، ولكن بدا لي في زياراتي الاسبوعية للمدرسة ان التحسن كان بطيئاً أو معدوماً .

وقد أخذ وهن العزيمة يستولي على المدير ، إذ أرعبه التردّي الخلقي الذي كان يعانيه الطلاب ، فقد كان بينهم قلة من الكبار الأصحاء يسيطرون على المكان كله . وقد أخبرني أنهم يأخذون خبز الصغار ويبيعونه في القرية ، ويقامرون بكلّ سبيل ويأتون أموراً أخرى لا يمكن التحدث عنها . فتحدثت إلى أولئك الطلاب (الكبار) والى المعلمين ومكثت بعض الوقت أرقب الأمور وأخيراً قررت أن آتي إلى المدرسة بنفسي وأبدأ فيها العمل ، ذلك ان مدرسة دير الناصرة كانت قد بدأت في جميع فروعها بداية حسنة ، وكانت في أيد أمينة ، ولهذا كان في استطاعتي أن أغيب عنها بعض الوقت .

ولما بلغ وهن العزيمة حدّه الأقصى لدى المدير قرّر مبارحة المدرسة مع عدد من معلميها ، وقبل الدكتور لطفي (الطبيب) ان يكون مديراً للمدرسة ، وكان تعييناً ذا بركة على تلك المؤسسة ، فأبرقتُ إلى المركز بدمشق وأعلمتهم بما تمّ من تغيير وشرعت في العمل .

بدأت عملي بالذهاب إلى غرفة الطعام لأرى تلك المحنة الفظيعة التي تسمى تغذية الأطفال والتي روَّعت المدير السابق وهيئة التدريس . كانت غرفة الطعام تتألف من ثلاث قاعات كبيرة واسعة جداً . تفضي إحداها إلى الأخرى . وقد احتشد فيها ٤٥٠ طالباً لتناول وجباتهم ، ومعظمهم يبدون وكأن المصحة أَليقُ بهم . ويقف على الباب جنديان ومع كل منهما كيس مملوء بالخبز يوزعانه على الأطفال لدى دخولهم ، بينما تحاول المشرفة مقبولة خانم مع بعض الاساتذة سكب الحساء لهم .

وقبل أن يتكامل عدد الأطفال في القاعة بدأ ضجيج صاخب وعراك . ذلك منظر يجدرُ بطلاب علم الانثروبولوجيا رؤيته لأنه يصور الصراع الرهيب من أجل البقاء بين أحطِّ أنواع « الحيوانات » . كان الأولاد الأقوياء يخطفون الخبز من الضعفاء ، وهؤلاء بدورهم يناضلون ليحتفظوا به لأنفسهم . كان عراكاً شرساً ترى فيه جميع الأطفال يتصارعون ويتشاجرون ويبكون ويصرخون . حاول محاسب المدرسة وهو رجل قوي أن يعيد النظام بعصاه فلم يفلح ، وكان بعض الأطفال ما يزالون مطروحين أرضاً ، والمشرفة قد

جرحت والدم يسيل من يديها وعنقها. ويبدو ان هذا أسوأ ما كانوا يستطيعون عمله. ولهذا سررتُ أن أرى الأمر يبلغ حده. وان كان يملأ المرء أسىً لا قبل له بالتعبير عنه وهو يرى سرعة انهيار الطبيعة الانسانية في ظروف البؤس والتعاسة».

«كانت خطتي أن أبدأ توّاً فأجعل الأولاد يحيكون ويعملون في النجارة ويصنعون الأحذية أي أن ألقي بهذه الكتلة الضخمة من الطلاب الكبار في حومة العمل وأن أجعلهم يحققون الاكتفاء الذاتيّ إلى حدّ ما. وفي الليلة الأولى. وبعد أن عملت حتى الثانية عشرة في مكتبي – وكان يقع في الطابق الأول – تجوّلت بهدوء في أرجاء المدرسة. كانت الدهاليز مليئة بالأولاد الكبار الذين يضحكون ويتحدثون مع الجنود العرب الذين يفترض فيهم القيامُ بالحراسة. وكانت غرف النوم في حالة زريّة، يتكدس فيها الكبار والصغار معاً. وعدت في الثانية إلى غرفتي وأضفت ملاحظات أخرى لما أنوي أن أقوم به.

كانت إحدى النساء الاستانبوليات اللواتي قررن البقاء تحسن الخياطة. واستدعيت عدة نساء من القرية، بدأن مع البنات الكبيرات يحضرن الملابس والفراش للصغار. طلبت من الادارة أن ترسل نجاراً ماهراً وصانع أحذية ومديراً ينظم فرقة نحاسية واحضرت اثنين من مهرة النساجين وبضعة أنوالٍ بسيطة للبدء بنسج الأغزال في قماش. فوصل «المعلّمون» في خلال ثلاثة أيام واختاروا الأولاد الكبار الذين لا بدّ منهم في تسيير العمل وبدأوا يعملون بنشاط بالغ. والفضل في سرعة إرساء قواعد النظام يعود لحدٍّ كبير إلى هؤلاء الأولاد الكبار وهم الذين كانوا في البداية متدهورين يصعب التعامل معهم. وقد كانت لي معهم أحاديث جدية. ومن خلال الاتصال الشخصي اخترت أيضاً كل من أريده لأغراض أخرى عدا النسيج والنجارة.

وعند نهاية الأسبوع كانت غرف نوم الصغار قد أعدت بفرشها الجديد، وكانت ملابسهم وجانب كبير من أحذيتهم قد أعدت كذلك. وقد خصصت لكل عشرة أطفال صغار (من ذكور وإناث دون السابعة) مشرفة (أَبْلَة) أي «أختاً» من بين البنات الكبار ترعاهم وتعينهم في اللبس والاغتسال والذهاب إلى الصفوف... وأول يوم سار فيه كل عشرة إلى حمام مع المشرفة كان يوماً لا ينسى، فلما استحم أول عشرة وارتدوا ملابسهم التي كان يحلو النظر اليها، جلسوا على «بنك» في قاعة الاستحمام ومالوا برؤوسهم بعضهم إلى بعض، وناموا، وعلى وجوههم سمات سعادة لم أكن أظنها تتأتي لهم. وحين خرج كل عشرة مع مرافقتهم مهندمين مسرحين نظيفين، فان المدرسة كلها التي نزلت لترقب هذا التغير وقفت تشهدهم وهم يمرّون وقد تملكها شيء يشبه الرهبة. في تلك الليلة ذهبتُ ثلاث مرات إلى حجر النوم لأرقبَ الصغار وهم نائمون.

وعند ختام شهرين كان كل الطلاب قد اتخذوا ملابسَ جديدة، وأحذية جديدة وكلها من صنعهم، وأصبحت حجرات نومهم نظيفة مرتبة. وقد صنع النجارون الشبان ثلاثمائة سرير خشبي وكانوا آخذين في صنع «اسكملات»... وكان برنامج التعليم المقسم إلى خمسة صفوف يطبق بكليته. وكان للأولاد أيضاً مشرفون، فلكل خمسة وعشرين منهم «شاويش» وتلك مرتبة تشريف، ولقد سرّوا باعتبارهم زملاء عمل مع الاساتذة ولهذا كان كل «شاويش» يحاول أن يبقي جماعته في أحسن تدريب. ان بركة العمل والنظافة والاهتمام بالألعاب والموسيقى جعلتهم في حالة مزاجية أحسن، حتى لقد أصبح الانسجام العام بين الطلاب مدهشاً. تذكرت الأيام الأولى حين كان الطلاب الأرمن والأكراد يكادون يمزقون حلوق بعضهم بعضاً يومياً، وشعرت بالامتنان لهذا التغير السريع. ثمة طالبان كرديان أصبحا خير نساجين هذا ان نفساهما هما اللذان جاءاني في خلال

الاسبوع الأول من مقامي بعينطورة ورأساهما ملفوفان بالضمادات. وقالا بلسانٍ واحد:

– نريد اذناً لنذهب إلى دمشق.

– من أجل ماذا؟

– نريد أن نقتل الأرمن.

– ولمَ؟

– لأن الأرمن قتلوا آباءنا وهم يضربوننا يومياً.

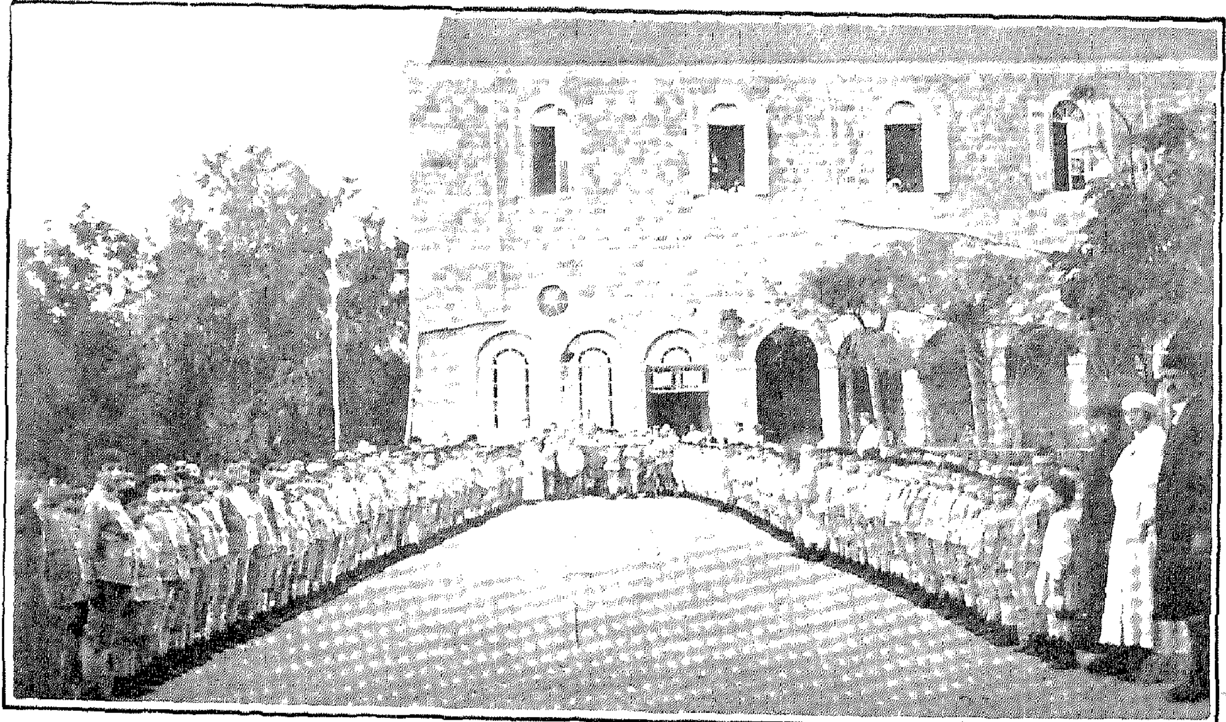
– ولكن ليس هؤلاء الأولاد هم الذين قتلوا آباءكم. ثم ان آباءهم هم أيضاً قتلهم ناس آخرون. لكن اخبراني كيف أصبتما بهذه الجروح في رأسيكما؟

أرسلتهما إلى المستشفى وقلت لهما عليكما أن تؤجلا الذهاب إلى دمشق بعض الوقت، ومما أحببته فيهما أنهما رغم ما كان يملأ صدريهما من كراهية للأرمن. أبيا أن يذكرا أسماء من جرحوهما. هذان الولدان أصبحا هما الذين ينسجان كلَّ ملابس رفاقهما. يذهبان ويجيئان في وداعة الحمل».

لم أكن آمل في أن أسمع الضحك في عينطورة. كان جلّ ما أسعى اليه أن أقلل من الدموع ومن المرضى. ومع ذلك رأيت أرجلاً قوية ووجوهاً تطفح بالحيوية. وكثيراً ما كنت أسمع ضحكاً وأصوات حبور. ان روح المودة النسبية والصحة الجيدة كانتا باعثتين على الاحساس بالابتهاج والتفاؤل بعد شهرين من العمل المضني. ولم أتبين أنه مضنٍ حقاً إلا حين نظرت في مرآتي ذات صباح فرأيتها مغشّاةً بسحابة رمادية ووقعت على الأرض وأنا أحسّ أن الموت سيخطفني قبل أن أبدأ كل ما أريد تحقيقه في تلك المؤسسة على الوجه الصحيح... وقال لي الطبيب إنها حالة من «الأنيميا» الدماغية. لزمت الفراش بها اسبوعاً قبل أن أسافر. للتفتيش على مدرستنا بدمشق...».

من صور المجاعة

«كنت التقط لمحات من حياة الناس المتعددة الجوانب بسورية: كان هناك الأغنياء بلبنان وبيروت من الأسر المسيحية العريقة: صورة تقليدية عربية للدنيا الباريسية. فالملابس وآداب



أولاد الطائفة الارمنية كانوا موسيقيين جيدين

السلوك والطرائق العامة كلها واردات فرنسية . ومن الغريب في الأمر – مع ذلك – انه كان ما يزال لديهم شيء أصيل يحاولون جهد الطاقة اخفاءه . وهناك أبناء العائلات الاسلامية والدرزية العريقة ، الذين حاولوا جاهدين أن يحافظوا باعتزاز على طريقتهم وشخصيتهم . وكان هناك ثراء فاحش بسبب الحرب ، كله قائم على الاتجار بالقمح . أما بين الجماهير فكانت المجاعة بأبشع صورها آتية على نحو كاسح سريع . وكنت ترى في شوارع بيروت الغنية أناساً في اسمال . ووجوههم قد اعتصرها الجوع . ومشردين هائمين من رجال ونساء . وأطفالاً مستوحدين ذوي أرجل مرتعشة نحيلة كالقصب . ووجوه متغضنة كوجوه المعمرين ، وعيون غائرة تنفث سخرية مريرة لا واعية . وشعر قد خفّ أو سقط جملة . وما يزال في ذاكرتي منظر طريق تمتد إلى ما لا نهاية أرى فيه هذه الأشكال الصغيرة المغمورة تمضي قدماً . وفيها صورة درجات رخامية غنية أمام منازل فخمة حيث يرتمي أحد تلك الرؤوس البائسة الصغيرة على ذراع عظميّ ناحل في استسلام مطلق وتوق إلى الموت . وأول مرة سمعت الصيحة ترددت أصداؤها وترددت في رأسي وقلبي . كان ذلك بعد حفلة موسيقية في الكلية الأميركية ذهبت اليها مع عدد من المدرسات وأسلمت نفسي إلى نعيم الموسيقى . وكنت أسوق عربتي عائدة خلال شوارع بيروت إلى دير الناصرة حين سمعت : « جوعان » ، كانت صرخة وحيدة نافذة ملحّة تشق الفضاء كالمدية . ومنذ ذلك الحين سمعت لفظة « جوعان » كثيراً . مع مرور الأيام أصبحت الأصوات الجشاء اللاثبة التي ترسلها النساء ، والنغمات الرزينة العميقة التي يطلقها الرجال في ألم لا لون له ولا وهج . وحلوق الصغار الواهنة التي تكاد لا تجد فيها بقية رمق – أصبح كل أولئك يرسلون تلك الصرخة في نغمة فريدة حادة كشفرة السيف تشق شغاف القلوب

وفي السنة التالية (١٩١٧) ازداد البؤس ولكن رافقه روح أكثر استعداداً لتقديم المعونة : ففتح الوالي عزمي بك داراً للأيتام ضمت سبعمائة طفل عربي ، جمعوا كلهم من طرق بيروت ولبنان ، وافتتح علي منيف بك مطابخ عديدة لتقديم الحساء للمشردين واليتامى الهائمين ، وزاد من عدد تلك المطابخ خليفته اسماعيل حقي بك الذي كان يحبه أهل لبنان كثيراً لادارته المتحررة المتسامحة . كذلك قام الأميركيون بنصيب كبير ، فهناك دار الأيتام كان ينفق عليها المستر دودج ، ختن (زوج ابنة) المستر بلس . ان حياة التضحية بالذات التي عاشتها عائلة دودج في بيروت خلال السنوات التي مكثتها هنالك لأمرٌ يعتز به المرء حقاً . وكان هناك تعاطف وانسجام متناميان بين المؤسسات الحكومية والاميركية ، وأنا بخاصة أشعر بجميل الدكتور بلس لمودته المشجعة ومعونته في إيجاد معلمين للغة العربية ، وعن طريقه أيضاً حصلت على معلمة ممتازة للتربية البدنية – شابة أميركية تدعى الآنسة فيشر كان انضمامها إلى الهيئة التعليمية بمدرستنا كسباً لا يستهان به .

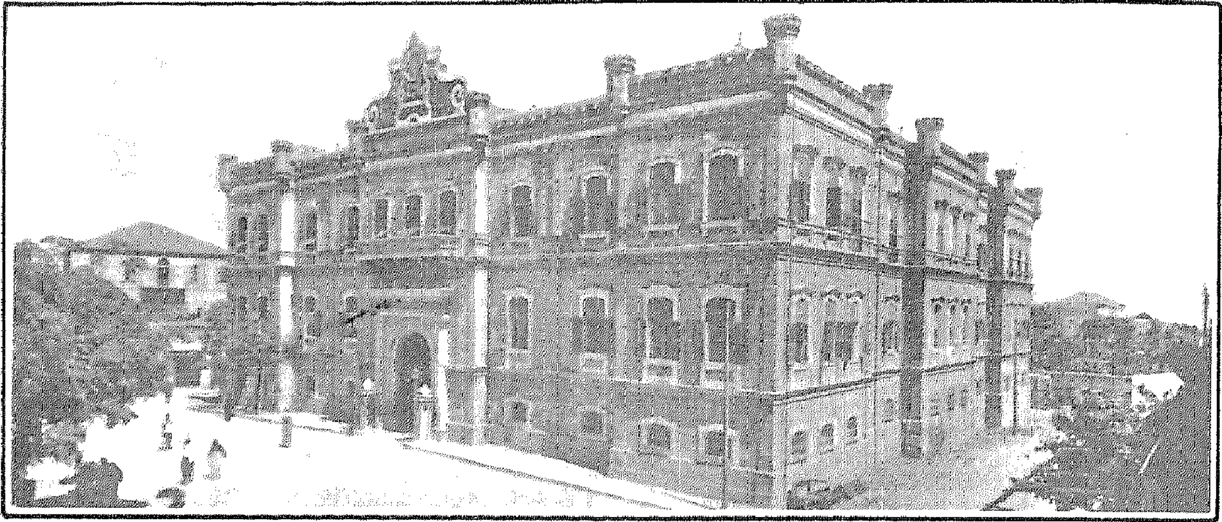
كذلك كانت السيدات الغنيات الأنيقات في بيروت ولبنان نشيطات في السنة الثانية فقد افتتحن « ورشة » جميلة للتطريز والملابس النسوية الداخلية وقمن بادارتها بقدرة فائقة ، واستخدمن عدداً كبيراً من الأيتام الصغار .

وديع صبرا

كثيراً ما تحدث إليّ السوريون ، وخاصة المثقفون فيهم ، عن موسيقار عظيم منهم إسمه وديع صبرا . كنت سمعت باسم وديع صبرا أول مرة سنة ١٩٠٨ وأنه ملحن أغنية قومية نظمها توفيق فكرت ومطلعها :

شـعب من الشـجـعـان
نحن بـنـي عثمان

وقد رددها حوالي ثمانين ألف رجل وطالب



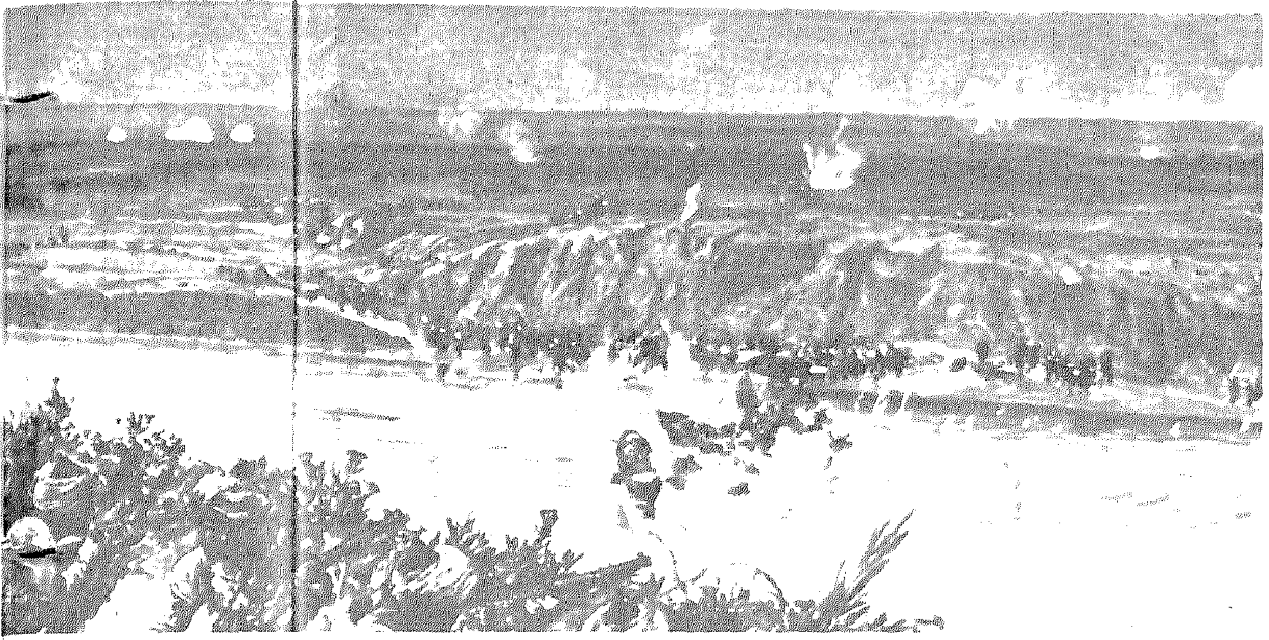
السراي القديم في بيروت الذي بني عام ١٨٨٣ – ١٨٨٤

في حديقة تقسيم . وكان صبرا يومئذ يقود الأوركسترا . في تلك الأيام لم يكن البغض العرقيّ في تركيا قد ابتدأ . وفي سنة ١٩١٥ اقترن اسم وديع صبرا بمؤامرة في بيروت لصالح الفرنسيين فنفي إلى أرضروم . وقد كتبت إلى جمال باشا أسأله ان يأذن لنا بتعيين وديع صبرا رئيساً للدائرة الموسيقية التي كنا نزمع أن نجعلها نموذجية في سورية . ولم يمض وقتٌ طويل حتى كان صبرا رأس الدروس الموسيقية .

... استأذن وديع صبرا أن يجعل من « رعاة كنعان » مسرحية موسيقية وبعد أن رتب نصّ الأوبرا بمعاونتي شرع في العمل . فأتمّ انجاز الفصل الأول في سورية منظماً أوركسترا من خمسة وعشرين بينهم أهم الموسيقيين الهواة والمحترفين في بيروت ، وكان علي ضومط عازف البيان السوري الذي كسر سنه الأمامية ليصبح شبيهاً ببيتهوفن أن يصاحب الأوركسترا . وبدأ صبرا يعد العدّة ليقدم تلك المسرحية... وكان أن قدّمها في ٢٢ شباط (فبراير) ١٩١٧ .

الأطفال في العالم كله ممثلون بارعون . ولكن الأطفال العرب يبذّون من عداهم جميعاً في أمور معينة . فهم يندمجون في التمثيل كأنما يتحوّل لديهم إلى حقيقة . واذا كانت ثمة رواية ذات عاطفة درامية أو مأساة أو وتر بطولي رومانسي فاعهد بها إلى الأطفال العرب . وستجدهم في معظم الحالات يؤدونها إلى حدّ الكمال... أولئك الأطفال الحفاة في عباءاتهم الفضفاضة ذات الألوان الحمر والزرق والبرتقالية اللامعة حسبوا أنفسهم حقاً في الصحراء . يحسون بالحسد القاتل في نفوس إخوة يوسف تجاه أخيهم وهم يتآمرون على بيعه أو قتله . وفي المشهد الأخير عندما غنوا تلك النغمة التي تعرفها سورية كلها « لنقتله ، لنقتله » أحسستُ حقاً بالقلق على حياة الطفلة التي كانت تمثل دور يوسف . ذلك ان التشجنات القاسية على وجوههم السامّية . وأيديهم القاتلة وهي تعبث حول يوسف بخفةٍ كالبرق . ويوسف المسكين يعدو محاولاً أن ينجو . برعب حقيقي لا يستطيع أن يعبر عنه – كل ذلك زلزل القاعة ، حتى لقد سرت عدوى الأداء التمثيلي إلى المشاهدين... واستعادت بيروت المسرحية ثلاث عشرة مرة » .

[في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩١٧ بدأ الانحسار . وكانت خالدة المنهمكة في عملها لا تتصوّر أن سورية قد تقع في يد « الأعداء » . وهكذا كانت لحظات البناء الثقافي . كأنها حلم بدده كابوس الهزيمة أو شبحها المنتظر . كانت تجربة تشبه « صحوة الموت » . ان التاريخ صارم جداً ، إنه لا يسمح للمرء أن يقول : ماذا لو تمّتْ قبل سنوات . وترسخت منها الجذور !] . ■



عملية عبور القوات التركية لقناة السويس

قضيــة الحدود بيــن فلسطين ومصر

واثرها في جذور الصراع العربي - الصهيوني

د. خيرية قاسمية

جامعة دمشق / معهد البحوث والدراسات العربية

تقديراً من مجلة «تاريخ العرب والعالم» للمؤتمر الثاني لتاريخ بلاد الشام الذي عقد مؤخراً في دمشق (راجع العدد ٣ من تاريخ العرب والعالم» كانون الثاني ١٩٧٩) اعد مركز الدراسات والابحاث في المجلة صورة ملخصة من ثلاثة من البحوث التي قرئت في المؤتمر وكانت على جانب كبير من الاهمية والاثارة. على ان تُنشر متتالية في المجلة ابتداء من هذا العدد.

وفي هذا المجال تودّ المجلة ان تؤكد انها تقدر جميع البحوث المقدمة الى المؤتمر. كما انها تقدر الجهود الكبيرة التي بذلتها جامعة دمشق في سبيل انجاح هذا المؤتمر. وتتمنى ان تستمر الجهود في جميع انحاء الوطن العربي لدرس تاريخ العرب دراسة متعمقة مكثفة تضمن للعرب رؤية اوضح لتاريخهم وثقة اكبر بأن هذا التاريخ يكوّن ركيزة اصيلة لا نطلاقهم في مجال بناء تاريخهم الحديث بناء سليماً ثابت البنيان.

د. خيرية قاسمية : جامعة دمشق . معهد البحوث والدراسات العربية .



■ تعود قضية الحدود بين مصر وفلسطين . او على الأصح بين الولايات التركية في بلاد الشام والأراضي المصرية في سيناء . في العصر الحديث . الى عهد محمد علي حين أجبرته القوى الدولية على التراجع عن بلاد الشام وتقررت حدود مصر في معاهدة لندن ١٨٤٠ وأبلغت الى محمد علي بفرمان التولية ١٨٤١ من السلطان محمود الثاني حيث ثبته على ولاية مصر بالحدود المرسومة على الخريطة الملحقة بالفرمان. ولا يعرف بالضبط ما هي الحدود المرسومة على تلك الخريطة . اذ لم يوقف لها على أثر لا في مصر ولا في الأستانة. ولكن المعروف أن شبه جزيرة سيناء كانت كلها ملحقة بولاية مصر من نقطة تبدأ شرقي العريش وتمتد على شكل خط مستقيم نحو الجنوب الشرقي لتضم بعض النقاط المحصنة في بلاد الحجاز على الساحل الشرقي من البحر الأحمر كقلعة العقبة وضبة والمويلح والوجه.

وبسبب وجود سيناء والمناطق الواقعة على طرفيها على طريق الهند فقد اكتسبت أهمية دولية . وكانت حملة نابليون الى مصر بداية الصراع الدولي الحديث في هذه المنطقة. وهو في حلمه بمسيرة عبر آسيه نحو الهند لبناء امبراطورية شرقية وضرب المصالح البريطانية وجه نداء يدعو فيه اليهود في آسيا وأفريقيا « للالتفاف حول رايته من أجل اعادة مملكة القدس القديمة» ولم يكن ذلك الا لأن توطين اليهود في فلسطين قد أصبح يلعب دورا كبيراً في أمور السياسة الدولية العملية حتى قبل أن توجد الحركة الصهيونية السياسية .

وقد تلاشي المشروع بمعارك عكا وأبي قير . الا أن بريطانيا تحققت من أهمية هذه المنطقة بالنسبة لامبراطوريتها الشرقية . فسعت بشتى الوسائل لا بعاد أي نفوذ آخر عن تلك المنطقة بحجة حماية الطريق الذي تسلكه مصالحها الى الهند . وهذا مادفعها الى مساندة الدولة العثمانية حين أحسّت بخطر جديد على مصالحها في الشرق مع ظهور قوة محمد علي.

فمع تأزم المسألة الشرقية الناجمة عن توسع محمد علي أرسل بالمرستون تعليماته الى سفيره في الاستانة ١١/ أغسطس/آب ١٨٤٠ — يوم نزول القوات البريطانية بيروت — « أنه لو عاد اليهود (الى فلسطين) بموافقة السلطان سيكون ذلك كبحا لأية مشاريع خطرة في المستقبل من محمد علي أو خلفائه». ولذلك ليس من الغريب بعد عودة فلسطين الى السلطان أن يشير قريب بالمرستون لورد شافستبرى في مذكرة (سبتمبر ١٨٤٠) الى أن « توطين اليهود بضمان من الدول الأربع هو جزءمن تسوية القضية السورية يحمل السلم والازدهار لكل البلاد التي تقع بين الفرات والبحر المتوسط». وأجمعت مشاريع بريطانية أخرى على أن التوطين اليهودي ضروري من أجل تحكم بريطانية في الشرق وكحل عملي للمسألة الشرقية. أهمها ما اقترحه الكولونيل تشرشل في الستينات لتوطين اليهود في فلسطين لأن فلسطين هي جغرافيا وتاريخيا ضرورة محتمة لمصر وكلاهما يجب أن يرتبطا ببريطانيا.

و قد لعب صندوق الاكتشاف الفلسطيني Palestine Exploration Fund الذي

أنشئ عام ١٨٦٥ في بريطانيا دوراً كبيراً في تأكيد هذه الصلة العملية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ومع أنه انطلق من فكرة دينية بهدف دراسة كل ما يتعلق بالأرض المقدسة، الا أن حقول نشاطاته قد تعدت المسألة الدينية العلمية، كما أن أعماله قد شجعت بطريقة غير مباشرة عملية الاستيطان اليهودي لأنها قدمت صورة مفصلة عن فلسطين بكل جوانبها الجغرافية والأثرية والاقتصادية. ثم ان معظم الذين قاموا بالبعثات والاكتشافات وتولوا عمليات الحفر والمسح ووضع الخرائط كانوا ضباطاً في وزارة الحربية البريطانية من سلاح الهندسة الملكية بالذات، بالاضافة إلى رجال الآثار والمستشرقين والعاملين في دوائر المخابرات البريطانية.

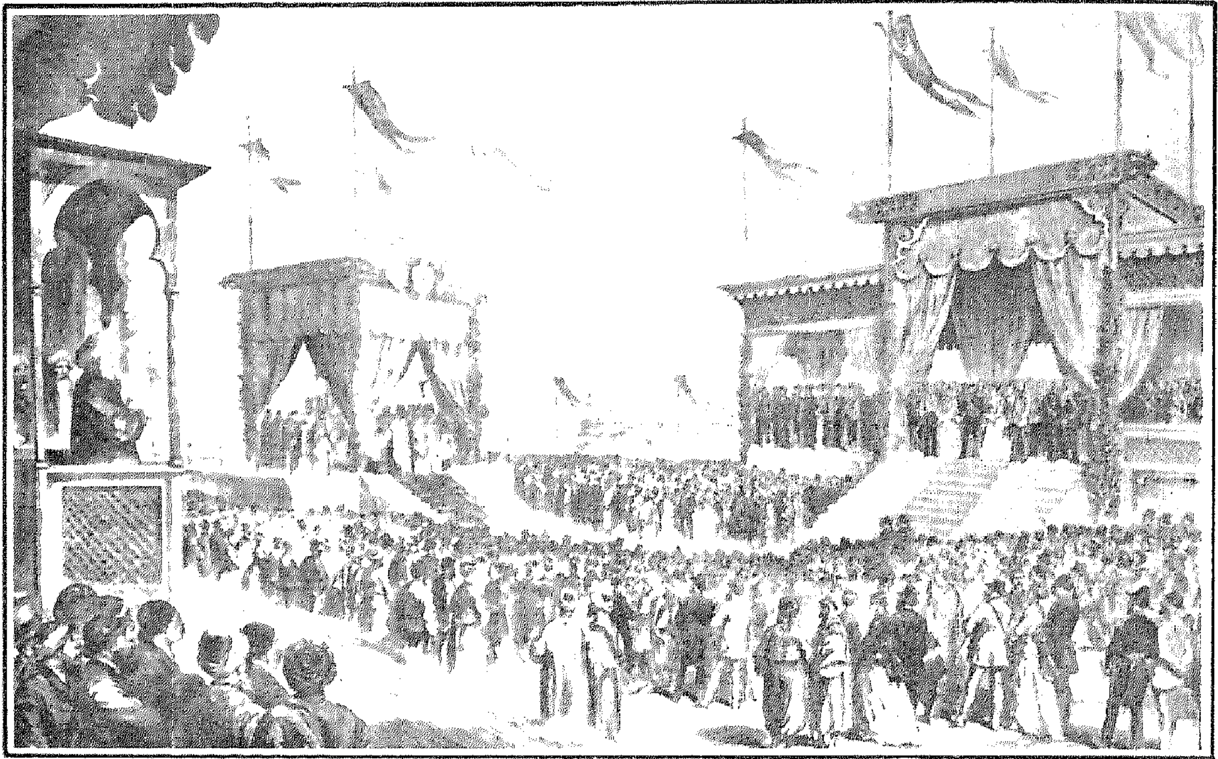
«دزرائيلي» و «اوليفنت» يساهمان...

وبعد شق قناة السويس ١٨٦٩ ازدادت أهمية المنطقة التي تقع شرق القناة. وشهدت السبعينات فترة نشطة من الاهتمام بفلسطين لما تولى دزرائيلي رئاسة الحكومة البريطانية، فإنه دعم جهود بريطاني آخر من الذين شاركوه عطفه على اليهود والدور الذي يمكن ان تلعبه بريطانيا في سياسة الشرق عن طريقهم، وذلك هو لورنس اوليفنت (١٨٢٨- ١٨٨٨) الذي كان صحفيا وعضو برلمان قام برحلات الى الشرق بعد توقيع معاهدة برلين ١٨٧٨ ورأى أن مشكلة الشرق ستتركز في المستقبل في تلك المنطقة التي تحرس طريق المتوسط نحو المحيط الهندي بسبب خطر تهديد روسيا بالتقدم نحو البحر الاحمر عن طريق العقبة مما يخول لها الاشراف السياسي على كل الشرق. فوضع مشروعا يضمن حل المشكلة وينمي موارد الامبراطورية العثمانية بانشاء شركة لاستيطــان المناطق الغنية وغير المأهولة في الدولة العثمانية. وأوصلته نتائج تحرياته الى أن مكان الاستيطان هو الجانب الشرقي للاردن في النهاية العلوية للبحر الميت (أرض جلعاد) التي أثبتت تحريات صندوق الاكتشافات الفلسطيني انه يتمتع بامكانات كبيرة وأن الشعب الذي سيدعى لاستيطان هذا المكان هو الشعب اليهودي من أوروبا الشرقية. ولكن مفاوضات أوليفنت الدبلوماسية في الآستانة فشلت ورفضت السلطات ادخال عنصر جديد في المسألة الشرقية بفتح ولاياتها الآسيوية، وخاصة هذا البلد المقدس، للهجرة اليهودية الجماعية.

زاد تعقيد الموقف نتيجة احتلال بريطانيا لمصر ١٨٨٢. فقد أعطاها ذلك اهتماماً اكثر بفلسطين وزاد قلقها في الحصول على دولة صديقة على جانبي الطريق نحو الهند. هذا القلق هو الذي أدى الى اهتمام متعاطف مع الهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية الى فلسطين في أوائل الثمانينات وتشجيع جمعيات احياء صهيون (Chibbatt Zion)، في توجهها الى فلسطين وانشاء المستوطنات اليهودية الاولى بين ١٨٨٢ - ١٨٨٤.

هجرة «فريدمان» تثير المشكلة

وكانت العقبات التي وضعتها السلطات العثمانية في وجه الاستيطان في فلسطين هي التي أدت بالسلطات البريطانية في مصر الى العطف على مشروع فردي لاستيطان يهودي في منطقة تشرف عليها بريطانيا قرب فلسطين. يرتبط هذا المشروع بأسم بول فريدمان الذي عرفته جريدة المؤيد في ٩ شباط/فبراير ١٨٩٢ «انه يهودي ألماني عقد العزيمة على تشييد مملكة اسرائيلية في الاراضي المقدسة.. ووجد من ثروته وثروة كثير من أفراد بني اسرائيل عضدا قوّى فيه الأمل.. وخاصة بعد ما حل بقومه وبني مذهبه في الروسية..» وقد وصل فريدمان مصر ١٨٩٠ وقابل بعض المسؤولين. وعلى رأسهم السير افلين بارلنج (لورد كرومر فيما بعد). وفاتحهم في موضوع الاستيطان اليهودي في بقعة على السواحل الشرقية لخليج العقبة (المعروفة بأرض مدين). ودلت عودته بعد سنتين على أنه لم يمانع



إفتتاح قناة السويس

في ما طلب. وكان قد اشترى يختاً بخارياً أسماه (اسرائيل) حمل عليه ذخائر ومدافع وعددا من العلماء والمهندسين والكيماويين والجغرافيين وثلاثين عائلة من اليهود المهاجرين.

وقصد فريدمان جزيرة العرب قرب جهة الطور عند مكان يسمى (شرما) ونصب لجماعته الخيام في واد قرب مدين التي أراد أن يتخذها عاصمة مملكته الجديدة، وأخذ يتفقد المنطقة لشراء أرض ولقي صعوبات من الاهالي وتمكن من شراء أرض جهة المويلح مع أن قوانين الدولة العثمانية لا تبيح بيع أرض للأجانب في شبه جزيرة العرب. فاشتكى وفد من الاهالي الى السلطات المحتلة في مصر دون فائدة. فلجأوا الى والي الحجاز العثماني الذي أمر الجند العثمانيين باحتلال قلعة المويلح وما جاورها على اعتبار أنها من أملاك الدولة العثمانية ولما تقابلوا مع فريدمان وجماعته في جهة ضبه ذكر للقائد العثماني انه «استعمرها برخصة من الحكومة المصرية وله الحق أن يمنعه من الاقامة بها وأنه مستعد للحرب».

وأرسلت وزارة الحربية المصرية عدداً من الجنود المصريين الى ضبه والتقت بالقوة العثمانية وكاد يحدث خلاف في منطقة الحدود الفاصلة بين مصر والدولة العثمانية. التي لم تكن قد حددت تحديداً قاطعا منذ فرمان التولية الذي اصدره السلطان محمد الثاني الى محمد علي ١٨٤١ وبدأت الاتصالات بين مصر والاستانة ولندن لحل المشكلة. وقد أثار مشروع فريدمان الشكوك في ذهن السلطان بأن اليهود المتوطنين خارج حدود السلطنة سوف يستخدمون هذا المكان كنقطة انطلاق نحو فلسطين وانشاء دولة يهودية.

وقد جرت المباحثات بين المندوب العثماني في مصر والمسؤولين لاخراج الأراضي التي تقع بين العقبة والوجه على البحر الاحمر وضمها الى ولاية الحجاز. لكن لم يتوصل الى اتفاق. حتى وردت أنباء من الاستانة بأن فرمان تولية الخديوي عباس يختلف عن الفرمان الذي صدر بتولية والده توفيق اذ يخرج شبه جزيرة سيناء كلها عن حدود مصر ويلحقها بولاية الحجاز. وأعلم سفير بريطانيا في

الاستانة دولته بفحوى الفرمان وأثار معتمد بريطانيا في مصر السير افلين بارنج (لورد كرومر فيما بعد) اعتراضات بحجة أنه «لا يجوز تغيير شيء في الفرامانات التي تحكم بعلاقات الباب العالي ومصر بلا مصادقة حكومة جلالة الملك»

وقد تقرر نتيجة الضغط البريطاني أن لا يحصل تغيير في الفرمان بحيث يخول الخديوى «الخديوية المصرية المحدودة القديمة.. مع الأراضي المنضمة اليها..». أما الأراضي التي تقع بين العقبة والوجه فقد ضمّت الى ولاية الحجاز نظراً لأنها لم تعد في طريق المحمل الشريف المصري. وقيد الفرمان صلاحيات الخديوي فيما يتعلق بالامتيازات التي أعطيت لمصر والتي هي جزء من حقوق الدولة العثمانية. «فلا يجوز لأي سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة أرض من الأراضي المصرية للغير مطلقا». وأصبح معروفا أن الحد الفاصل بين سيناء والولايات العثمانية هو «خط يمتد من نقطة شرقي العريش يتجه جنوباً بشرق حتى ينتهي الى قلعة العقبة على خليج العقبة فما وقع غربي هذا الخط تكون ادارته منوطة بالخديوية المصرية. وظل كرومر يعتبر مسألة الحدود بين مصر والولايات العثمانية في فلسطين قضية معلقة.

مشروع هرتزل الاستيطاني...

وكان الاهتمام البريطاني بحركة الاستيطان اليهودي قد دخل في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر مرحلة هامة وفعالة وذلك بعد ظهور صهيونية جديدة في أواخر القرن التاسع عشر في غرب اوروبا. وقد فكرت الصهيونية الجديدة بأساليب سياسية للحصول على فلسطين بدلا من الاستيطان البطيْ. واقترنت باسم هرتزل بكتابه (دراسة اليهود) وبالمنظمة الصهيونية التي نشأت بعد المؤتمر الصهيوني الاول في بال عام ١٨٩٧

ورغم ذلك فان القيود العثمانية كانت تعوق الحل الصهيوني للمشكلة اليهودية. ويبدو أن



الخديوي عباس باشا حلمي

هرتزل قد يئس من تغيير وجهة نظر السلطان وتبين المصاعب التي تقف في طريق برنامج بال وفكر لو ان اليهود استطاعوا الحصول على حقوق يهودية في أي مكان في العالم. فان هذا يحملهم الى منتصف الطريق نحو فلسطين. وتطلع هرتزل نحو بريطانيا لدعم مشاريعه وهو في هذا كان يتحول الى بلد قد أعد الرأى العام فيه مسبقا.

وكان هرتزل فكر - بعد استبعاد مشروع قبرص - في مكان يقع في منتصف الطريق يسميه فلسطين المصرية أو بمعنى آخر الجانب المصري من الحدود التركية المصرية في جزيرة سيناء. وما كان في ذهنه هو منطقة العريش بالذات. وتركت حجج هرتزل انطباعاً عميقا في نفس تشمبرلن وزير المستعمرات ولم يعارض مبدئيا فكرة اقامة مستعمرة يهودية مستقلة في الجانب الجنوبي الشرقي من المتوسط. ورفع هرتزل مذكرة بمقترحاته الى لانسدون وزير الخارجية البريطانية في ٢٤/تشرين اول/اكتوبر ١٩٠٢ لحل المسألة اليهودية في شرق اوروبا والرغبة بايجاد مكان لتهجير اليهود الى المناطق الخالية من السكان في جنوب شرقي المتوسط (العريش وسيناء) والتي تقع تحت نفوذ بريطانيا. وسيكون لها مقابل ذلك «ولاء عشرة ملايين يهودي



اللورد كتشنر

يعطون من أجل عظمتها وسيطرتها على الصعيدين السياسي والاقتصادي». وكان قبول لانسدون للمشروع مشروطا بموافقة كرومر.

وبعد هذه الموافقة المبدئية على المشروع دارت مراسلات ومحادثات بين هرتزل ومبعوثيه من جهة وبين كرومر والحكومة المصرية من جهة أخرى وكانت وزارة الخارجية البريطانية الوسيط في هذه المفاوضات.

وانتقل هرتزل بعد ذلك الى تفاصيل المشروع: ستمنح الحكومة المصرية الامتياز المطلوب وعلى أساسه يقترح انشاء مستوطنة وشركة استيطان يسميها «الشركة الشرقية اليهودية» برأسمال تقريبي/٥/ملايين استرليني تتولى عملية الاستيطان. وقبل البدء بالاستيطان الفعلي تأتي هيئة من المختصين الفنيين والمهندسين الزراعيين لاعداد المنطقة (من بناء طرق وموانئ.. الخ) ثم تبدأ الهجرة ببطء وبشكل منظم ودقيق لاختيار دعامة صحيحة من (الطلائع). ويتم الاستيطان طبقا لأحدث أساليب العلم والتجربة. ولن تقتصر الهجرة على يهود اوروبا الشرقية الباحثين عن العمل فقط. بل سيعمد أصحاب رؤوس الاموال الى اقامة مشاريع في أرض هم على ثقة من التمتع بثمار عملهم فيها. ومن الضروري كخطوة تمهيدية لارسال اللجنة للحصول على موافقة حكومة جلالته والحكومة المصرية بمستشاريها الانجليز على الخطة العامة. وعند الحصول على امتياز أولى سيباشر بالعمل فوراً.

وكان كرومر يتعاطف تماماً مع الاقتراح وفي رسالته الجوابية الى وزارة الخارجية في ٢٩ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٠٢ لم يجد أي اعتراض سياسي لاقامة هذه المستعمرة ولكنه أراد تقديم بعض الايضاحات حول ظروف معينة تحيط بالمشروع رأى أن يتم التفاهم عليها مسبقاً حتى لا يصاب المشروع بالفشل.

وفي رسالة هرتزل الى 'لانسدون في ٦ كانون ثاني/يناير ١٩٠٣ رحب بكل التوضيحات التي عرضها كرومر وانهى رسالته الى لا نسدون بثقته بأن «حكمة الحكومة المصرية بالمشاركة مع جهودنا الخاصة» ستتوصل الى ابتكار صيغة للميثاق الذي سيضمن للمستوطنين عدم تعرضهم من جديد لخطر الاضطهاد او التشرد بعد ان يكونوا قد حولوا بعرق جبينهم منطقة هي في تقدير كرومر الآن. ليست افضل من صحراء.

وقد شرعت لجنة الخبراء تحرياتها في ١١ شباط/فبراير ١٩٠٣ بدءاً من القنطرة وانتهت في آذار / مارس في السويس ورفعت إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٦ آذار/مارس تقريراً مفصلاً باللغتين الفرنسية والانجليزية.

ومع أن كرومر منذ البداية تعاطف مع الاقتراح. الا انه بيّن في رسالته الى لا نسدون في ١٤ ايار/مايو ١٩٠٣ انه منذ البداية واجه قدراً كبيراً من المعارضة وانه بذل جهداً كبيراً كي يحظى هرتزل واعوانه بأذن صاغية لدى المسؤولين في مصر ولا يرجع كرومر المعارضة المصرية الى حقد معاد لليهود بل الى ان المسؤولين المصريين وكذلك جميع المسؤولين البريطانيين في مصر. ليست لديهم ثقة

بامكانية نجاح المشروع لذا هم لا يرغبون الالتزام بمشروع محكوم عليه بالفشل . وقد يثير هذا المشروع برأي كرومر حملة من الانتقاد ضد الحكومة المصرية «حين يثبت ان الاموال قد بددت هدراً» وقد أورد كرومر حججاً اخرى تقدم بها الوزراء المصريون في معارضتهم للمشروع اذ ان آلية الحكم في هذا البلد بالغة التعقيد . ويصعب التكهن بالنتائج . . لو نفذت خطط هرتزل فمن المحتمل ان تزداد التعقيدات الحالية اذا سمح باستطيان مجتمع (له صفة عالمية) في سيناء باهداف سياسية معلنة . وهذا على الاقل لا يتفق مع مصالح السلطان صاحب السيادة في مصر.

وقد بعثت وزارة الخارجية البريطانية اعتذارها الى هرتزل في ١ حزيران/يونيو ١٩٠٣ بسبب رفض الحكومة المصرية النظر بمشروع مستوطنة يهودية في سيناء ■



اللورد كرومر

القسم الثاني في العدد القادم



كلما بريت قلمي براني .

ميخائيل نعيمه

لو رميت نفسك من الطائرة

يروى أن ترومان رئيس الجمهورية الأميركية سابقاً وصديق اسرائيل الحميم . كان يستقل طائرته الخاصة وبرفقته مستشاره الخاص . فقال ترومان للمستشار : ألا تعتقد أني أسعد عشرة أميركيين لو رميت من الطائرة عشرة دولارات . فقال المستشار : لو أنك رميت ألف دولار لكان السعداء ألف أميركي

وهنا التفت قائد الطائرة وهو جمهوري بعكس ترومان الديمقراطي . وقال لترومان : لو أنك حريص على سعادة الشعب الأميركي كله لرميت نفسك من الطائرة .

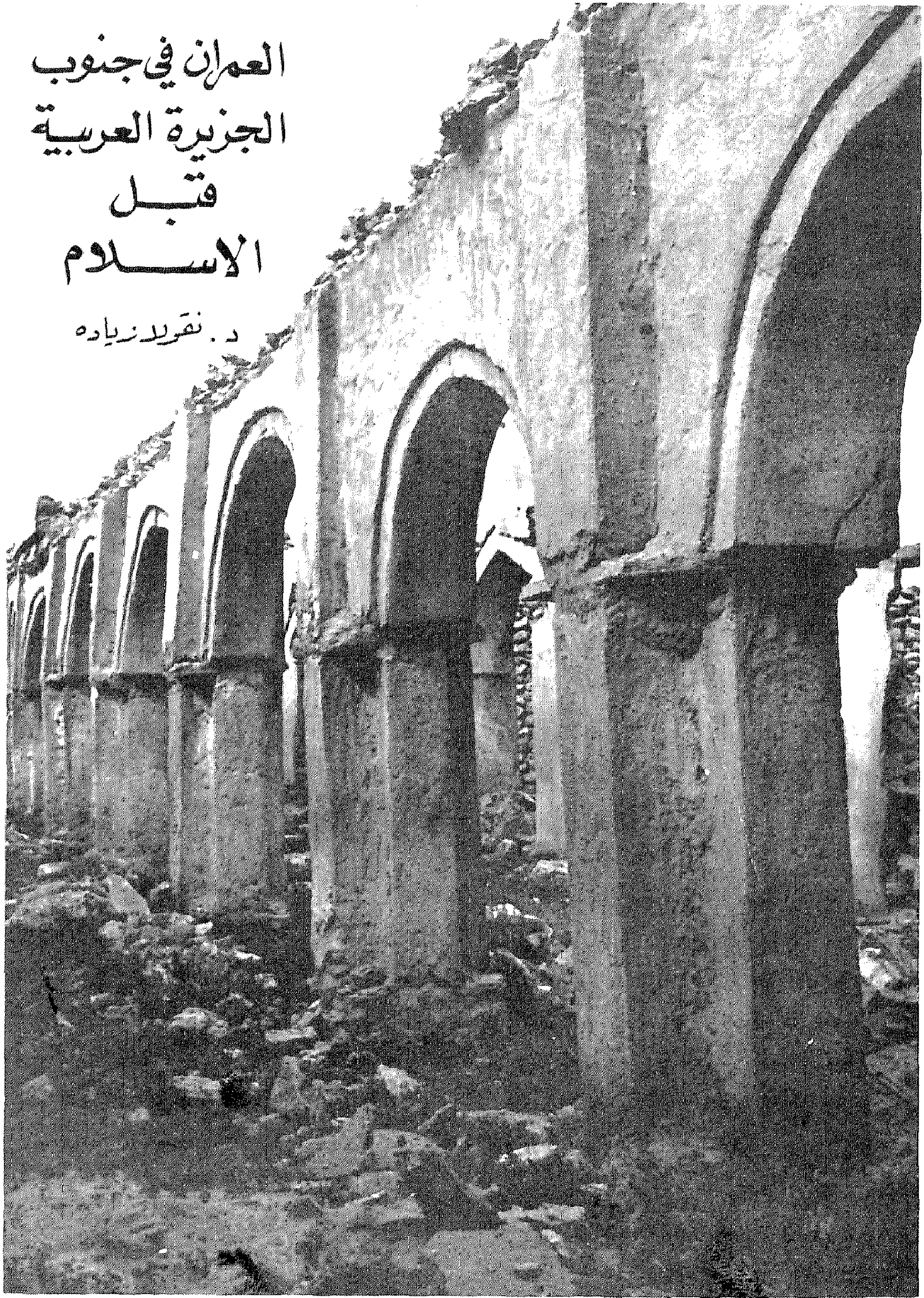
يجب أن نتذكر دائماً أننا تحت ثيابنا عرايا .

برنارد شو



العمران في جنوب الجزيرة العربية قبل الاسلام

د. نقولا زياده



اطلال مبنى المسجد في قرية بني خالد فى جزيرة جنا من كتاب «مدخل الى الآثار في المملكة العربية السعودية» - وزارة التربية- قسم الآثار والمتاحف ١٩٧٥

■ في القصص القرآني وفي التاريخ وفي الأساطير العربية الجاهلية وفي طيات الأخبار المتعلقة بالأنساب وفي الشعر الجاهلي إشارة إلى سد مأرب. كل هذه جعلت هذا السد شيئاً معروفاً بالنسبة إلى سكان الجزيرة. كما أنه ذاع خبره وانتشر تاريخياً في أخبار الأولين واسطورياً في كل مكان.

فقد جاء في محكم الكتاب الكريم ذكر قصة مأرب وفيها: وأرسلنا عليهم سيل العرم. وقد نقل ياقوت في معجم البلدان أن العرم هو المسنّاة التي كانت قد أحكمت لتكون حاجزاً بين ضياع القوم وحدائقهم وبين السيل. ففجرت العرم فأرة. ليكون أظهر في الأعجوبة.

وفي شعر الأعشى:

في ذاك للمؤتسي أسوة
ومأرب عفّى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير
إذا ما نأى ماؤهم لم يرم
فأروى الزروع وأغنامها
على سعة ماؤهم ان قسم
وطار القيول وقيلاتها
بيَهْماء فيها سراب يطم
فكانوا بذلكم حقبة
فمَال بهم جارف منهزم
فصاروا أيادي ما يقدرون
منه على شرب ماء فطم

وشعر الأعشى ليس الوحيد الذي يشير إلى مأرب وسيل العرم. ولكننا نكتفي بهذا القدر للتمثيل فقط.

وقد ظل العالم الخارجي الحديث لا يعرف عن مأرب وسدها شيئاً دقيقاً حتى القرن الماضي. فقد تمكن ثلاثة زوار أوروبيين من الوصول إلى مأرب بين سنتي ١٨٤٣ و١٨٩٤. وفي سنة ١٩٤٧ قام الدكتور أحمد فخري بدراسة وافية للمنطقة ونشر نتيجة أبحاثه في القاهرة سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢. إلا أن الحفر والتنقيب الأثري المعتمد فيهما على الرفش والمعول وآلة المسح والمعرفة الفنية لم تعرفها منطقة سد مأرب إلا في أواخر سنة ١٩٥١ وأوائل سنة ١٩٥٢.

على أن أعمال الحفر في هذه الفترة القصيرة لم تقتصر على سد مأرب وما إليه. بل شملت وادي بيحان وهو جزء من المنطقة التي قامت فيها مملكة قتبان التي كانت عاصمتها «تمنع» وهي المعروفة اليوم باسم حجر كحلان. وفي هذا المقال نود أن نتحدث عن الري والزراعة في وادي بيحان. لا عن منطقة مأرب:

فهذه كثر الحديث عنها ولكن تلك بعد حديثة عهد بالكتابة عنها.

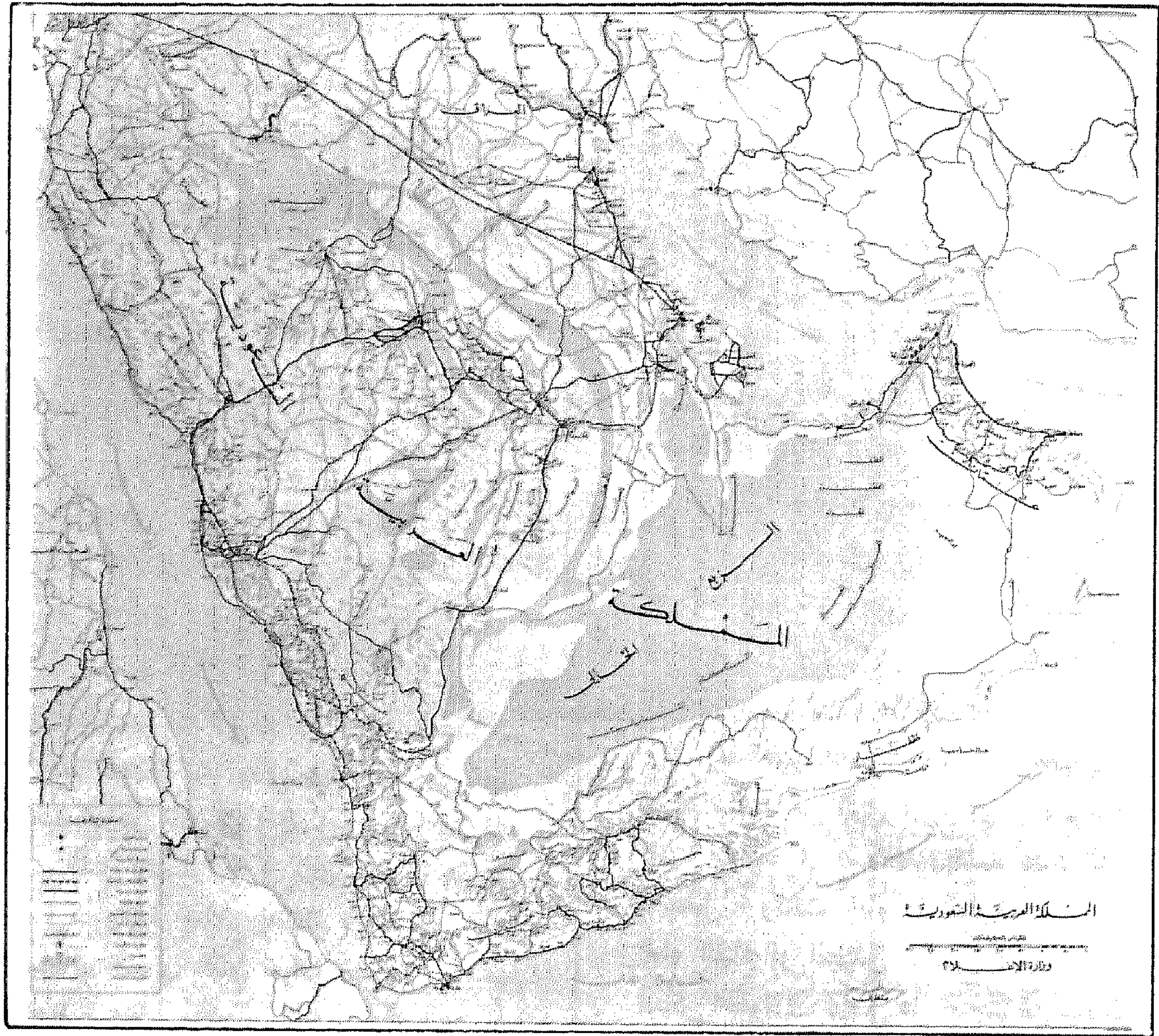
على أننا قبل الإنتقال إلى الحديث نفسه. نود أن نضع بين يدي القارئ خلاصة تاريخية للدول التي قامت في جنوب الجزيرة العربية في العصور السابقة للإسلام.

والمتعارف عليه أن خمس دول قامت في تلك الرقعة من الجزيرة التي يمكن وضعها على الشكل التالي:

١) دولة معين التي قامت في منطقة الجوف، وكانت عاصمتها قرناو (وهي خربة معين اليوم). ومن مدنها المشهورة يثيل (براقش اليوم) وكانت لها شهرة دينية. ودولة معين دامت من حول القرن الثامن ق. م. إلى حول سنة ١١٥ ق. م.

٢) دولة سبأ التي تمركزت حول سبأ أولاً ثم اتسع سلطانها بحيث شمل جنوب الجزيرة بأجمعه تقريباً. وكانت عاصمة الدولة سرواح أولاً لكن مأرب صار إليها الأمر والنهي منذ حول سنة ٦١٠ ق. م. وقد استمرت هذه الدولة من القرن الثامن ق.م. إلى حول سنة ١١٥ق.م.

٣) دولة قتبان وكانت تقع إلى الشرق من



خريطة للمملكة العربية السعودية. من كتاب «هذه بلادنا» وزارة الاعلام السعودية-

منطقة عدن والغرب من حضر موت. وكانت العاصمة «تمنع» (حجر كحلان اليوم). ويبدو أن دولة قتبان قامت معاصرة للدولتين السابقتين إلا أنها أصبحت مملكة حول سنة ٤٠٠ ق.م. وقد بلغت ذروة المجد في القرن الأول ق.م. ونعرف أنها سكت نقداً ذهبياً حول سنة ٥٠ ق.م. وقد انتهى أمر هذه الدولة في أيام المسيح.

٤) دولة حضر موت التي قامت في الوادي المعروف بهذا الإسم ثم اتسعت نحو الساحل في مهرا وضمت ظفار. كانت العاصمة شبوة. وعمرت هذه الدولة في منتصف القرن الخامس ق.م. إلى القرن الأول ق.م. ولعل دولة حضر موت هي التي قضت على قتبان.

٥) دولة حمير (الأولى ١١٥ ق.م. والثانية ٣٠٠ ق.م.) كانت عاصمتها ظفار في اليمن ولم تلبث أن ضمت سبأ ومعين. فكانت أوسع دول الجنوب نفوذاً. ولما تهدم سد مأرب. في أواسط القرن السادس للميلاد. كان ذلك إيذاناً بانتهاء السلطة الحميرية.

زراعة مزدهرة على مياه السيول

مع أن دولة قتبان كانت واسعة. فقد كانت المراكز الرئيسية للحياة فيها في وادي بيحان ووادي حريب. وهذان الواديان يتجهان إلى الشمال نحو الصحراء بدءاً من الكتلة الجبلية المتمركزة في جنوب الجزيرة. ويبدو من كثرة آثار الري ومصانع الماء في تلك المناطق أن قتبان كانت من المناطق

الزراعية المتقدمة في جنوب الجزيرة.

إن السفوح الشمالية للجبال الممتدة في جنوب جزيرة العرب تواجه الصحراء الواسعة الواقعة إلى الشمال. ومناخها هو مناخ شبه صحراوي. إلا أن الرياح الموسمية التي تهب على الساحل الجنوبي للجزيرة ستة شهور في السنة. في اتجاه واحد، ثم تغير إتجاهها للشهور الستة التالية من السنة –هذه الرياح تحمل معها أمطاراً إلى الأودية في أوقات تبدل اتجاهها أي في فترة نيسان– أيار (ابريل– مايو) وفترة تشرين الأول – كانون الأول (أكتوبر–ديسمبر). وقد لا تسقط الأمطار سنوات متعددة متتالية. ولكنها متى جاءت إلى وادي بيحان مثلاً فانها تكوّن فيضاناً خاطفاً بحيث أنها تملأ وادي بيحان الذي يبلغ طوله نحو ٦٥ كيلومتراً، كما أنها تملأ عدوات الأودية المتصلة به. ومثل هذا النوع من المطر والفيضان هو المعروف «بالسيل». ومن هنا كان الري الذي اعتمد عليه في تلك الجهات هو ري السيل، وهذا يختلف بطبيعة الحال عن الري الفيضاني النهري الذي عرفته مصر في تاريخها الطويل. وهذا الحديث الذي نسوقه اليوم إلى القراء مبني، مبدئياً، على التقارير والشروح التي وضعتها البعثة الأميركية التي حفرت هناك سنتي ١٩٥٠ و١٩٥١ والتي ظهرت تقاريرها تباعاً إعتباراً من سنة ١٩٥٧.

وهذه السيول التي كانت تنحدر من المرتفعات الى المناطق المنخفضة من الاودية، كانت تحمل معها الطمي او الغرين الذي كان يستقر في المنخفضات ويرفع من مستوى تلك الاماكن، ولكن كان يتبع ذلك ان الأودية الجانبية كان يصل اليها الماء الى نقاط اعلى بسبب ارتفاع المجرى العام للسيل. واذا اخذنا بعين الاعتبار ان اعمال الري والزراعة في وادي بيحان توقفت منذ نحو ١٥٠٠ سنة، فيمكن ان يتصور المرء ما قامت به عوامل النحت والتعرية في ذلك الطمي من حيث حفر مجار خاصة بالمياه المتحدرة دون ضابط قط.

والطمي كان القوم يفيدون منه لاقامة سد تتجمع المياه خلفه. ولم يقم القوم ابنية حجرية الا حيث وجدوا ان عوامل النحت والتعرية كانت تأكل جوانب الاودية وعدواتها.

ومما كشفت عنه البعثة الاثرية في وادي بيحان القناة التي بنيت في حجر بن حميد، والتي يبلغ طولها ١٢٠٠ من الأمتار. وقد اقيمت عليها هواويس (احواض) لتوزيع المياه على جانبيها، اي على الأراضي المنخفضة عنها. وقد استعمل في بناء هذه القناة وغيرها جدران من الحجارة الضخمة في اول الامر، فلما اتقن القوم الصناعة اصبحت الحجارة اصغر حجماً لأن فن البناء عندهم تحسن.

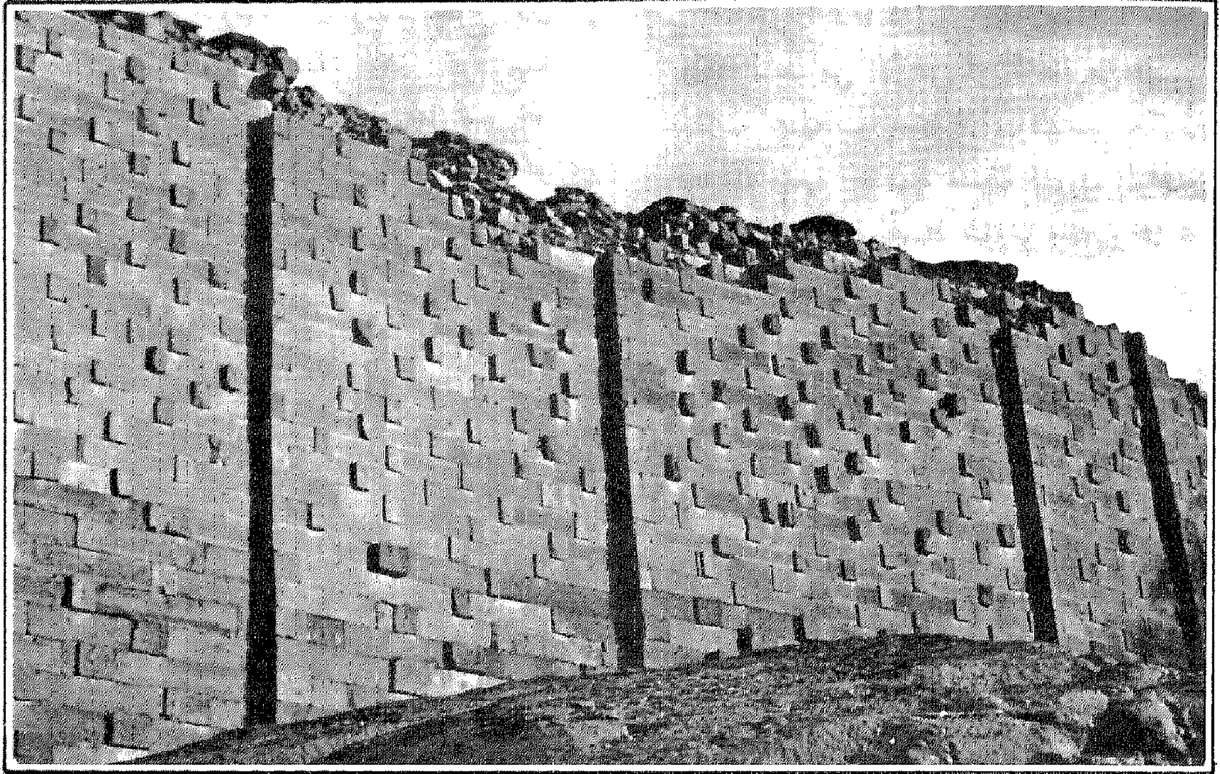
وقد اظهر التصوير الجوي ان الحقول التي كانت تستفيد من الري في وادي بيحان مثلاً، كانت منتظمة في اشكالها ويغلب عليها الشكل المستطيل، وكانت محاورها الطويلة تتعامد على اتجاه القناة او المصدر الرئيسي للمياه، بحيث تتمكن الحقول ان تحصل على حاجتها من مياه الري بدون ضياع.

وقد اتضح نتيجة للدراسات المختلفة انه كان ثمة عدد كبير من مناطق الطمي. فقد عددت البعثة المذكورة في تقاريرها المختلفة احد عشر موضعاً في وادي بيحان فقط.

انحسار الزراعة.. والحضارة

في الحقول كان المزارعون يزرعون الحبوب التي كانت تغذي القوم، ولعل احد الاسباب التي من اجلها ظلت دولة سبأ مدة اطول، وظلت العناية بسد مأرب بعد زوال وسائل الري الاخرى، هو ان الحبوب التي كانت تنمو في منطقة مأرب كانت تسد حاجة كبيرة للسكان بعد ان اهمل الآخرون الري والزراعة.

ويبدو ان وادي بيحان كانت تزرع فيه



بقايا سد مأرب

اشجار المر التي كانت عصارتها تنقل الى الشمال مع البخور والطيوب عبر الجزيرة الى غزة والبتراء ومصر ودمشق.

وقد مر بنا ان دولة قتبان انتهى امرها دولة مستقلة حول ايام المسيح. ومع ان تمنع قد احترق جزء كبير منها نتيجة لهجوم عليها، ومع ان المهاجمين كانوا من حضرموت، فان قتبان ظلت لها زراعتها وريها وهي تابعة للدولة الجديدة.

لكن الملاحظ ان الزراعة والري في وادي بيحان اخذا بالتأخر تدريجياً منذ القرن الاول الميلادي. والباحثون يرجحون ان السبب كان خارجياً. فقد مر بنا في مقال سابق ان مناطق جنوب الجزيرة كانت تعتمد على التجارة — البخور والمر والطيوب وغير ذلك — في ثروتها وقوتها. وكانت التجارة هذه حكراً على الاقوام المقيمة هناك.

الا انه منذ القرن الاول الميلادي اخذت التجارة هذه تنتقل عن طريق البحر الاحمر. تاركة قتبان وجيرانها، وكان التجار الان اليونان والرومان. فلما فقدت تلك الاماكن مصادر الثروة الرئيسية اخذت بالتأخر شيئاً فشيئاً حتى انتهى امرها واصبحت خبراً للتاريخ وزادا للاسطورة وعبرة للبشر.

والسؤال الذي يسأل الآن: هل كان اهتداء القوم الى وسائل الري — سدوداً وقنياً وهواويس (احواضا) صغيرة — شيئاً نشأ هناك ام انه نقل من الخارج؟

المناطق التي عرفت الري والتي كان لأجزاء مختلفة من الجزيرة العربية اتصال بها هي: وادي النيل وبلاد ما بين النهرين وحوض السند. ولكن الري في هذه ري نهري يعتمد على ماء مستمر او منتظم الوصول. له مواسم معروفة معينة. اما الري الذي تحدثنا عنه فري السيول. وهو موسمي بمعنى انه يأتي في وقت خاص في السنة.

ومن هنا فالذي يقول به المشتغلون بهذا الموضوع هو ان انظمة الري المعروفة في جنوب جزيرة العرب هي محلية في أصلها وتطورها. ولعلها

بدأت بملاحظة الارتباط بين ازدياد المنتوج وبين الطمي المتراكم في الاودية. فاهتم القوم بهذا الطمي بأن أقاموا منه سداً بسيطاً. أما السير نحو إتقان السد واقامة البناء الحجري لذلك، على نحو ما هو قائم في سد مأرب، فامر كان مرتبطاً بالتقدم الصناعي والفني في المنطقة. والواقع ان فن البناء كان متقدماً هناك، فكأن القضية كانت نقل المهارة من نوع من البناء الى نوع آخر.

بعض المدن القديمة

يقول المرحوم الدكتور جواد علي في مفتتح الجزء الثامن من كتابه الكبير «تاريخ العرب قبل الاسلام» عن المجتمع العربي الجاهلي ما يلي:

«المجتمع العربي»: بدو وحضر. أهل وبر وأهل مدر، يتساوى في هذه الحال عرب الشمال وعرب الجنوب وعرب جميع انحاء جزيرة العرب الأخرى.

وحياة الحضر على الأرض يزرعونها ويعيشون منها، او على التجارة او على الحرف الاخرى كالحرف اليدوية، ومن طبيعة هذه الحرف الاستقرار والاستيطان في ارض تكون وطناً ثابتاً للانسان... اما اهل الوبر، فهم رحل، يتنقلون طلباً للماء والكلأ والامتيار. ولذلك فموطنهم متنقل قلق غير مستقر.

ولما كانت طبيعة الجفاف هي الغالبة على جزيرة العرب، كان لهذه الطبيعة اثرها في حياة الناس. فغلبت البداوة على الاستقرار، واثرت في النظم والأراء السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحربية وفي سائر نواحي الحياة الأخرى. لقد حالت دون قيام المجتمعات الكبيرة القائمة على الاستقرار والاستيطان واستغلال الارض، وجعلت من الصعب قيام الدول الكبيرة في هذه البلاد، وتكوين حكومات تقوم على احترام حقوق جميع ابناء الحكومة دون نظر الى البيوتات والعشائر والقبائل والرئاسات.

«وفي الاماكن التي توافرت فيها المياه، المياه النابعة من الأرض او الهاطلة من السماء، نشأت مجتمعات مستقرة، وظهرت حكومات وهيآت مدنية حاكمة منسقة لشؤون المواطنين، استعانت بالكتابة لضبط شؤونها وللتعبير عما يجول في خواطرها. بقي بعضها، ومنها استخرجنا معارفنا بهم، وتاريخنا لأولئك الماضين.

«ومن هنا قامت الحكومات في الجزيرة العربية الجنوبية الغربية بوجه خاص... وهي حكومات كبيرة اذا قيست الى الحكومات التي قامت في الانحاء الاخرى من جزيرة العرب وكان لها عمر طويل بالقياس الى اعمار الحكومات الاخرى، التي لم تعمر طويلاً.

«ومعارفنا بحال هذه الممالك العربية الجنوبية حسنة بعض الحسن بالقياس الى معارفنا بالامارات العربية التي تكونت في اماكن اخرى من جزيرة العرب، وذلك بفضل النصوص والكتابات الجاهلية التي وصلت منها الينا، على حين ان الامارات والمشيخات التي تكونت في مواضع اخرى كانت شحيحة علينا غاية في الشح، فلم تعطنا نصوصاً تمكننا الاستفادة منها في تكوين رأى واضح في تلك الامارات والمشيخات. فاقتصر حديثنا عليها على ما ورد في الاخبار والروايات، وكلها بالنقل والرواية، لا بالكتابة والوثائق المدونة المكتوبة بخطوط ابناء تلك الاجيال.

«ولما كان مناخ العربية الجنوبية اكثرملاءمة وصلاحا للزراعة، ازدهرت منذ الالف الثاني قبل الميلاد حضارة راقية فيها، قامت على اساس الزراعة والتجارة. وآثار السدود التي استخدمها الانسان قبل الميلاد وبعده الى أيام الاسلام. والمدن المحصنة، والمعابد المشيدة وآثار القنوات والمزارع القديمة: كل اولئك شاهد على وجود مجتمع متحضر، نظم حياته تنظيماً يلائم المحيط الذي عاش فيه. وقد انشأ له حضارة زاهية في تلك الارضين».

هناك بضعة امور تلفت النظر في هذا النص المقتبس وهي :

اولا – ان المجتمعات الكبيرة المنظمة ظهرت في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة لان الأرض كانت خصبة معطاء ، والسماء وهابة . فانشئت هناك مدن كبيرة ، وشيدت فيها القصور الضخمة والهياكل الكبيرة ، وازدهرت صناعات وفنون .

ثانياً – ثمة مناطق في الجزيرة ، ولو انها كانت على درجة كبيرة من الجفاف ، قامت فيها مدن حول الواحات الغزيرة المياه لان الأرض هناك كانت تفيد من تلك المياه . والمدينة المنورة مثل على ذلك .

ثالثاً – قد تكون اماكن شحيحة المياه لكن وقوعها على طريق تجاري هام ادى الى قيام مدن هامة هناك اصبحت اسواقاً كبيرة . ومثلنا على ذلك مكة المكرمة .

رابعاً – ان الاماكن التي قامت فيها مجتمعات مستقرة كانت لها كتابة استخدمتها في النقوش . وهذه النقوش كانت ، لما اهتدى الباحثون اليها ، مصدراً رئيسياً للمادة التاريخية (اللغوية) التي وضعها هؤلاء الباحثون بين ايدينا .

خامساً – ان المناطق الاخرى كانت شحيحة في النصوص والنقوش . فضلاً عن ان اعمال التنقيب الأثري حديثة العهد فيها – مثل شرق الجزيرة .

سادساً – يلفت المؤلف نظرنا الى اعتماد الباحثين على «ما ورد في الاخبار والروايات» في تفسير تاريخ تلك المناطق . ونود هنا ان نقول ان هذه الاخبار والروايات كانت ، في احيان كثيرة ، مزيجاً من الاساطير بحيث ان فصل الصحيح من الغث ليس امراً سهلاً ، ان لم يكن امراً مستحيلاً .

على اننا ، مع ذلك ، نجد ان الجزيرة العربية عرفت ، في العصور القديمة عدداً كبيراً من المدن . بعضها استمر حتى بعد ظهور الاسلام ، والبعض الاخر منها لا يزال موجوداً الى الان . ولسنا نقصد ان نتحدث على هذه المدن بأجمعها في هذا المقال ، ولكننا نود ان نتحدث على هذه المدن بوجه عام ، آملين ان نعود الى تفصيل اخبار البعض من هذه المدن في المستقبل .

المدن التجارية شمال غرب الجزيرة

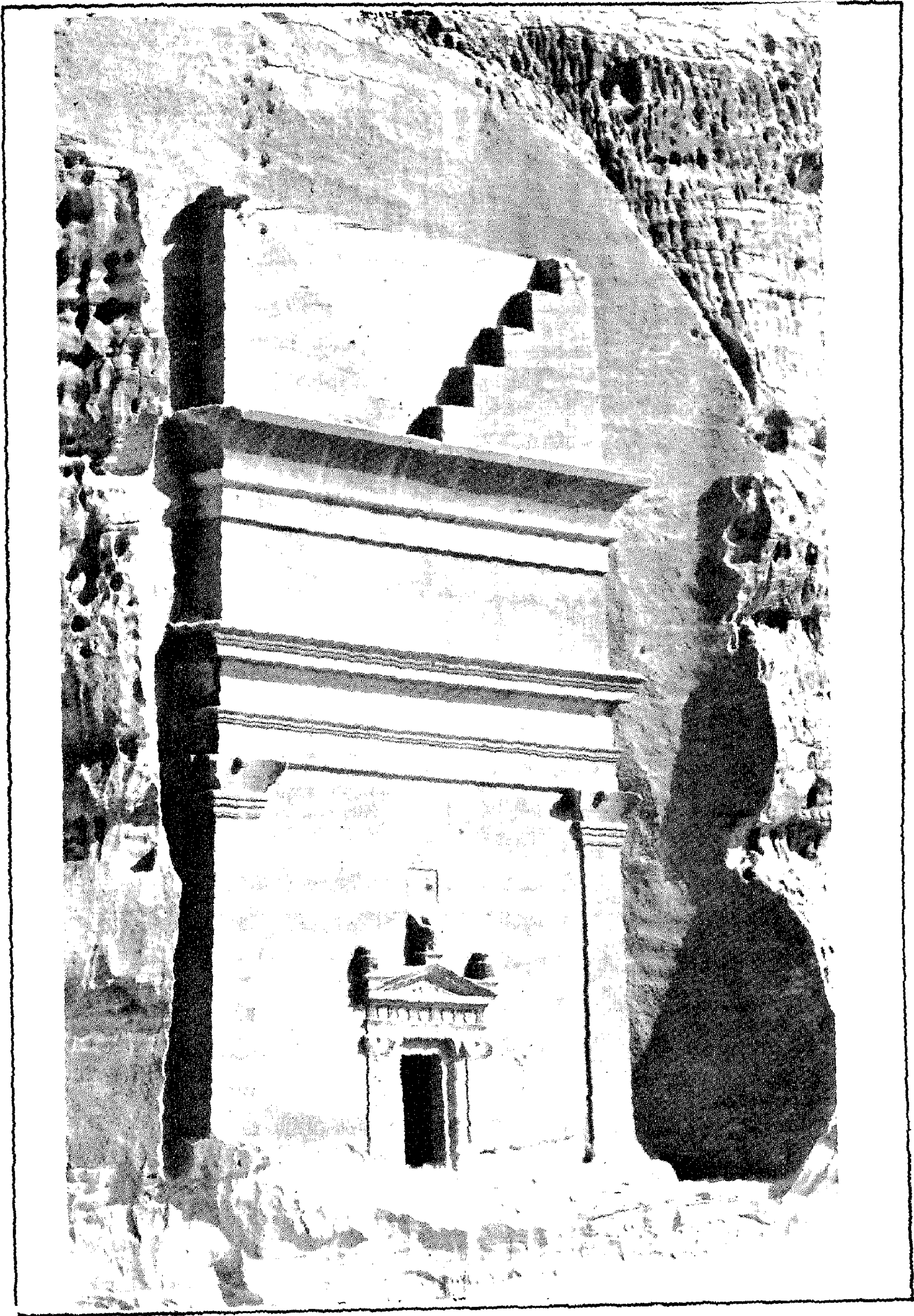
ونحن اذا اخذنا المنطقة الشمالية الغربية والوسطى من الجزيرة ، وجدنا عدداً من المدن يعود تاريخ انشائها الى عصور ما قبل التاريخ ، ولكنها كانت ذات قيمة تجارية خاصة في الفترة الواقعة بين القرن العاشر قبل الميلاد والعصور الاسلامية الاولى . ويعود ذلك اصلاً الى انها كانت على الطريق التجاري الرئيسي الذي كان يصل بين الشام (حيث كان يتفرع عند البتراء الى مصر) وبين اليمن عن طريق الحجاز .

وقد اصبح من المتعارف عليه عند الباحثين ان اهم هذه المدن هي :

– آرام او إرم التي ورد ذكرها في الكتابات القديمة والتي نستدل منها على ان العرب كانوا يقطنون فيها في القرن الثامن قبل الميلاد . وقد كانت اهميتها اصلاً انها على طريق البخور بين البتراء شمالاً ومدن الجنوب . وبعد الاسلام اصبحت مركزاً على طريق الحج :

٢ – القرية التي تقع على نحو سبعين كيلومتراً شمال غربي تبوك . وقد بلغت عصرها الذهبي ايام ازدهار دولة الانباط .

٣ – تيماء وهي ، فيما نعلم ، اقدم مدينة في تلك الرقعة من الجزيرة . وقد ورد ذكرها في نقوش اشورية ترجع الى سنة٧٣٢ ق.م . وقد كانت تيماء على طريق البخور الموصل الى الخليج العربي (وذلك بعد ان دخل الجمل الى تلك الجهات فغير اتجاه الطرق لانه يستطيع الصبر على العطش اكثر من الحيوان الذي سبقه وهو الحمار) . وقد كان



منظر تفصيلي لواجهة ضريح مرتفع في «قصر البنت»

لتيماء سور عرضه حول المترين وارتفاعه نحو ثلاثة امتار . ويبدو ان ابنيتها تأثرت بالفن الآرامي في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد . وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال عليها :

«تيماء» : بالفتح والمد : بليد في أطراف الشام ، بين الشام ووادي القرى ، على طريق حاج الشام ودمشق ، والابلق الفرد حصن السموأل بن عادياء مشرف عليها . وقال ابن الازهري : المتيم المضلل ، ومنه قيل للفلاة تيماء لأنها يضل فيها ، قال ابن الاعرابي : ارض واسعة ، وقال الأصمعي : التيماء الأرض التي لا ماء فيها ولا نحو ذلك . ولما بلغ اهل تيماء في سنة تسع وطء النبي صلى الله عليه وسلم ، وادي القرى ، أرسلوا اليه وصالحوه على الجزية وأقاموا ببلادهم وارضهم بأيديهم

٤ – الحجر (او مداين صالح) الواقعة الى الجنوب الغربي من تيماء التي كانت بالاضافة الى البتراء اهم مدينة في دولة الانباط . اما بناؤها فيعود ، على ما يرجحه الباحثون ، الى المعينيين ايام كانت تجارتهم تمتد طرقها واسواقها الى تلك المناطق .

٥ – وثمة العلا التي كانت ايضاً على الطريق التجاري الهام . مما حمل التجار ، والحجاج فيما بعد ، على اتخاذها نقطة استراحة لتجمع الماء بغزارة في الواحة المحيطة بها .

٦ – حري بنا ان نذكر ان شواطيء البحر الاحمر كانت فيها موانيء هامة يتخذها التجار مراكز لمتاجرهم ينقلونها من المراكز المذكورة آنفا اليها تمهيداً لحملها عبر البحر الى مصر. فهناك «ايلة» على رأس خليج العقبة وهناك ميناء «لويكةكومي» التي كانت تقع جنوبي ايلة . وقد ظلت هذه ميناء مستعملاً الى حول القرن الثالث للميلاد ، ثم انتزعت ايلة منها تجارتها ومكانتها . اما في العصور الاسلامية فقد قامت «ينبع» على مقربة منها ، وحصلت على شيء من مكانتها .

فاذا انتقلنا الى المنطقة الشرقية من الجزيرة . وجدنا انفسنا امام عدد اقل من المدن . ولكن السؤال الحري بأن يطرح هو : هل كانت تلك المناطق اقل مدنا في الواقع ، ام اننا لا نزال نجهل الكثير عن تلك المناطق؟ ولنأخذ على سبيل المثال كندة . فقد عرف التاريخ الادبي ملوكاً لكندة لعل آخرهم الشاعر المشهور امرؤ القيس ، ولكننا لم نقف بعد على آثار مدن هناك . او على الاقل لم نتأكد من ذلك بعد . واذن فالقضية الاساسية هي ان معرفتنا قليلة ومع ذلك فقد عرف التاريخ مدنا شهيرة كان لها ادوار هامة في التجارة وما الى ذلك .

ولنذكر على سبيل المثال

١ – «الابله» ، الواقعة على شمال الخليج العربي ، التي وصفها مؤلف كتاب دليل البحر الاحمر على انها سوق من الاسواق التجارية الهامة .. وكانت تصدر الى اليمن اللؤلؤ والتمر والبلح والذهب وقد سماها أبو لوغوس . اما الابله فهو الاسم العربي الاسلامي للمكان (د. جواد) . وقد وصفها الطبري المؤرخ بأنها كانت فرح الهند.

٢ – «جرها» الواقعة على ساحل الاحساء . وقد كان اهلها «من انشط الناس في التجارة ، يتاجرون في البحر والبر ، ويتاجرون مع الهند وسواحل ايران الجنوبية ، كما كانوا يتاجرون مع العربية الجنوبية وارض العراق . وكانوا قوماً اصحاب تجارة مسالمين لا يرغبون في الحروب» (د. جواد) . ومن المرجح ان «جرها» (او الجرعاء؟) كانت تقوم مكان العقير اليوم . ذلك هو الرأي القائم الان ، ولكن استمراره او تبديله متوقف على ما يظهره الرفش والمعول والعالم الأثري في المستقبل .

٣ – وهناك جبلة وهجر والقطيف ومسقط وعمان والبحرين (الجزيرة) . وهجر هي الاحساء

(الحسا) اليوم. وقد ورد ذكرها في النقوش الآجرية التي وجدت في بلاد بين النهرين. اما عمان فكانت مركز تصدير الفضة والنحاس. وكانت التاج تقع على الطريق التجاري بين مكة والحيرة.

والكثير من هذه المدن ورد ذكرها عند الجغرافيين العرب. فقد جاء في كتاب احسن التقاسيم للمقدسي عن بعض المدن الشرقية قوله «أمج صغيرة بها خمسة حصون اثنان حجر وثلاثة مدر والجامع على متن الطريق، وخليص متصلة بها، وبها بركة وقناة وتمور وخضر ومزارع. السوارقية كثيرة الحصون بها بساتين ومزارع كثيرة ومواشي. الفرع والسيرة حصنان بكل واحد جامع. جبلة كبيرة بها متاجر عليها حصن منيع يقال له المهد الجامع خارجه. مهايع نظير جبلة على اودية سابة. حاذة مدينة مليحة للبكريين بها عدة من الحصون وجامع كبير».

وقال ياقوت الحموي (في معجم البلدان) عن القطيف ما يلي:

«القـطـيف»: بفتح اوله، وكسر ثانية. فعيل من القطف وهي مدينة بالبحرين هي اليوم قصبتها واعظم مدنها وكان قديماً اسما لكورة هناك غلب عليها الان اسم هذه المدينة، وقال الحفصي: القطيف قرية لجذيمة عبد القيس، وقال عمرو بن اسوى العبدي:

وتـركـن عـنـتر لا يـقـاتـل
أهل القطيف قتال خيل تنفع

الحديث عن المدن الواقعة في المناطق الجنوبية من الجزيرة حديث طويل، وقد عرضنا لبعض هذه المدن في مقالات سابقة لمناسبة الحديث عن بلاد البخور والزراعة والري. والذي نود ان نفعله الان هو ان نجمل بعض خصائص المدن الجنوبية، آملين ان نفصل الحديث عن بعضها على الاقل في المستقبل.

اولاً- يغلب على المدن التي بنيت في الجنوب ان تكون مربعة او مستطيلة شكلاً، وزواياها شبه قائمة ان لم تكن قائمة تماماً. هذا هو الذي وجده الرحالة والبحاثة في مأرب وغربون (حضرموت) وشبوه وحريب ويليط (خريبة سعود) وقرناو (معين).

ثانياً- ثمة مدن بيضية الشكل اشهرها حاز وبيحان.

ثالثاً- يغلب على المدن ان تكون في أودية على ما نعرف عن الجوف ومأرب وحريب وثمناء- كحلان.

رابعاً- تقوم مدينة شبام على هضبة. وهناك بعض المدن بنيت على تلال صناعية لتجنب خطر الفيضان مثل يطل (براقش) وقرناو (معين).

وحرى بالذكر ان اليمن بشكل خاص بلاد غنية بالحجارة الصالحة للبناء ففيها الحجر الناري والرملي والغرانيت والمرمر (الالبستر). ومن هنا فقد كانت الابنية، الدينية وغيرها، يمكن زخرفتها كما ان بقاياها لا تزال قائمة الى الان. وها نحن اولاء ننقل وصفاً لبراقش (يطل) ومعين (قرناو) عن الدكتور احمد فخري (من كتابه اليمن ماضيها وحاضرها). قال المؤلف:

«ومدينة براقش من أهم الخرائب القديمة في بلاد معين وما زالت بعض معابدها مطمورة تحت الثرى لا يظهر منها الا القليل ولكن سورها هو اكثر اسوار المدن القديمة في اليمن احتفاظاً بشكله. وبراقش خالية الان من سكانها ولكنها في العصور الوسطى كان فيها جامع للصلاة وبقايا بعض المنازل التي شيدت فوق المباني القديمة».

«وزرت خرائب مدينة معين، ولا تبعد اكثر من ركوب ساعة واحدة من مدينة الحزم، وخرائبها هي ومدينة براقش اهم ما بقي من المدن المعينية في بلاد الجوف.»

«وهناك المدينة القديمة وحولها الاسوار وفي داخلها كثير من بقايا المعابد، وعلى بوابتها وعلى اسوارها كثير من النقوش. وفي خارج اسوار معين وعلى مسافة قريبة منها يوجد معبد آخر ربما كان لأحد الآلهة الشهيرة وهو الاله عشتر». ■



اسمها الأصلي ماري آن غروشلتز. وقد ولدت في مدينة ستراسبورغ الفرنسية. سنة ١٧٦١ ميلادية ومات أبوها وكان عمرها شهرين.

• قضت مدام تيسو أيام طفولتها في مدينة (برن) في سويسرا حيث كفلها خالها الدكتور كورت يوس. وكان هذا الطبيب فناناً يهوى عمل التماثيل من الشمع فاستهوت صناعة التماثيل الطفلة الصغيرة.

• انتقل خالها إلى باريس قبيل قيام الثورة الفرنسية وافتتح معرضاً لتماثيله وكانت ماري آن قد برعت في صناعة التماثيل براعة فاقت بها خالها وأستاذها ما جعله يطلق على متحفه اسم معرض ماري آن وكورت يوس.

• ذاعت شهرة هذا العرض فدعاها ملك فرنسا لويس السادس عشر وزوجته الملكة ماري أنطوانيت إلى الإقامة في القصر لعمل مختلف التماثيل للملك وزوجته وأفراد الحاشية.

• اندلعت نيران الثورة الفرنسية وأعدم الملك وماري أنطوانيت على المقصلة وقبض الثوار على مثالة القصر وعذبوها وحلقوا شعر رأسها ثم ألقوها في السجن لتقديمها للمحاكمة في اليوم التالي.

• كانت محاكمة ماري آن أغرب محاكمة تجري لفنان أو فنانة. فقد أنكر روبسبير الزعيم الثوري أنها مثالة وطلب منها تقديم الدليل على ذلك. واقترح يهودي اسمه دافيد ابراهام كان من أعضاء المحكمة أن يكون اختبارها بعمل تمثالين لرأس كل من لويس السادس عشر وماري انطوانيت.. واستحضروا الرأسين وما زالت الدماء الجافة عالقة بهما.. واضطرت المثالة المسكينة إلى عمل التمثالين من الشمع.. وكانا من الدقة لدرجة أن بعض أعضاء المحكمة حسبها الرأسين نفسيهما اللذين أطاحت بهما المقصلة فأخفى وجهه بيديه.

• وعلى الرغم من ذلك أبقاها روبسبير في السجن حتى سنة ١٧٩٤. ودارت الأيام دورتها وأخرجوها من السجن لكي تصنع تمثالاً لرأس روبسبير نفسه بعد أن أعدم على المقصلة وتجرع الكأس التي سقاها للآخرين.

• تزوجت سنة ١٧٩٥ من فنان خامل الذكر اسمه فرنسوا تيسّو. فاشتهرت بلقبه الذي حملته بعد زواجها، ورزقت منه بولدين ثم سافرت إلى بريطانيا ولبثت هناك حتى ماتت في سنة ١٨٥٠ وهي في التاسعة والثمانين من عمرها.

• حافظ ابنها فرنسيس على تراثها الفني، وهو التراث الذي تعتز به فرنسا الآن اعتزازاً كبيراً، إذ أن تماثيلها هي أصدق سجل لشخصيات الثورة الفرنسية.

اتفاقية الهدنة اللبنانية - "الاسرائيلية"

(٢٣ آذار - مارس ١٩٤٩)

الاتفاقية اغفلت ذكر الطرفين تفاديًا للاعتراف بالكيان الصهيوني

العقيد الدكتور ياسين سويد

في التاسع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٧ أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارها رقم ١٨١ (٢) القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية. وهو القرار الذي رفضته الدول العربية مجتمعة وأعدّت العدّة لمقاومة تنفيذه بقوة السلاح. وتنفيذاً لهذا القرار وفي الساعة الرابعة من بعد ظهر الرابع عشر من أيار (مايو) عام ١٩٤٨ وفي متحف الفن الحديث في تل ابيب حيث كان المجلس القومي اليهودي يعقد جلسته التاريخية. أعلن بن غوريون قيام الدولة اليهودية على أرض فلسطين اعتباراً من الساعة الصفر من يوم ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ وهي الساعة التي حدّدها البريطانيون لانهاء انتدابهم على فلسطين وجلائهم عنها. وفي هذا الوقت المحدّد لولادة الدولة اليهودية. أي في منتصف ليل ١٤ - ١٥ أيار (مايو) نفسه. زحفت الجيوش العربية تجاه فلسطين مخترقة حدودها من كل جانب ومعلنة الحرب على الدولة الوليد.

إلاّ أن القتال لم يستمر سوى أقل من شهر (١٥ أيار «مايو» - ١١ حزيران «يونيو»). إذ تدخّل مجلس الأمن الدولي وفرض على المتحاربين هدنة قبلها العرب رغم انها لم تكن لمصلحتهم. بل كانت لمصلحة اليهود الذين استغلوها لاعادة تنظيم صفوفهم واستعادة قواهم التي زعزعتها الفترة الأولى من الحرب. وذلك باستقدام كميات كبيرة من الذخائر والأسلحة بما في ذلك المصفحات والدبابات والمدافع والطائرات. ثم نشب القتال من جديد بين الجيوش العربية واليهود الذين نقضوا الهدنة فور ان أنسوا لديهم القدرة على استئناف القتال. غير عابئين بأوامر المنظمة العالمية. واستمر القتال عشرة أيام فقط (٨-١٨ تموز-يوليو-) تمكن اليهود خلالها من تحقيق انتصارات والحصول على مكاسب على حساب الجزء المخصص لانشاء الدولة العربية على أرض فلسطين وفقاً لقرار التقسم المشار اليه.

وقد تمكن مجلس الامن من فرض الهدنة من جديد على المتحاربين بعد ان استولى اليهود على «ثلاثة أضعاف المناطق التي كسبها العرب خلال الشهر الأول من القتال» . (حسب رأي كيرك KRIK في كتابه :

The Middle East: 1945-1950

واستمرت الهدنة الثانية من ١٨ تموز (يوليو) الى ١٨ ايلول (سبتمبر) حين نقضها اليهود مستأنفين القتال هذه المرة بقوات عجز العرب جميعاً عن الوقوف في وجهها . وسواء كان هذا العجز ناتجاً عن ضعف حقيقي في جيوشهم أم عن تواطؤ بعضهم مع الدول الكبرى صاحبة القرار في انشاء الدولة اليهودية . فقد كان الهجوم الكبير الذي شنه اليهود على القطاع العربي من فلسطين في منتصف تشرين الاول (اوكتوبر) عام ١٩٤٨ فرصة لهم لا تعوض لكي يوسعوا رقعة دولتهم فيضموا اليها مناطق النقب والجليل والعقبة والمثلث الصغير (طولكرم– نابلس – جنين) وبعض قرى لبنان الجنوبي (ومن هذه القرى : بليدا وميس الجبل ومركبا ومحيبيب وكفركلا والقنطرة وعديسة والطيبة وتل النحاس ورب الثلاثين والجنان والحولة التي قتل منها وحدها في هذا الهجوم اكثر من تسعين نسمة) . وان يجبروا الجيوش العربية بالتتابع . على ان تنكفىء تحت ضغط التواطوء العربي الرسمي والدولي .

جيش لبناني وليد

وكان لبنان قد دخل هذه الحرب وهو يملك جيشاً حديث التكوين بلغ عديده زهاء خمسة آلاف جندي . وهو الجيش الذي كان قد آل اليه في الاول من آب (أغسطس) عام ١٩٤٥ بعد نيله الاستقلال وانسحاب الجيوش الفرنسية من أراضيه (مضافا اليه بعض الوحدات التي انشئت خلال الاعوام الثلاثة من بدء الاستقلال) وكان هذا الجيش الصغير منظماً على الشكل التالي :



٢٣ آذار (مارس) . رأس الناقورة : المقدم جوزف حرب (إلى اليمين) والعقيد توفيق سالم (لم يظهر وجهه) يوقعان على إتفاقية الهدنة وخلفهما مجموعة من المراقبين الدوليين.

- ٤ كتائب مشاة (تقدر الكتيبة بنحو ٥٠٠ عسكري)
- بطارية مدفعية ميدان ١٠٥ ملم.
- بطارية مدفعية مضادة للطائرات ٧٥ ملم.
- كتيبة مصفحات (تسع مصفحات)
- كتيبة دبابات (تسع دبابات)
- سرية اطفاء
- سرية المقر العام
- سرية خيالة
- سرية هندسة واشارة
- سرية نقل.
- فوج من المجاهدين

انشيء (فوج المجاهدين) في بدء القتال وسلمت قيادته الى النقيب اللبناني محمد زغيب الذي استشهد في معركة المالكية. الا انه لم يشترك من هذا الجيش في القتال سوى ثلاثة آلاف فقط، بينما ظل الباقي منه، وهو الفان، داخل الأراضي اللبنانية للمحافظة على الامن في البلاد وحماية مؤسساتها ومرافقها الحيوية، وقد خصص لهذا الجيش، وفقا لخطة القيادة العربية الموحدة في ذلك الحين، القطاع الاوسط من الجبهة اللبنانية، محور المالكية- الجليل الشرقي، والقطاع الغربي من تلك الجبهة، محور الناقورة- نهاريا، فتمركزت قواته في قطاع عيترون- بليدا- بنت جبيل، وفي الناقورة بأتجاه نهاريا، وقامت ببعض العمليات الحربية الصغيرة. الا ان اهم معركة خاضها الجيش اللبناني في هذه الحرب هي معركة المالكية التي جرت بتاريخ ٥-٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٨، والتي انتهت بانتصاره واسترداد المالكية من اليهود (اشترك في هذه المعركة من الجيش اللبناني، كتيبة المشاة الثالثة بقيادة المقدم جميل الحسامي، فصيلة مدفعية ٧٥ ملم، سرية مدرعات، ومفرزة هندسة) الا أن المالكية لم تبق بيد العرب بعد ان تسلمها جيش الانقاذ من الجيش اللبناني ثم فقدها بعد معركة خاسرة مع العدو. وقد التزم لبنان، خلال الحرب بالهدنتين الاولى والثانية، كما التزم، بعدها، بالهدنة الدائمة الاخيرة، ولا يزال.

الهدنة الثالثة.. والنهائية

فكيف تم التوصل الى عقد هذه الهدنة الدائمة (الثالثة والاخيرة) بين العرب واليهود؟ في السادس عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٨، صدر عن مجلس الامن قرار رقم ٦٢ يدعو الدول المتحاربة في فلسطين الى اقرار هدنة دائمة بينها في جميع انحاء فلسطين وهذا نصه:

«ان مجلس الامن، اذ يعيد تأكيد قراراته السابقة بشأن اقامة وتنفيذ الهدنة في فلسطين. ويشير بصورة خاصة الى قراره رقم ٥٤ (١٩٤٨) الصادر في ١٥ تموز-يوليو- (١٩٤٨) الذي قرر ان الوضع في فلسطين يشكل تهديداً للسلام ضمن معنى المادة ٣٩ من ميثاق الامم المتحدة، ويحيط علماً بأن الجمعية العامة تواصل النظر في مستقبل الحكم في فلسطين تلبية لطلب مجلس الامن بموجب قراره رقم ٤٤ (١٩٤٨) الصادر في ١ نيسان- ابريل- (١٩٤٨) ودون اجحاف بأعمال الوسيط بالوكالة بالنسبة لتطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٦١ (١٩٤٨) الصادر في ٤ تشرين الثاني- نوفمبر- (١٩٤٨) (يطلب هذا القرار من كل مصر «واسرائيل» سحب قواتهما إلى الحدود التي كانا يحتلانها في ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٨. وقد أذعنت مصر لهذا القرار ونفذته. أما الدولة الصهيونية فلم تذعن ولم تنفذ)،

١ - يقرر أنه لأجل إزالة التهديد للسلام في فلسطين ولتسهيل الانتقال من الهدنة الحاضرة الى السلام الدائم في فلسطين ستقام هدنة في جميع قطاعات فلسطين.

٢ - يدعو جميع الاطراف ذوي العلاقة المباشرة في النزاع في فلسطين. كتدبير موقت إضافي بموجب المادة ٤٠ من الميثاق. الى السعي للاتفاق



اللفتنانت كولونيل مردخاي ماكليف (إلى اليمين) يوقع على إتفاقية الهدنة باسم حكومة «اسرائيل». والى اليسار الجنرال رايلي قائد القوات الدولية التي أشرفت على التوقيع. وظهر خلفهما النقيب منير حمدان الذي أصبح فيما بعد مفتشاً عاماً في وزارة الدفاع اللبنانية برتبة عميد.

حالا عن طريق المفاوضات التي تجري اما مباشرة او بواسطة الوسيط بالوكالة لأقامة هدنة دائمة فورية تشمل:

أ- رسم خطوط هدنة دائمة لا يجوز لقوات الاطراف المعنية المسلحة تخطيها.

ب- القيام بما يلزم من سحب وتخفيض لقواتها المسلحة لتأمين المحافظة على الهدنة الدائمة فى أثناء الانتقال إلى السلام الدائم في فلسطين، واستناداً إلى ما ورد في القرارين المذكورين اعلاه (القرار رقم ٤٤ تاريخ ١ نيسان- ابريل- ١٩٤٨. الذي يدعو الجمعية العامة الى عقد دورة استثنائية للبحث مجدداً في مسألة مستقبل الحكم في فلسطين، والقرار رقم ٦٢ تاريخ ١٦/١١/ ١٩٤٨ الذي يؤكد هذه الدعوة من جديد في معرض قراره لهدنة دائمة في فلسطين)، التأمت الجمعية العامة بتاريخ ١١/١٢/١٩٤٨ واصدرت قراراً رقم ١٩٤

٣- انشأت بموجبه «لجنة توفيق» تابعة للامم المتحدة مهمتها القيام بدور الوسيط في فلسطين وتنفيذ توجيهات الجمعية العامة ومجلس الأمن بهذا الصدد. بما في ذلك تسهيل عودة اللآجئين الفلسطينيين الى ديارهم. واتخاذ التدابير اللازمة «بغية معاونة الحكومات والسلطات المعينة لاحراز تسوية نهائية لجميع المسائل المعلقة». بين الاطراف المتنازعة. فقد كانت صلاحيات هذه اللجنة تتلخص إذن بثلاث: التوسط، والتوفيق. وتنفيذ قرار العودة. وقد باشرت هذه اللجنة مهامّها في لوزان في سويسرا (اعتباراً من ١٧/١/١٩٤٩) حيث وصلت وفود كل من سوريا ولبنان ومصر وشرقي الاردن والعدو. واستمرت هذه المحادثات قرابة ثمانية اشهر (من ١٧/١/٤٩ لغاية ١٥/٩/١٩٤٩).

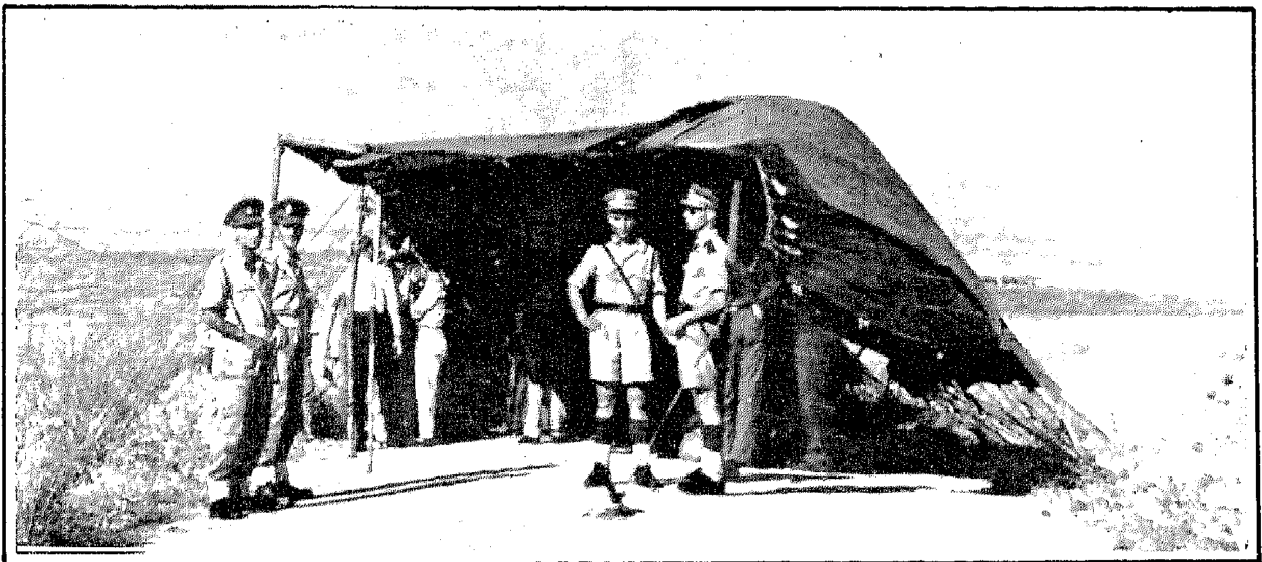
الدول العربية واحدة بعد الاخرى

الا ان المفاوضات بين الدول العربية والعدو

الصهيوني كانت قد بدأت قبل ذلك بستة اشهر تقريباً، بدأها الوسيط الدولي الكونت فولك برنادوت في جزيرة رودس في حزيران (يونيو) من العام ١٩٤٨، واشترك فيها من عرب فلسطين المحاميان أحمد الشقيري وهنري كتن. الا أن هذه المفاوضات تعثرت مما حمل الوسيط الدولي على مغادرة الجزيرة الى نيويورك للتباحث مع مسؤولي الأمم المتحدة فيما يجب عمله، ثم جمدت ريثما يعود الوسيط الدولي من رحلته. وانتقل برنادوت من نيويورك الى أرض المعركة في فلسطين متابعا مهمته للتوسط بين العرب واليهود فيها، وكان الرجل على جانب كبير من النزاهة والحياد والتجرد، فاذا بمنظمة «شتيرن» الصهيونية الارهابية تغتاله في الحي اليهودي في القدس بتاريخ ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ وذلك لأنه في اليوم السابق لاغتياله (١٦ ايلول- سبتمبر-) بعث الى المستر تريغفلي الأمين العام لهيئة الامم المتحدة باقتراحات لحل القضية الفلسطينية اعتبرها اليهود غير متفقة مع مطامعهم. فكلفت المنظمة الدولية ممثل الأمين العام للأمم المتحدة في فلسطين الدكتور رالف بانش اتمام المهمة. فأشرف هذا على استئناف المفاوضات بين الوفدين المصري والصهيوني، ثم بين الوفود العربية والوفد العدو. ولم يمض زمن طويل على بدء هذه المفاوضات حتى كانت وفود الدول العربية المفاوضة، تنجرّ الواحد منها بعد الآخر، الى طاولة مشتركة لتوقيع الهدنة المنشودة، فتوقع مصر تلك الاتفاقية في رودس بتاريخ ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٤٩، ويليها لبنان فيوقعها في رأس الناقورة بتاريخ ٢٣ آذار (مارس) من العام نفسه، ثم الاردن فيوقعها في رودس بتاريخ ٣ نيسان (ابريل)، واخيراً سوريا التي وقعتها في التل رقم ٢٣٢ بالقرب من مهانايم على الحدود السورية الفلسطينية بتاريخ ٢٠ تموز (يوليو).

ولم تدع باقي الدول العربية الى توقيع مثل هذه الاتفاقية باعتبار ان ليس لديها حدود مشتركة مع فلسطين وبالتالي لم تشترك مع العرب في حربهم ضد العدو باستثناء العراق الذي رفض توقيع اتفاقية الهدنة وأوكل أمر ذلك الى المملكة الاردنية الهاشمية.

وكان لبنان البلد الثاني بعد مصر، الذي وقع اتفاقية الهدنة وقد تم ذلك بعد مفاوضات بين الفريقين استمرت أكثر من شهرين من ١٩ كانون الثاني (يناير) حتى ٢٣ آذار (مارس) ١٩٤٩ حسب رواية الأستاذ عارف العارف (بينما يذكر الفريق أول صالح صائب الجبوري رئيس أركان الجيش العراقي في هذه الفترة انه تلق بتاريخ ٢٨



خيمة الهدنة على طريق طبريا - الشام - من كتاب «العشر سنين الأول» تأليف والترايتان - لندن ١٩٥٨ -

كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ اتصالاً هاتفياً من الزعيم رئيس اركان الجيش السوري يومذاك ينبئه فيه ان مفاوضات تجري بين اللبنانيين واليهود في الناقورة لعقد هدنة بينهما، وانه اكد له ذلك في اتصال هاتفي آخر في ٣٠ من الشهر نفسه. وقد جرت هذه المفاوضات في اجتماعات متتالية بين المتفاوضين، مرة في رأس الناقورة (الناقورة الانكليزية) في الجانب المحتل من الحدود، واخرى في الناقورة الفرنسية، في الجانب اللبناني من الحدود الجنوبية للبنان. وقد اشترك في المفاوضات عن الجانب اللبناني ثلاثة من ضباط الجيش هم: العقيد توفيق سالم والمقدم جوزف حرب والنقيب منير حمدان بالاضافة الى المستشار القانوني للوفد الاستاذ محمد علي حماده، واشترك فيها عن الجانب الصهيوني كل من الكولونيل مردخاي ماكليف ونبوشواع بيلمان وشبطاي روزين، ووقعها عن الجانب اللبناني العقيد توفيق سالم، كما وقعها عن العدو أعضاء الوفد الصهيوني الثلاثة. والطريف في الأمر أن العقيد توفيق سالم رئيس الوفد اللبناني قد وقّع على هذه الاتفاقية في المكان المخصص لوفد العدو، كما وقّع الوفد الصهيوني في المكان المخصص لوفد لبنان (انظر صورة الصفحة الأخيرة من الاتفاقية).

بنود الأتفاقية اللبنانية «الاسرائيلية»

وتتضمن الاتفاقية المعقودة بين لبنان والعدو ثماني مواد وملحقا خاصا بتعريف القوات الدفاعية على جانبي الحدود، وتجدر الاشارة الى ان الطرفين يعترفان بأن الاعتبارات العسكرية وحدها هي التي أملت أحكام هذه الاتفاقية (المادة الثانية- الفقرة ٢). ويتعهد طرفا الاتفاق (في المادة الاولى) بعدم اللجوء الى القوة العسكرية لتسوية القضية الفلسطينية كما يتعهدان بأن يحترم كل واحد أمن الآخر وحريته ويقرّان بضرورة قيام هدنة دائمة بينهما «كمرحلة ضرورية في سبيل تسوية النزاع المسلح وإعادة السلم الى فلسطين»، ويؤكدان (في المادة الثانية) الاعتراف بمبدأ عدم جواز تحقيق أي امتياز عسكري او سياسي من جراء هذه الهدنة كما يدركان بأن هذا الاتفاق يجب ان لا يمس حقوق ومطالب أي من الفريقين أو مواقفه في التسوية السلمية والنهائية للمسألة الفلسطينية، ويتعهد كل طرف (المادة الثالثة) بعدم القيام وعدم السماح بأي عمل من الاعمال الحربية أو شبه الحربية ضد الطرف الآخر، ويعترف الطرفان (المادة الرابعة) بخطوط ثابتة للهدنة بينهما يجب أن لا تتعداها القوات المسلحة لكل منهما، وتحدد (المادة الخامسة) خطوط الهدنة هذه «بالحدود الدولية بين لبنان وفلسطين»، كما يتعهد كل منهما بتقليص قواته على جانبي هذا الخط الى قوات «دفاعية» في خلال فترة عشرة أيام من توقيع الاتفاقية، وتوجب (المادة السادسة) على طرفي الاتفاق تبادل اسرى الحرب فيما بينهما وتحدد شروط عملية التبادل هذه، وتنشيء (المادة السابعة) لجنة مشتركة للهدنة باشراف مندوب عن مراقبي هيئة الأمم المتحدة. كما تحدد شروط اجتماع هذه اللجنة وصلاحياتها ومسؤولياتها وكيفية اتخاذ القرارات فيها.

اما (المادة الثامنة) والاخيرة فتحدد شروط العمل بهذا الاتفاق وكيفية تطبيقه، كما تتيح لأي من الفريقين إمكان إعادة النظر باحكام الاتفاق او وقف تنفيذ اي من هذه الاحكام، في اي وقت كان ضمن شروط محددة (ماعدا المادتين ١و٣).

وينتهي الإتفاق بعبارة «وقع في رأس الناقورة في ٢٣ آذار مارس عام ١٩٤٩ بحضور الممثل الشخصي لوسيط الأمم المتحدة الخاص في فلسطين بالوكالة، ورئيس أركان هيئة الرقابة على الهدنة التابعة للأمم المتحدة»، ويلي ذلك التواقيع، واستناداً إلى إتفاق الهدنة هذا (المادة الخامسة) سحب العدو قواته من القرى اللبنانية التي كان قد احتلها خلال الهجوم الذي شنه على جنوبي لبنان في ١٧ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩٤٨.

5. This Agreement is signed in quintuplicate, of which one copy shall be retained by each Party, two copies communicated to the Secretary-General of the United Nations for transmission to the Security Council and to the United Nations Conciliation Commission on Palestine, and one copy to the Acting Mediator on Palestine.

DONE at Ras En Naqoura on the twenty-third of March nineteen forty-nine, in the presence of the Personal Deputy of the United Nations Acting Mediator on Palestine and the United Nations Chief of Staff of the Truce Supervision Organization.

FOR AND ON BEHALF OF THE GOVERNMENT OF ISRAEL	FOR AND ON BEHALF OF THE GOVERNMENT OF THE LEBANON
Signed:	Signed:

صورة الصفحة الأخيرة من إتفاقية الهدنة (النص الإنكليزي) ويبدو إلى اليسار توقيع العقيد توفيق سالم. نيابة عن الحكومة «الإسرائيلية» ! وإلى اليمين توقيع اليهود باسم الحكومة اللبنانية ! خطأ لم يعرف من المسؤول عنه. ويعتقد أن الفريقين سبق لهما أن وقعا على النسخة الفرنسية. وظنا أن ترتيب التوقيعات مماثل في النسخة الإنكليزية.

أما الملحق الخاص بقوات الدفاع فيحدد القوات الدفاعية اللبنانية بكتيبتين وسريتين من مشاة الجيش النظامي اللبناني، وبطارية ميدان واحدة مؤلفة من ٤ مدافع وسرية واحدة مؤلفة من ١٢ سيارة خفيفة مصفحة ومسلحة بمدافع رشاشة، و٦ دبابات خفيفة ومسلحة بمدافع خفيفة، ولا يتجاوز عديد هذه الوحدات جميعها ١٥٠٠ ضابط وجندي. أما قوات «الدفاع» العدوة فتحدد بكتيبة مشاة واحدة وسرية مساندة واحدة وستة مدافع هاون وستة مدافع رشاشة وسرية إستطلاع واحدة وست عربات مصفحة وست سيارات جيب مصفحة وبطارية مدفعية ميدان واحدة مؤلفة من ٤ مدافع وفصيلة هندسة ميدانية ووحدات خدمة للتموين والمعدات ولا يتجاوز عديد هذه الوحدات جميعها ١٥٠٠ ضابط وجندي.

كما يفرض هذا الملحق على كل من الطرفين أن لا ترابط أية قوات عسكرية إضافية غير القوات الدفاعية الوارد ذكرها ضمن خطوط محددة كما يلي:

على الجانب اللبناني: في أية نقطة إلى الجنوب من الخط العام، القاسمية ـ النبطية التحتا ـ حاصبيا.

على الجانب الآخر: في أية نقطة إلى الشمال من الخط العام، نهارياً ـ ترشيحا ـ الجش ـ ماروس.

تفادياً للإعتراف «بإسرائيل»

ومما يجدر ذكره أن أياً من إتفاقات الهدنة الموقعة بين الأطراف العربية والعدو، لم يذكر بوضوح إسمي الفريقين المعنيين بها، ويذكر الأستاذ عارف العارف، نقلاً عن الدكتور حليم أبو عزالدين رئيس الدائرة السياسية في وزارة الخارجية اللبنانية عام ١٩٥١ أن أسماء الفرقاء قد أهملت من الإتفاقية عمداً وذلك «بإصرار من لبنان الذي لم يشأ أن يعترف «بإسرائيل»، لذا، استهلت كل من هذه الإتفاقيات بالنص التالي: «إن الفريقين في هذه الإتفاقية، تنفيذاً لقرار مجلس الأمن الخ».

ويصف الأستاذ محمد علي حمادة المستشار القانوني للوفد اللبناني إلى المفاوضات، الجو الذي ساد حفلة توقيع الإتفاقية في الناقورة، كما يلي: «....وصل الوفد اللبناني قبيل الساعة التاسعة، ثم أقبل ممثلو الأمم المتحدة برئاسة الجنرال رايلي. من على الشرفة، كانت الانظار متجهة صوب الأرض المحتلة، وأعضاء الوفد «الإسرائيلي» وهم يصعدون برفق وحذر المسلك الوعر والوحيد الرابط بين الموقعين العسكريين على الحدود (يقصد الناقورة الإنكليزية والناقورة الفرنسية)، يتقدم الوفد «الإسرائيلي» خبير يمسك بكاشفة الغام لأن الجيشين زرعا الألغام في منطقة تقارب مساحتها كيلومتراً مربعاً.

«دخل ماكليف يتبعه بيلمان وروزين، وابتسامة خفرة ترتسم على شفاههم، فاستقبلهم كبير المراقبين الدوليين. أما اللبنانيون فقد وقفوا في جمود ينم عما كان يتفاعل في نفوسهم من مشاعر الألم والأسى، إقتصرت التحية المتبادلة على إيماءة خاطفة بادرها ماكليف بإتجاه العقيد سالم، ثم تقابل الوفدان حول طاولة مستطيلة جلس على رأسها الجنرال رايلي الذي بدأ فوراً تلاوة مشروع إتفاق الهدنة نصاً كاملاً، ثم أخذ بعد ذلك يقرؤها بنداً بنداً. لقد أراد لبنان أن يدخل في الإتفاق مادة صريحة يضمنها إعترافاً لا لبس فيه بحدوده السياسية، واحتدم الجدل حول هذه النقطة مما أطال الجلسات عدة أيام...».

الأمنية الصهيونية التي لم يحققها العدو

وفي الذكرى السنوية الأولى للتوقيع على إتفاقية الهدنة تلقى كل من العقيد توفيق سالم ومحمد علي حماده، كتاباً من شبطاي روزين يعرب فيه «عن سعادته بما تحقق في إجتماعات الناقورة، ويرجو إقتراب اليوم الذي تتحقق فيه أمنيته في زيارة لبنان الجميل بمصايفه ومشاتيه». ولا عجب إذا انتاب الوفد اللبناني في هذه الإجتماعات «الألم والأسى»، إذ يذكر الصحافي عادل مالك الذي أورد هذا الوصف في كتابه (من رودس إلى جنيف) أن رياض الصلح رئيس الوزراء اللبناني حينذاك، ورئيس الوفد اللبناني إلى إجتماع للدول العربية تم في عمان، قبيل الموافقة على المفاوضات مع العدو، كان أول الرافضين لعقد هدنة مع العدو، وأنه أرغم على القبول بها بعد أن كان رد بعض العرب على موقفه الرافض للهدنة: حاربوا وحدكم.

كما أكد رغبة لبنان في عدم القبول بالهدنة وسعيه لاستئناف القتال، مذكرة سرية نشرها الأستاذ عارف العارف (في كتابه النكبة ج ٣) وهي موجهة من رئيس الوزراء اللبناني رياض الصلح نفسه إلى مزاحم الباجحي رئيس وزراء العراق آنذاك، يشرح له فيها مقابلة جرت بينه (أي رياض الصلح) وبين الملك عبد الله ملك الأردن في عمان، ويخلص فيها إلى القول إن الأردن عازم على الخروج نهائياً من ساحة القتال، وان الجيش العراقي القوي كفيل بسد الثغرة التي سيتركها إنسحاب الجيش الأردني من المعركة. ويؤكد رياض الصلح في هذه المذكرة أنه «لم أقبل وقف القتال إلا بعد غيري» وأنه «لا مناص من القتال» كما أنه «لا بد من توحيد القيادة».

وقد كان هناك خلاف بين العرب واليهود على تفسير إتفاقات الهدنة هذه، إذ اعتبر اليهود أن



أعضاء الوفد المصري لحظة وصوله إلى رودس من كتاب «العشر سنين الأول» تأليف والترايتان – لندن ١٩٥٨ –

هذه الإتفاقات تنهي حالة الحرب القائمة بينهم وبين الدول العربية الموقعة عليها، بينما كان التفسير العربي والدولي، بالتالي، لهذه الإتفاقات. يناقض تماماً التفسير الصهيوني لها. وقد فسر قرار الأمم المتحدة الصادر بتاريخ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ هذه الإتفاقات بأنها «تدبير موقت إضافي بموجب المادة ٤٠ من الميثاق»، مرهون بإعادة نظر الجمعية العامة «في مسألة مستقبل الحكم في فلسطين» (قرار رقم ٦٢ تاريخ ٤٨/١١/١٦ معطوفاً على القرار رقم ٤٤ تاريخ ١ نيسان –إبريل– ١٩٤٨). كما فسر السيد محمود رياض (الأمين العام لجامعة الدول العربية، واحد أعضاء الوفد المصري في مفاوضات رودس) في حديث مع الصحافي اللبناني عادل مالك، هذه الإتفاقات بأنها ترتكز، من جانب الدول العربية، على نقطتين أساسيتين، أولاهما الإصرار على أن لا تمس هذه الإتفاقات بحقوق الدول العربية عامة والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني خاصة، وثانيها إعتبار هذه الإتفاقات موقتة وعسكرية، أساسها وقف إطلاق النار فقط، دون أي طابع سياسي. يؤكد ذلك ما سبق وأوردناه في المادة الثانية من الإتفاقية (فقرة ٢).

وقد تغلب في النهاية التفسير العربي والدولي لهذه الإتفاقات، نظرياً وبالممارسة. ولكن لمصلحة العدو طبعاً، خاصة وأنه لم يحترم هذه الإتفاقات في أية مرحلة من مراحل العمل بها ومنذ توقيعها حتى اليوم.

أما فيما يختص بلبنان، فقد حاول العدو مراراً التملص من هذه الإتفاقية خاصة بعد أن بدأت المقاومة الفلسطينية تزاول نشاطها الثوري داخل الأرض المحتلة إنطلاقاً من الحدود اللبنانية– الفلسطينية وبعد حرب حزيران يونيو عام ١٩٦٧، وتحديداً في ٤ آب (أغسطس) من العام نفسه حين أعلن وزير خارجية العدو رسمياً الغاء إتفاقية الهدنة المعقودة مع لبنان. إلا أن لبنان أصر مراراً، بلسان وزير خارجيته تارة، وبلسان مندوبه لدى الأمم المتحدة تارة أخرى، على التلمسك بهذه الإتفاقية، رغم تنكر الكيان الصهيوني لها، ولا يزال حتى اليوم، مصراً على اعتبارها قائمة بينه وبين العدو.

المراجع

«النكبة»، لعارف العارف، ج ١ – ٥.

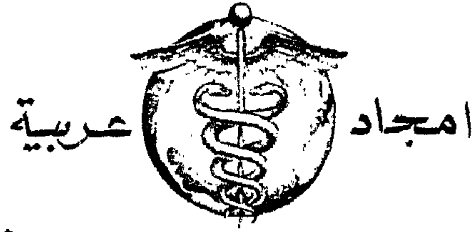
«القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني»، لقيادة الجيش اللبناني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية – ببيروت.

نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، لعام ١٩٧٢

«قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين» ١٩٤٧ – ١٩٧٢ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت

«من رودس إلى جنيف»، لعادل مالك.

«محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية» لصالح صائب الجبوري. ■



الطب العربي من ١٠٠٠ سنة

٩٠٠ طبيب خاص في بغداد ولا طبيب واحد في حوض الراين

عفاف الرشيدي الخضر

اذا أردنا أن نلقي أضواء على مستوى مستشفيات العرب منذ ألف سنة وما كان يقابلها من مستشفيات في أوروبا ، فانه يمكن الاعتماد على ما جاء في وصف المؤرخين لاعادة رسم الصورة على الشكل التالي :

«رسالة» من مريض في مستشفى المنصوري لأبيه

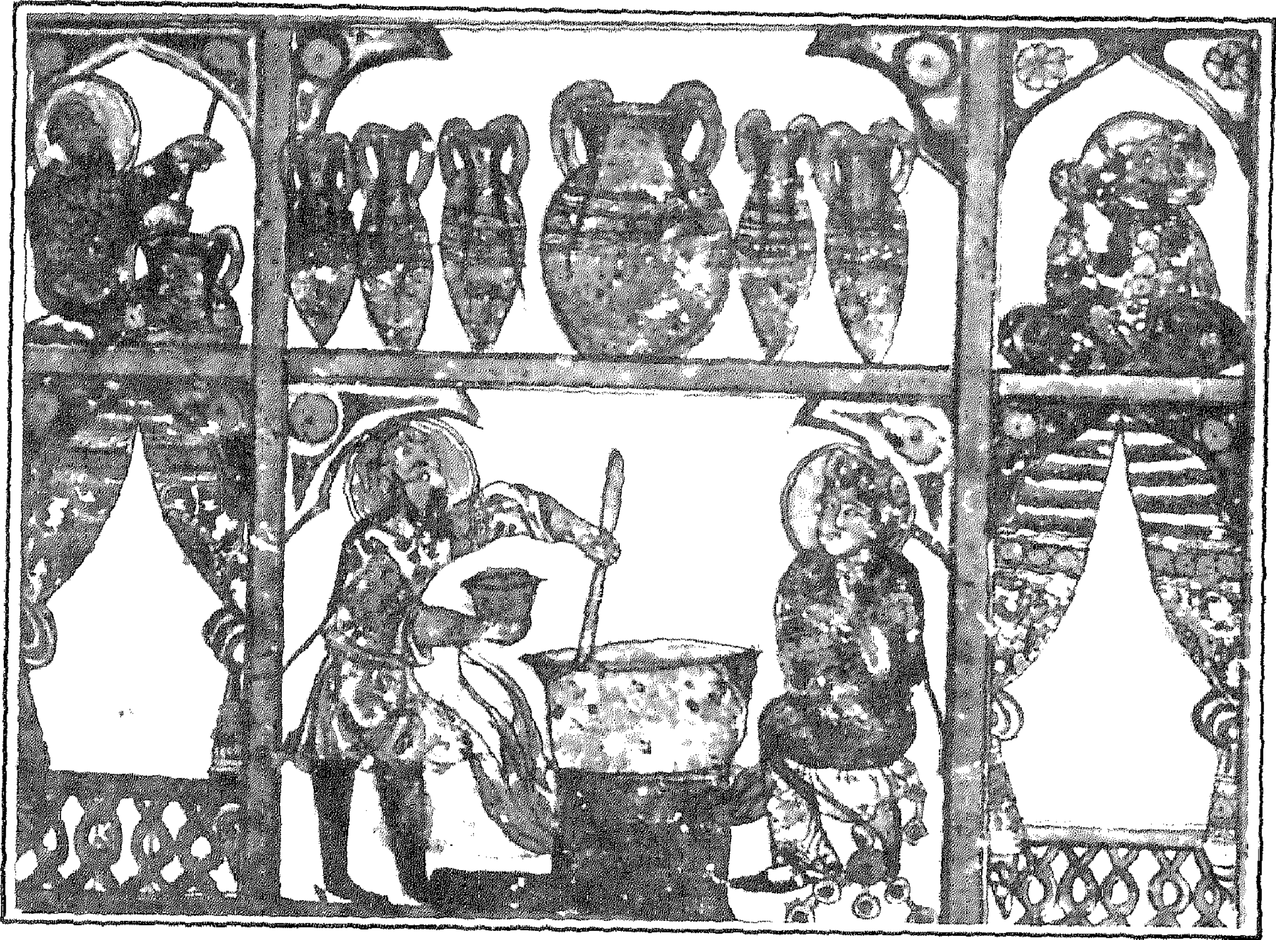
والدي العزيز :

■ انك تسأل اذا كنت تحضر لي نقوداً عند زيارتك . والواقع أنني عندما أغادر المستشفى ستصرف لي ادارته كسوة جديدة وتسلمني خمس قطع ذهبية انفق منها عقب خروجي ، حتى لا أضطر إلى العمل وأنا في حاجة إلى الراحة فترة النقاهة . فأنت يا والدي لست بحاجة إلى بيع ماشية من مواشيك ، ولا بحاجة لتستدين . والشيء الوحيد الذي أطلبه منك سرعة المبادرة ، وإذا أردت زيارتي حيث أقيم ، فأنا الآن في قاعة ذوي العاهات إلى جانب حجرة العمليات . والوصول اليها سهل يسير . عندما تدخل من الباب الرئيسي للمستشفى اتجه إلى القاعة الخارجية جهة الجنوب وهي المصحة الشعبية التي نقلت اليها عقب سقوطي وهناك يكشف على المريض مساعدو الأطباء وبرفقتهم الطلبة . أما المريض الذي لا يحتاج إلى علاج داخلي في المستشفى فيحصل على كشف بالدواء الذي يحتاج اليه ، ويتناوله من صيدلية المستشفى . وبعد الكشف عليّ ، كتب اسمي في سجل المستشفى وعرضت على كبير الأطباء ، وقد حملني ممرض إلى قسم الرجال بعد أن أدخلني الحمام والبسني ملابس نظيفة للمرضى .

وعلى يسارك تجد المكتبة والقاعة الكبرى للمحاضرات حيث يدرس كبير الأطباء ، الطلاب . أما الطريق في جهة اليسار من فناء المستشفى فيؤدي إلى قسم النساء . لذلك يجب عليك أن تلتزم دائماً ناحية اليمين ماراً بقسم الأمراض الباطنية ، وقسم الجراحة . وعندما تسمع موسيقى أو غناء في قاعة من القاعات فانظر إلى داخلها فقد أكون في القاعة النهارية للاستجمام والترويح عن النفس . حيث نجد كتباً وموسيقى للتسلية .

زارني صباح اليوم كبير الأطباء ، ومعه مساعدوه والممرضون . وكشف وشرح لي – بعد أن أملى على طبيب القسم شيئاً لم أفهمه – انني قد أغادر السرير غداً وأترك المستشفى . والواقع يا والدي انني لا أريد مغادرته ، فكل شيء هنا في غاية النظافة والجمال : الأسرة وثيرة واغطيتها من

عفاف الرشيدي الخضر: مدرسة علم الاجتماع في المدارس التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية .



— من كتاب «الحشائش وخواص العقاقير» (مكتبة آيا صوفيا . استنبول)

القماش الدمشقي الأبيض وعليها أخرى هشة ناعمة كالقطيفة . وفي كل غرفة ماء جار وفيها تدفئة تستخدم شتاء .

أما وجبة الطعام فغالباً ما تتكون من الطيور أو شواء الضأن لأولئك الذين تحتمل صحتهم مثل هذا . ان جاري قد تمارض نحو اسبوع طلباً للبقاء في المستشفى ليتمتع بلحم صدر الفراخ . إلا أن كبير الأطباء تبينه وأخرجه من المستشفى بعد أن تأكدت له جودة صحته . فقد أكل رغيفاً وفرخة كاملة . . .

الحالة التي يصورها الخطاب الموجه من ابن مريض الى أبيه تستطيع أن ننسبها إلى القرن العشرين الذي كثيراً ما نشيد به . والواقع ان هذه الرسالة تصور مستشفى من المستشفيات الكثيرة التي كانت منتشرة في مختلف أنحاء العالم الاسلامي قبل ألف عام من الهيمالايا إلى البرنس . في هذا الوقت كانت أوروبا تعيش في جحيم القرون الوسطى ، اذ كان الجهل يلف العقول بغشاوة يندى لها جبين الانسانية خجلاً . وهاكم صورة عن حالة المستشفيات في أوروبا في منتصف القرنين التاسع والعاشر الميلاديين .

مستشفى أوتيل دييه في باريس

فمن أوائل المستشفيات الأوروبية حسب قول شاهد عيان ، ومن أحسنها ذلك المستشفى المعروف في باريس باسم «أوتيل دييه» ، أي فندق الله . وهذا المستشفى كما تصفه المراجع رصفت أرضه بالطوب المغطى بالقش حيث يزدحم المرضى . . أقدام هؤلاء إلى جانب رؤوس أولئك ، والأطفال إلى جانب الشيوخ والنساء بجوار الرجال . . وأصحاب الأمراض المعدية مع غيرهم جنباً إلى جنب . كما نجد نساء قد جاءهن المخاض وأطفالاً



– من كتاب «دعوة الأطباء» (١٢٧٣م) . أبو أيوب الكحال يغلبه النعاس (مكتبة الأمبروزيانا)

من المغص يتلوون، ومصابين بالحمى يهذون ومرضى بالسل يسعلون، وآخرين بالأمراض الجلدية ينهشون. ولا تسل عن قذارة المستشفى وكثرة الهوام والحشرات وشكوى المرضى مما اضطر القائمين على المستشفى إلى فتح أبوابه ليلاً نهاراً ليتسنى لذوي المرضى زيارتهم وإطعامهم، هذا الطعام الذي أودى بحياة كثير من المرضى، وذلك لغياب الأشراف الطبي السليم..

أما تهوية المستشفى فقد كانت من الرداءة مما اضطر الممرضين وغيرهم إلى وضع اسفنجة مبللة بالخل على أفواههم. أما جثث الموتى فقد كانت تظل في أماكنها أياماً حتى تنقل.

أشهر المستشفيات في العالم الاسلامي

حتى منتصف القرن العاشر، نجد في قرطبة مثلاً خمسين مستشفى، أما بغداد، فقد فاقت غيرها، واشتهرت بمستشفياتها منذ عهد هارون الرشيد. مواقعها قد أحسن اختيارها صحياً، وزودت جميع غرفها ومحال الغسل فيها بالمياه الجارية المأخوذة من مياه نهر دجلة. وعندما شرع السلطان عضد الدولة في بناء مستشفى جديد كلف الطبيب المشهور الرازي باختيار أنسب مكان وأصحه. فأمر الرازي غلمانه بأن تعلق في كل ناحية من بغداد شقة لحم، واعتبر الموضع المنشود هو الذي لم يفسد فيه اللحم.

وفي القاهرة حول صلاح الدين قصراً من قصوره إلى مستشفي. وبني داراً للشفاء أو مارستان وهو مستشفى كبير معروف باسم المنصوري. وقد وعد ببنائه متى اعتلى عرش الحكم وقد وفى بوعده. وصرف عليه مالاً كثيراً حتى جاء أحدث وأكمل مستشفى على سطح الكرة الأرضية في ذلك العصر. وفي دمشق، المستشفى النوري، اسمه نور

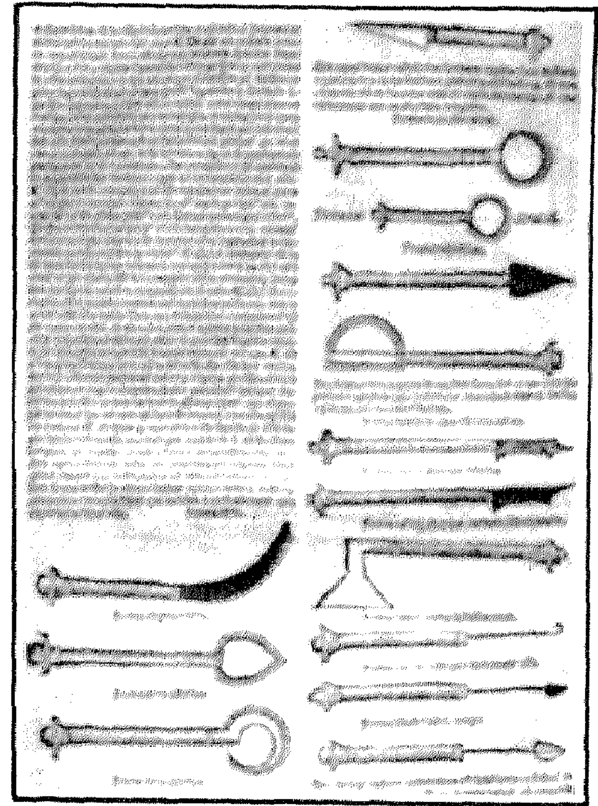
بالأمانة والكفاية، ومع ذلك كانوا تحت مراقبة الدولة. وادارة المستشفى غالباً ما تكون بيد أمير. والسلطان يحرص على معرفة ما يجرى في المستشفى عن طريق التفتيش أو الاستجواب.

المستشفيات العربية : مدارس عالية للطب

في المستشفيات العربية، كان الطبيب يطبق النظري بالعملي. ويحدثنا ابن أبي أصيبعة في «طبقاته» ان الطلبة في دمشق كانوا يرافقون الاستاذ عند زيارته للمرضى فيدرسون عملياً مختلف الحالات ويسمعون المناقشة بين رئيس الأطباء وزميل له مشهور، فالفائدة من الزيارة مزدوجة : الدرس أولاً ونظام المستشفي ثانياً. مثل هذا النظام لم يعرفه العالم من قبل، اللهم الآ في العصر الحديث. ولحرص الدولة العربية على المصلحة العامة لم تكن تسمح لطبيب بمزاولة عمله إلا بعد أن يؤدي امتحاناً نظرياً وعملياً وتمنحه الدولة اجازة. وهذا النظام كان متبعاً أيضاً في الاندلس. ومع هذا يبقى الطبيب دائماً تحت رقابة الدولة.

ويذكر المؤرخون ان تاريخ تشريع الحصول على مثل هذه الشهادة يرجع إلى عام ٩٣١ م. وذلك في عهد المقتدر اذ علم ان طبيباً بغدادياً ارتكب خطأً نتج عنه موت المريض، فأمر باجراء امتحان لكل طبيب يزاول مهنة الطب، عدا الاطباء الذين يعملون في مستشفيات الدولة. فتألف عند ذلك مجلس الأطباء وعيّن سنّان بن ثابت رئيساً له. والجدير بالذكر ان عدد الأطباء في بغداد الذين يعملون خارج المستشفيات الحكومية آنذاك بلغ نحو ٩٠٠ طبيب.. في الوقت الذي لم يكن فيه يوجد طبيب واحد في حوض نهر الراين.

وكانت مجالس الأطباء تعقد في المستشفى لدراسة الحالات النادرة والمعقدة وذلك لتجنب الوقوع في الأخطاء ولصحة تشخيص المرض والعلاج، وأكبر المستشارين سناً من بين الأطباء يرئس المجلس وأصغرهم سناً يسجل المحضر.

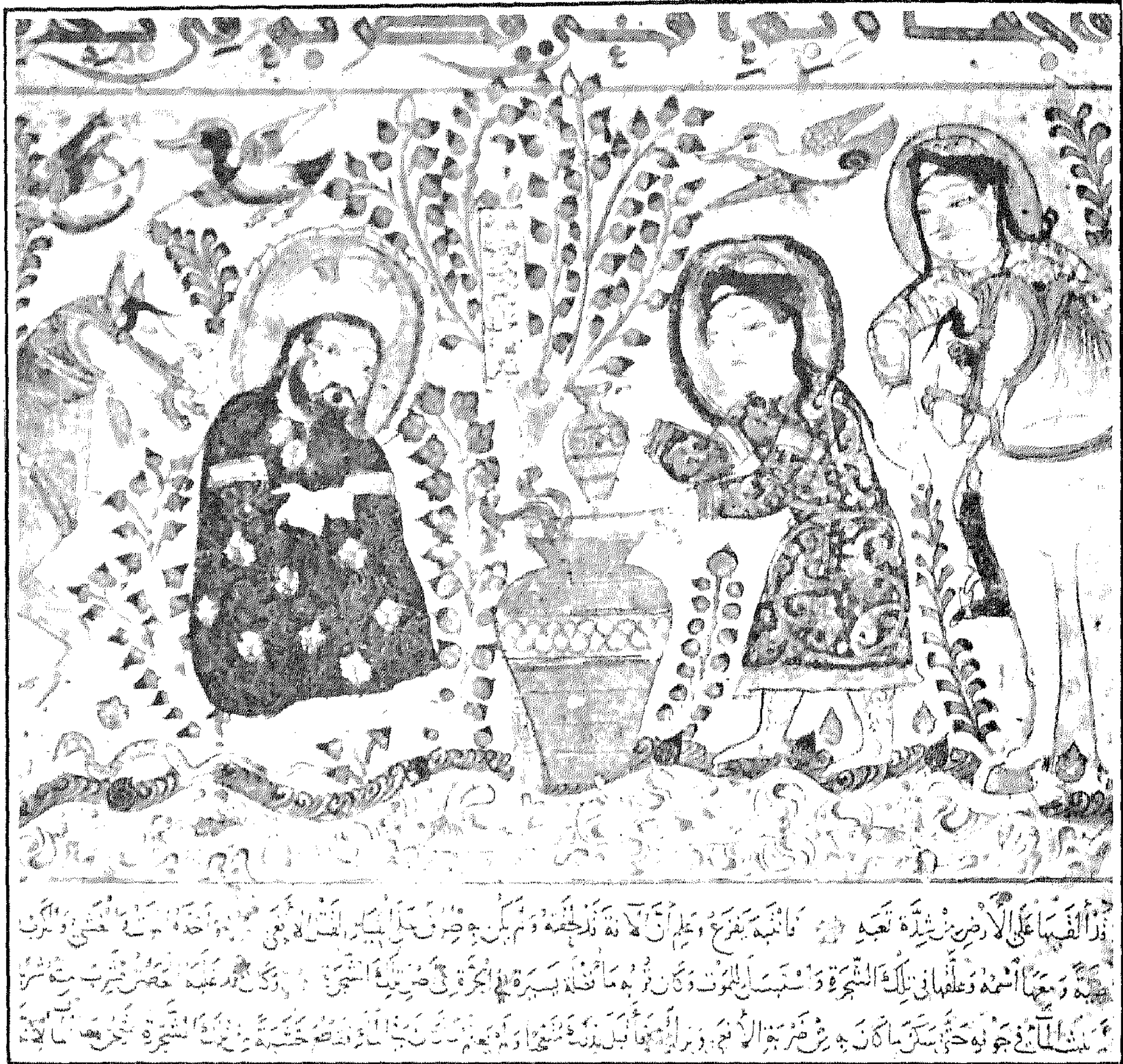


مقالة الزهراوي كما ترجمها بيترا أرجيلانا عام ١٥٣١ حول الأدوات الطبية والجراحية عند العرب

الدين زنكي (١١٤٦ - ١١٧٤) وقد شيده من فدية من أحد ملوك الافرنج كان قد سجنه. وليس السلاطين والخلفاء هم الذين شيدوا المستشفيات فحسب بل كذلك الأطباء مثل سنّان بن ثابت وثابت بن سنّان وحفيد الفلكي ثابت بن قرة. فقد أسسوا أيضاً المصحات ودور الاسعاف المتنقلة. وكذلك مستشفيات للأسرى. وفي عام ٩٢٣ م أسس الوزير ابن الفرات في بغداد من ماله الخاص مستشفى لموظفيه حيث يعالجون مجاناً سواء أكانوا أغنياء أم فقراء ولا يدفعون شيئاً نظير اقامتهم في المستشفى. وحتى العلاج كان يصرف لهم مجاناً. وعلاوة على ذلك يتناول المرضى الملابس والنقود للانفاق على الخصوصيات لمدة شهر بعد ترك المستشفى.

فمن أين كان يدفع جميع هذا؟

مستشفى المنصوري مثلاً كان يحتاج إلى مليون درهم سنوياً يؤخذ من ايرادات املاك الدولة. وادارة الاملاك كانت في يد اناس مشهود لهم



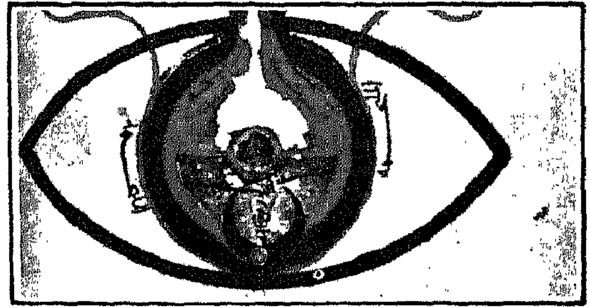
من كتاب «الترياق» لسمي جالينوس (١١٩٩م) – دار الكتب القومية . باريس .

في قسم الجراحة في احدى المستشفيات الاسلامية :

في طليعة جراحي المسلمين أبو القاسم الزهراوي . إذ كانت تعاليمه ومعلوماته ووسائله وآلاته أساساً متيناً بنيت عليه صروح الجراحة الحديثة. فلقد توصل جرّاحو العرب في صدر العصور العباسيّة إلى إجراء عمليات بطرق فنية وعلمية في غاية الدقة والنجاح سبقوا فيها بعض جراحي العصر الحديث .

ويبدو أن أبا القاسم الزهراوي كان أول من ربط الشريان لوقف النزف بخيوط من الحرير وأول من خاط الأعضاء بخيوط مصنوعة من الامعاء وأوتار العود . كما أوصى بجعل الطرفين الاسفلين أعلى من الرأس حين اجراء العملية الجراحية للبطن فسبق بذلك العالم تران دي لانبورغ الذي اخترع الوصفة حاملة اسمه .

وعند اجراء العمليات الجراحية الكبرى يساعد الطبيب زميله كما هو الحال اليوم . فيقوم أحد الأطباء بعملية التخدير وذلك بواسطة قطعة من الاسفنج مبللة بالحشيش أو زهرة البسلة ومن ثم يضعها أمام أنف المريض . وثالث يجري العملية



رسم تخطيطي لتركيب العين في احدى رسائل الطبيب العربي الشهير حنين بن اسحق.

بكل عناية ودقة وحذر عندما يستعمل المبضع. فالجرح يجب أن لا يكون كبيراً جداً ولا عميقاً جداً. أما المساعد فعليه أن يحجز الجلد بجرافة صغيرة دقيقة. وبعد التأكد من أخذ التدابير الضرورية يسرع الجراح بالعملية، وها هو يعمل بخفة ومهارة ليخلص الخراج من النسيج المحيط به وهو يعرف، ان عليه الانتباه إلى عدم اتلاف وعاء أو فصل عصب. فاذا أصاب عرقاً عليه أن يربطه بعناية حتى لا يغمر الدم موضع العملية فيعوق اجراءها وعليه أن يتحسس الخراج بيده ثم يعمل على استئصاله وجميع البقايا ثم يعيد الجلد إلى موضعه ويقوم بعملية الخياطة بأعصاب قطة. هكذا كان يعلّم علي بن العباس.

ويذهب علي بن العباس إلى أبعد من ذلك فيقرر ان الطب لا يفيد في حالة السرطان فهو يطالب الجراح بانتزاعه من العضو المصاب. وعلى الجراح أن يزيل كل ما حول السرطان حتى لا يبقى له جذور في الجسم. لذلك تجب العناية الكاملة عند اجراء مثل هذه العملية.

صيدلية المارستان:

لو تسنى لنا التطلع إلى رفوف الصيدلية العربية في المارستان لشاهدنا قوارير العقاقير وقد كتب عليها اسماؤها الطبية. ولعرفنا مدى اطلاع العرب الواسع في هذا المضمار. كانت مهنة الصيدلة فناً منظماً فلا يحق لصيدلي ممارستها إلا اذا حمل ترخيصاً رسمياً بالممارسة. أو اذا كان اسمه مدرجاً في جدول الصيادلة.

ولا شك في انهم كانوا يستوردون العقاقير النباتية الهندية، وكذلك العقاقير الأوروبية التي هي من أصل نباتي أو حيواني من البلاد المتوافرة فيها. ولم يجدوا في ذلك صعوبة، اللهم إلا صعوبة المواصلات لاتساع رقعة الامبراطورية الاسلامية في ذلك الحين...

لقد عرفوا خصائص مواد كثيرة واهميتها في المعالجة كالقرفة، جوز الطيب، والصندل، والكافور وجوز القيء. والحنظل، والتمر الهندي والمسك وخانق الذئب والسنامكة. كما كانت مركبات الزئبق والافيون معروفة قبل اشتغالهم بالصيدلة. وقد اهتدى ابن سينا إلى طريقة تغليف بعض الأدوية – خاصة تلك التي تؤخذ بطريقة البلع – وذلك للتخفيف من طعم الدواء على المريض فيريحه من طعمها الكريه. وتمكننا مشاهدة بعض القوارير الخاصة في المارستان وقد حملت اسماء لبعض المخدرات لازالة الألم أو تخفيفه كالافيون والحشيش والزؤان وست الحسن. وهناك الترياق المقاوم للسموم.

وأخيراً، لا بد هنا من ذكر الصفات الخلقية التي كان يتمتع بها الطبيب العربي في اثناء ممارسته لعمله الانساني في المستشفى. تلك الصفات التي جعلت من الطبيب العربي عالمياً بلا منازع. وجعلت منه مثلاً وقدوة لأطباء أوروبا فيما بعد. كان بعيداً عن التعصب والتحيز. يلتزم بسرية المهنة، ولا يميز بين جنس وجنس وكان يسعى للبحث العلمي والتطور، وتحقيق المنهج العلمي السليم في مجالات العلوم الطبية وذلك من أجل خدمة الانسان كانسان لا حباً في جاه ولا طمعاً في مال

وبعد. فما هذه السطور إلاّ من بحر العلوم عند العرب. أردت بها أن أبين الابجدية العربية في التفوق الفكري الذي سبقنا الغرب إلى تبيانه وقراءته مفيداً منه. معجباً به. مقراً بفضله ■

قاموس اقتصادي



التضخم المالي

إذا ارتفعت الاسعار نتيجة لزيادة كمية النقود بالنسبة إلى كمية السلع والخدمات . تدهورت قيمة النقود وساد التضخم . فالتضخم يظهر كلما زادت وسائل الشراء لدى الأفراد دون أن تزيد كمية السلع بالنسبة نفسها .. وثمة نظريات كثيرة في تفسير التضخم . أبسطها وأكثرها رواجاً . النظرية الكمية التي تعزو التضخم إلى زيادة في كمية النقود بالنسبة إلى كمية السلع والخدمات . وهذا هو جوهر التضخم . أما الاقتصادي « كينز » ، فيرد كل محاولة تضخم الى ارتفاع نفقات الانتاج والأسعار دون أن تصحبه زيادة في حجم الانتاج .

ويدعو «كينز» إلى ما يدعوه بالتضخم الجزئي . وفيه تصطحب زيادة كمية النقود . زيادة في نفقات انتاج الوحدة وزيادة في حجم الانتاج في الوقت نفسه . مثل هذا التضخم الجزئي ليس تضخما بالمعنى الصحيح فهو تشجيع للصناعة . ويقع غالباً في فترات الانتعاش ..

ويرى الاقتصاديون ان التضخم يؤدي إلى نتائج غير مرضية . فهو يضر بالانتاج . ويشجع على المضاربة . ويحفز على الضياع الاقتصادي . ولا يشجع على الارتفاع بمستوى الكفاية . ولا على الادخار . ومن ثم ينقص من الاستثمار ويؤخر النمو . ويهبط بمستوى المعيشة . ويسلب المال من بعض الأفراد ويتيح مكاسب فورية لغيرهم .

غير ان بعض الاقتصاديين يرى ان الضرر الذي يحدثه التضخم مبالغ فيه . ويقول مثلاً . أن الولايات المتحدة مرت بتجربة تضخم يرقى الى مضاعفة مستوى أسعار السلع . ومع ذلك فخلال تلك الفترة وتمتد بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٦٠ حدثت التنمية الاقتصادية بخطى سريعة .

وهنا يلاحظ أن الدول التي تتعرض للتضخم لا تقف أمامه ساكنة وانما تتخذ من التدابير ما تراه كفيلاً بالحد منه . ومنعه من التطور الى أبعاد خطيرة . وثمة وسائل وأسباب منوعة تعمل على مكافحة التضخم :

١ – فيلاحظ ان الانتاجية تعوق التضخم . اذ عندما يزداد الناتج لكل رجل – ساعة تنقص نفقة الوحدة من العمل في عمليات الانتاج (ما لم تزد معدلات الأجور بالنسبة نفسها . عندما تبقى نفقة الوحدة من العمل على ما هي عليه دون تغيير) .

٢ – امتصاص القوة الشرائية . أي ابعاد الدخول الزائدة عن أسواق الاستهلاك واجبار الأفراد على الادخار ومنعهم من انفاق مدخراتهم ومن وسائل ذلك الضرائب وتوظيف المدخرات في سندات الدولة . إلا انه يجب أن تكون للدولة رقابة كافية على مجموع الانتاج والتداول والتوزيع والاستهلاك .

٣ – من أهم الخطوات التي ينبغي اتخاذها للتقليل من ميل النمو الاقتصادي إلى رفع مستوى الأسعار . تعاون الموظفين جميعهم . بغض النظر عن مراتبهم . في مختلف المشروعات . وبصورة فعالة . على خفض النسبة بين نفقات الأجور والمرتبات وبين المبيعات . وكذلك ينبغي استئصال بعض العوامل التي تساعد على التضخم مثل العمل . واستبعاد الأعمال غير الضرورية أو غير النافعة في استخدام أيد عاملة لا ضرورة لها أو التي تبذل القليل في المشروعات والمنشآت .

تاريخ المجوهرات (١)

الحلى كانت أحرازاً لرد الشرور
فن فرعوني وآشوري ارثه اليونان والرومان

متى سمعان بوري



الحلي في القرن السادس عشر: إيزابيلا كلارا أوجينيا، كما رسمها الفنان سانشيز كويللو سنة ١٥٧٠

■ أول من استعمل الحلي والمجوهرات هم قدماء المصريين وكانوا يتمتعون بحذاقة ومهارة في هذا المضمار لم يستطع أن يجاريها أي من شعوب العالم. واستطاعوا أن يصنعوا أشكالاً متعددة من الحلي تتمتع بالجمال والدقة في العمل. حتى أن صناعة الحلي والمجوهرات في أيامنا هذه أخذت وتأخذ الكثير من هذه الأشكال والرسومات وأصبحت من الأشكال التي تلقى رواجاً خصوصاً بين من يبحثون عن الأشياء القديمة من طبقة القادرين على تنويع حلاهم ومجوهراتهم. أما تاريخ بدء المصريين بهذه الصناعة فهو القرن العشرين قبل الميلاد. وكانت النساء يتحلين بنماذج مختلفة من الحلي بعضها يضعنها في الرقبة وبعضها في المعصم وفي الأصابع وعلى الرأس. حتى الأوراك كن يطوقنها بأشكال من الحلي. أما المعادن التي كانت تستعمل في ذلك العهد فهي الذهب والفضة فقط. وكانوا يضيفون إليها بعض الأحجار التي كانت معروفة في ذلك الحين كالفيروز وحجر الدم واللابيس والكارنت والكريستال الصخري والزجاج الملون وكانوا يفضلون تعدد الألوان في الحلية فيستعملون أحجاراً من جميع الألوان في قطعة واحدة. وفي بعض الأحيان كانوا يخلطون الذهب الصافي ببعض المواد كي يصبح لونه أحمر أرجوانياً، ويصيغون من الذهب حبيبات صغيرة كحبة الحمص وغيرها من الأشكال ثم يثقبونها من الجانبين ويدخلون فيها خيطاً أو ما شابه حتى تصبح قلادة يضعونها في الرقبة ويلبسونها متباهين بها.

وكان المصريون يصنعون هذه الحلي بما كان يتيسر لديهم من أدوات بدائية تأخذ منهم الوقت الطويل لإنجازها. وكانوا يضيفون إلى حبيبات الذهب الأحجار الملونة لكي تضفي عليها بريقاً وجمالاً. أما الخواتم فكانوا يضعون في وسطها حجر الجعران وهو يشبه الجيز ولونه أخضر وهو موجود إلى الآن في مصر. وفي الفترة ما بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد درجت عادة وضع الأقراط في الأذنين. فكانوا يثقبون الأذن ويدخلون القرط فيها كما تفعل النساء في عصرنا هذا. ثم بدأوا استعمال الصدف والعظام الحيوانية مع الذهب ومع الفضة. كذلك أدخل النحاس في صناعة الحلي ولكن ممزوجاً ببعض الذهب. وصاروا يعملون أشكالاً من الحلي تشبه الخضراوات وأوراق الشجر وغيرها.

الحجارة الكريمة

أما في القرن الثاني قبل الميلاد فقد بدأ يطغي الطابع الأشوري على صناعة الحلي وذلك باستعمال الحفر والنقش وعمل أشكال جديدة يطغى عليها الطابع الشرقي. أما الحلي الفينيقية فكانت خليطاً من جميع الأشكال أي أنهم أخذوا ما راق لهم ممن سبقهم وصاروا يشابكون الأشكال بعضها بالبعض ويطورون في الصناعة قدر ما يستطيعون. أما الأغريق فقد أدخلوا شيئاً جديداً لم يكن معروفاً من قبل على صناعة المجوهرات وهو الـFiligree أي التخريم أو الدانتيل. وكان هذا في القرن الخامس قبل الميلاد.

وكانت جهودهم منصبة على أشكال متطورة مستوحاة من شكل الإنسان والحيوان. وكلها أو معظمها من الذهب ولم يكونوا يستعملون الأحجار أبداً وذلك طيلة قرنين كاملين حتى جاء القرن الثالث قبل الميلاد فأدخلوا صناعة المينا الملونة. وهي مزيج من الألوان منها الأزرق والأسود والأبيض والأخضر وغيره مما نستعمله اليوم في كثير من أنواع الحلي كالخواتم وبيوت المصاحف وغيرها. وعند ظهور الإسكندر الكبير بدأت الأحجار الكريمة ترد إلى بلاد الاغريق من الشرق وخصوصاً أحجار العقيق متنوعة الألوان التي توجد في بلاد اليمن وما جاورها، وكذلك في الهند. وكان الاغريق مولعين بصنع التيجان المكللة بالضفائر والزهور والتي كانت تمنح كجوائز شرف للمتفوقين في الحروب والمعارك. كما أنها كانت تستعمل في الطقوس الدينية. وقد برعوا في صناعة الأقراط والعقود وكانوا أول من حفر صوراً ونقوشاً على أحجار العقيق وغيرها. ومنها ما وجد ويوجد في الحفريات الأثرية في مدينة صور. كما أنهم بدأوا يحفرون على الذهب والفضة نقوشاً جميلة. أما صياغة الحفر على الصدف فهذه كانت من عمل الرومان الذين تابعوا في القرن الثاني ق.م. طريقة الاغريق ولكنهم طوروها وحسنوها وأضافوا الأحجار الكريمة مرتفعة الثمن إلى الحلي وأحياناً



رسم زوني لكراناخ (١٥٣٠)، تبدو فيه زوجة الفنان وعلى جيدها سلاسل ثقيلة كانت دارجة في تلك الحقبة في أوروبا

متى سمعان بوري: من أقدم خبراء المجوهرات في الشرق الأوسط عضو نقابة الصاغة اشترك في جميع المعارض الدولية



دار للصياغة في القرن السادس عشر في أوروبا

كانوا يضعون أحجاراً مقلدة. وكان الطابع الشرقي لا يزال هو الغالب على صناعة الحلي. وفي هذه الفترة إقتحم الفن السوري مع المصري الميدان بتطوير جديد وشكل جديد وذلك بإضافة رؤوس الثعابين والتماسيح وباستعمال اللؤلؤ والزفير. كما أنهم اخترعوا البروشات والدبابيس للصدر والقلادات المصنوعة على أشكال الطيور والأسماك وغيرها من الحيوانات وفي العصور الوسطى ظهرت الحلي البريطانية التي تابعت هي بدورها الطريقة والنهج الروماني. ولكن بميل ظاهر إلى الطابع الشرقي البحت. وبدأت صناعة المينا تحتل مركز الصدارة في الحلي. وبدأ التنافس بين أقطار البحر المتوسط وآسيا وشمال أفريقيا على أشده وذلك في القرن الخامس بعد الميلاد حتى القرن السابع. وشهدت هذه الحقبة إزدهاراً كبيراً في تجارة الحلي والمجوهرات نتيجة هذا التنافس في التطوير والإبداع.

من الشرق إلى الغرب

وبعد القرن السابع إنحسرت صناعة المينا في الشرق ولكنها انتقلت إلى الغرب حيث استقرت بصورة خاصة في ايرلندة وفي اسكوتلاندة، حيث راجت صناعة القلائد المدلى منها القطع البرونزية والتي كان يلبسها الملوك والأمراء وكبار قادة الجيوش كرمز للقوة والعظمة ورفعة المكانة. ثم سرت عادة تقديم وإهداء الحلي والمجوهرات للكنائس أيضاً للنذور وطلباً لشفاعة القديسين. وراجت صناعة الحفر على الخواتم واستعمالها كأختام بدلاً من التوقيع. ومن هنا جاءت كلمة خاتم من الختم. في القرن الرابع عشر أصبحت الأحجار الكريمة في متناول الجميع شرقاً وغرباً نظراً للتبادل التجاري الذي كان قائماً بين إيطاليا والشرق. وبدأت تظهر أشكال جديدة ومتطورة من الحلي والمجوهرات على إختلاف أنواعها. وكان التنافس بين النساء على التحلي بأجمل الحلي وأغلاها، وكل على قدر طاقته، كما هو عندنا في هذه الأيام. وكانت المرأة تقاس بعد جمالها بقيمة ما تقتنيه من مجوهرات. وراجت أشكال القلوب المصنوعة من



53 Long headdress of a queen of Tuthmosis III, from Thebes

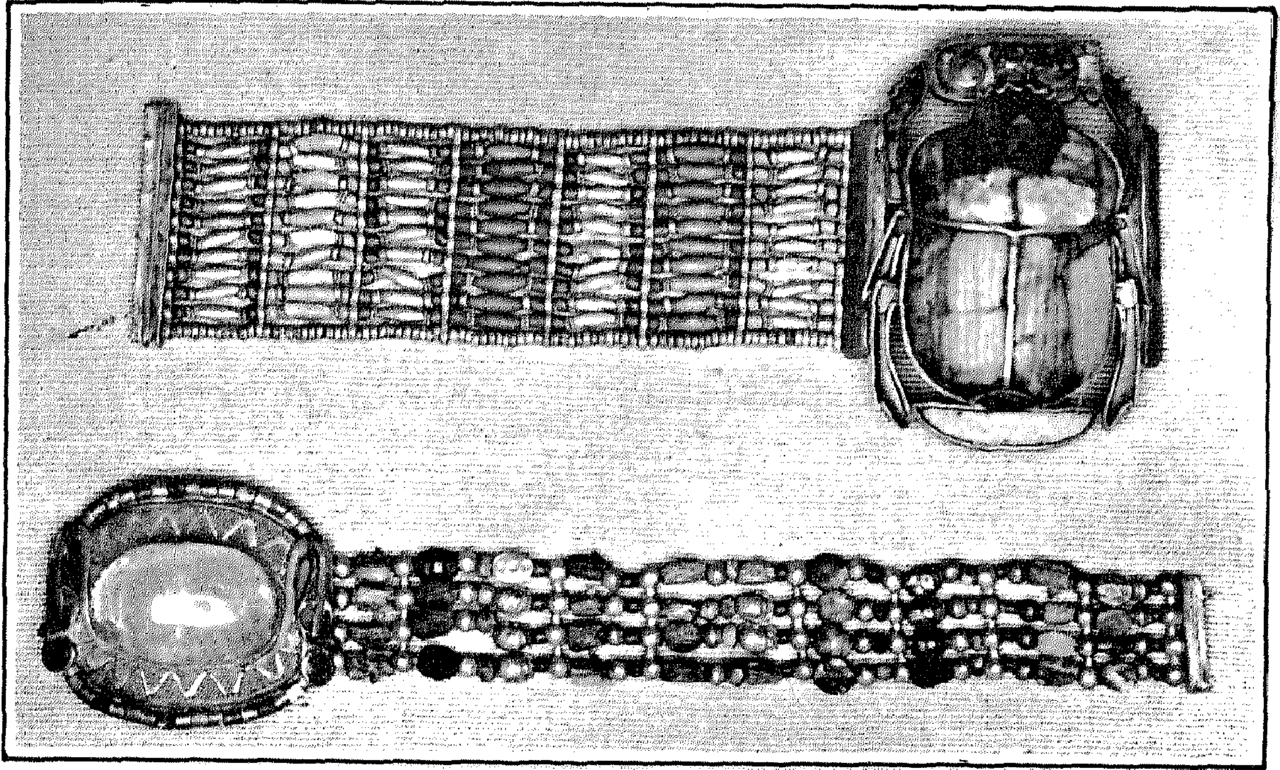
من مجوهرات ملكة طيبة الفرعونية

الذهب والمرصعة بالأحجار الكريمة والتي كان يهديها العشاق والخطاب والمحبون لمن يختارون. وعندما تم في القرن الخامس عشر إكتشاف الكثير من الأحجار الكريمة التي لم تكن قد اكتشفت بعد، ارتفعت أسعار الحلي نظراً لاحتوائها على عدد كبير من هذه الأحجار الكريمة المكتشفة حديثاً.

فن مصري

ومما لا شك منه أن قدماء المصريين هم رواد صناعة الحلي والمجوهرات منذ فجر التاريخ.

وشهدت صناعة الحلي في مصر الفرعونية عصراً ذهبياً ونماذج وأشكالاً من الحلي المتعددة التي كان يستعملها الرجل كما تستعملها المرأة. وكان الرجل يتحلى بالقلادات والأساور وحتى الأقراط. في ذلك الوقت كانت الحلي تعني لهم أشياء كثيرة ومهمة فكانوا يعتقدون أنها تقيم من المصائب والحسد ويعتبرونها كحرز تدرأ عن لابسها الأخطار والنكبات والمستقبل السيئ. وكانوا يصنعون الحلي خاصة على صورة الحيوانات كالتماسيح والأفاعي والعقارب. وكانوا يضعونها في الأماكن المعرضة



سواران من أساور توت عنخ آمون، من مدينة طيبة.

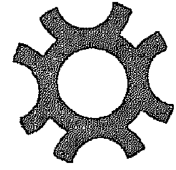
للخطر في الجسم كالرقبة والمعصم والخصر. وكانت تحتوي على الفيروز وحجر اللاييس. وقد توصلوا إلى اكتشاف كميات من الذهب في بعض المناطق ساعدتهم على تنويع حلاهم. كما أنهم كانوا يتخذون الحلي من مخالب الحيوانات المفترسة وغيرها من المخلوقات الكاسرة وقرون وأنياب الحيوانات البرية. إن الكتابة على الفن الفرعوني لصناعة الحلي والمجوهرات إذا أردنا إيفاءه حقه، تحتاج إلى مجلدات، لأن هذه الصناعة كانت في تطور مستمر خلال الأزمنة الفرعونية. وهي لا زالت إلى يومنا هذا من المصادر والمراجع الأساسية التي ينهل منها مصممو الحلي في عصرنا هذا. وإذا ما دققنا النظر إلى الحلي المستعملة في أيامنا هذه والمعروضة في أشهر محال الحلي والمجوهرات في العالم للاحظنا البصمات الفرعونية ظاهرة على كثير من الأشكال والتصاميم، مع بعض التغييرات التي تلائم العصر وإضافة بعض الأحجار الكريمة التي لم تكن مكتشفة ومعروفة في ذلك الوقت. ولو أخذنا بعين الإعتبار وجود الكهرباء والآلات الحديثة المتطورة في عصرنا هذا وقارنّا كل ذلك بالأدوات التي كان يستعملها الصاغة وصانعو الحلي في أيام الفراعنة لوجدنا كم كان هؤلاء على درجة من المهارة والذوق الرفيع. ■



جواب في محله

سئلت زوجة اينشتاين: هل تفهمين النظرية النسبية التي ابتكرها زوجك؟ فترددت قليلاً وهي تبتسم ثم قالت: أنا أفهم ما هو أهم منها وهو اينشتاين نفسه.





انفجار لبنان
عام ١٩٧٥ - ١٩٧٩

الجزء الثاني والأخير

حذرت منه بعثة ايرفد قبل ١٩ عاماً

الأب جوزيف لوبريه

قدمت مجلة «تاريخ العرب والعالم» للقارئ العربي في العدد الماضي . الحلقة الأولى وتقدم في هذا العدد منها ، الحلقة الثانية والأخيرة . من وثيقة مهمة في تاريخ لبنان الاقتصادي والسياسي . وهذه الوثيقة هي محاضرة ألقاها الأب جوزيف لوبريه . رئيس بعثة «ايرفيد» الفرنسية الى لبنان في ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) من العام ١٩٦٠ . وقد ألقى الأب لوبريه هذه المحاضرة في بيروت بحضور أركان الدولة وفي طليعتهم الرئيس السابق فؤاد شهاب .

وكان الرئيس الراحل شهاب قد استدعى هذه البعثة بعد توليه مهامه الدستورية كرئيس للجمهورية . لدراسة الوضع الاقتصادي والاجتماعي في لبنان بهدف وضع الأسس لسياسة انمائية شاملة يلعب فيها القطاع العام في لبنان لأول مرة دوراً قيادياً ورائداً .

وقد أدرك الرئيس شهاب أن عملية التنمية لا تنحصر فقط في تحقيق زيادة مطردة في حجم الناتج القومي . وانما هنالك بعد اجتماعي يتمثل في تحقيق عدالة اجتماعية تواكب الزيادة في المداخيل والانتاج . كما أيقن ان تركيبة الاقتصاد اللبناني التي تعتمد إلى حد بعيد على قطاع الخدمات قد بدأت تفرز بعض المشاكل والتناقضات الاجتماعية والسياسية التي قد تؤدي إلى خلق حالة عدم استقرار في البلاد . اذا تركت دون معالجة جذرية . ولعل في بعض حوادث لبنان الأخيرة . وما أفرزته سياسياً واجتماعياً تأكيداً لصحة ما ذهب اليه الرئيس الراحل .

ونظراً لأن المجال لا يتسع لنشر المحاضرة بنصها الحرفي . فقد عمدت ادارة تحرير المجلة إلى نشر الأجزاء الرئيسية منها وحذف بعض الأجزاء دون أن يؤثر ذلك في سياق المحاضرة . أو في المعنى الذي هدف اليه الأب لوبريه .

والمحاضرة بعنوان «لبنان يواجه قضية تنميته» . وهذا الجزء الثاني والأخير منها :

١ الامكانات الزراعية

١ – تحسين أساليب الزراعة :

■ إن في الإمكان إدخال التحسين على أساليب الزراعة بسرعة –فأهل لبنان قوم أذكياء– شرط أن يكون هناك عدد كاف من ذوي الدربة ليقوموا على أمر الزراعة. إن انتشار الدربة والمعرفة أمر ضروري تمكيننامن الإنتقال إلى زراعة أكثر كثافة، لا من حيث الكمية فحسب، بل من حيث الجودة أيضاً. كذلك هو أمر ضروري للتوصل إلى إستعمال أفضل للتربة حسب إستعداداتها الطبيعية، وإلى استعمال أفضل الأسمدة، ثم التوصل إلى أساليب زراعة أفضل بصورة عامة. فلبنان أبعد ما يكون عن استثمار الأرض على الوجه الأمثل. ومن المؤكد أن الإمكانات في هذا المجال كبيرة جداً، ولكنها تتطلب إتخاذ عدد من التدابير المدروسة للمدى الطويل.

المشكلة الجوهرية للمياه :

من الواضح أن الإستفادة من الماء تجري بطريقة فيها كثير من الخلل، فالثروة المائية مبعثرة هنا وهناك دون ترتيب أو نظام. وينبغي لنا أن نتفحص مشكلة الماء هذه عن قرب.

الزراعات المرتفعة ربحاً :

في الواقع يتبين من قائمة المستوردات أن هناك تبايناً بين إنتاجكم الزراعي وبين حاجات السكان، لأنكم تضطرون إلى أن تجلبوا هذه المحصولات من الخارج بأسعار مرتفعة. وسوف يتضمن التقرير على كل حال عدداً كبيراً من التفاصيل المأخوذة من البعثات السابقة. واني لأرى في هذه القاعة رجلاً عمل هنا سنوات في إدارة بعثة زراعية. لقد شددت البعثات السابقة على ضرورات الزراعة كل التشديد. وقد لا يكون الأمر من السهولة بهذه الدرجة، غير أنه إذا لم تتخذ التدابير اللازمة في الوقت المناسب، فسوف تستمر الأراضي في الإنحطاط، وتستمر المناطق الريفية لذلك في خسارة سكانها، ويستمر النزوح إلى بيروت في التسارع، وتصبح مشكلة الإختلال بين الإقتصادين الإثنين على جانب عظيم من الخطورة. وعلينا لذلك أن نوجه السياسة الإقتصادية هذه الوجهه الأساسية.

٢ – الإمكانات الصناعية والحرفية والسياحية

أ – إنعاش الحرف الصناعية بتحسينها :

كان من أثر هذا النزوح إلى بيروت حصول إنحطاط في الصناعات اليدوية في المناطق. وبما انه يمكن الحصول في بيروت على كل شيئ، فإنه لم تعد هناك ضرورة أو مبرر لوجود صاحب الحرفة الصغير في المناطق المحلية. ثم أنه نتيجة لغزو المنتجات المستوردة للسوق لم يعد للمواد القديمة التي كان يصنعها أصحاب الحرف من محل في هذه السوق. والحياة الريفية لا تقتصر على وجود عدد من المزارعين، بل إنها تتطلب عدداً من الناس الذين يقومون بأدوار مختلفة يتمم بعضها البعض الآخر حتى يمكن أن توجد حقاً بيئة جماعية تسمح بالازدهار الإنساني. وإن لدى العمال (في لبنان) قسطاً عظيماً من المهارة اليدوية. ثم ان تكيفهم مع الأنواع العادية من العمل يتم بسرعة لا متناهية.

ب – تنظيم السياحة على نحو أفضل :

عندما يتصل الأمر ببلد من أجمل بلدان العالم وعندما نرى المرافق السياحية في هذا البلد – ومرافق السياحة هي شيئ مختلف تماماً عن مرافق الإصطياف – ندرك أن عليكم في هذا المجال أن تحققوا وثبة عظيمة ومهمة إلى الأمام. ومن ذلك إيجاد شبكات للطرق، والمرافق اللازمة من الفنادق وتأسيس مكاتب للسياحة، والدعاية في جميع أوساط المغتربين اللبنانيين المنتشرين في



— التجمع الحضاري   الوحدة الوطنية . داخل لبنان

مختلف أنحاء العالم لاجتذاب السواح إلى القدوم لمشاهدة لبنان .

ج – الصناعات التي ينبغي إيجادها :

على ان الصناعة – ونعني بها هنا الصناعة بمفهومها الصحيح – قد اجتازت المرحلة الصعبة الأولى فهي بعد أن كانت غير موجودة من قبل أخذت بالإنطلاق ، ثم أصبح لها الآن كيان قائم . لقد إجتازت الصناعة فترة التجربة والإختبار فهناك مؤسسات صناعية نشيطة . وهناك جو في تم إيجاده بفضل الجامعات التي تعد الفنيين وبفضل أولئك الذين بعثوا للتدريب في الخارج . غير أن لبنان الصناعي مقبل الآن على مرحلة جديدة . فكيف ينبغي أن يتجه؟ يستطيع المرء إبتداءً بالصناعات الموجودة أن ينظر ما هي الصناعات المتقدمة وما هي الصناعات المتأخرة . ومن ثم أن يدرك ما هي الصناعات المتكاملة والمتوازية التي يمكن ارساؤها على أسس إقتصادية مربحة . وانه ليتبين من قوائم المنتجات الصناعية المستوردة أن في الإمكان إنشاء بعض الصناعات المتوسطة في لبنان .

هذا ويجب عليكم طبعاً أن تعتنوا بجودة منتجاتكم وأسعارها إذا ما أردتم الوصول إلى الأسواق الخارجية . وكثيراً ما يقال أن لبنان هو سويسرا الصغيرة . والواقع أن هناك بعض التماثل بينهما . ولكن سويسرا لم تتوصل إلى ما توصلت إليه من مستواها الإقتصادي الرفيع إلا بفضل الإجادة التي توصل إليها العمال السويسريون بعد قرون من ممارسة الصناعة التي تحتاج إلى دقة عظيمة . وبالنظر إلى مكانكم من سائر العالم فان سعيكم وراء الجودة في الإنتاج ووراء صنع منتجات تحتاج إلى مهارة متزايدة يمكن أن يفتح لكم مجالاً كبيراً في



– لا وطن ولا استقلال إلا بالوحدة الوطنية

السوق العالمي الواسع . ولكم في ذلك ميزة كبيرة هي مرافقكم التجارية والشبكة التي تتألف من علاقاتكم التجارية المنتشرة في جميع أرجاء العالم .

د – المنطقة الحرة :

وهناك عامل آخر على جانب كبير من الأهمية . هو نجاح منطقتكم الحرة التي يمكن إذا وسعت أن تساعد على توسيع صناعتكم . بل إن في وسعنا أن نتصور إمكان قيام صناعات أجنبية في هذه المنطقة الحرة مما يساعد إلى حد كبير على تدعيم المحيط الفني وهو الشرط اللازم للتوسع الصناعي .

هـ – تنشيط الصناعة في المناطق :

يجب الا يقتصر تفكيرنا على النمو الصناعي في بيروت . بل يجب أن تمتد تفكيرنا الى الإقلاع من المركزية . وأن نتجه بصورة خاصة إلى القصبات المحلية في المناطق

اما أن تركزوا كل شيء في بيروت فانكم تزيدون بذلك من هول هذه المدينة التي تضم ما يقرب من ثلث سكان البلاد والتي سوف تضم بعد سنوات معدودة نصف هؤلاء السكان .

٣ – إمكانات قطاع الخدمات

إن قطاع الخدمات هش إلى حد بعيد ومسألة الخدمات مسألة أخرى لا تقل معرفتكم بها عن معرفتي فقد درستها كلياتكم للإقتصاد السياسي كما درسها مجلسكم للتصميم . إن من أوجه التناقض في لبنان التجاري الذي بلغ العجز فيه ٧٠٠ مليون ليرة لبنانية . وهو عجز يتوصل لبنان إلى تداركه عن طريق الإيرادات غير المنظورة التي تأتيه من السياحة والنقل والتأمين ومن أرباح الإستثمارات ومن الرسوم المفروضة على مرور البترول . ومن مصاريف المنظمات العالمية . ومن تجارة الترانزيت . ومن غيرها من العمليات الدولية . وتتضافر هذه العوامل كلها على تخفيض هذا العجز إلى حد كبير . على ان ميزان الحسابات الجارية يظل على ذلك في عجز . وانما يتوصل لبنان إلى ميزان ايجابي للمدفوعات في نهاية الأمر عن طريق ما يرسله المغتربون وعما يأتيه من الأموال على سبيل المساعدات الثقافية والخيرية . ثم من

الرصيد الناتج من حركة إنتقال رؤوس الأموال لا سيما من المناطق البترولية، وهو رصيد إيجابي في معظمه. ومن الواضح أنه ليس في العالم كله بلد له مثل هذا البنيان الإقتصادي. فأوضاعكم تمثل حالة فريدة في نوعها. وإنه لمن دواعي الإعجاب أن تحققوا مثل هذا النجاح. غير أننا إذا جئنا نتفحص البنود غير المنظورة وانتقال رؤوس الأموال بالتفصيل، أخذتنا من ذلك رعدة. فهذه الأشياء كلها معرضة للخطر، بعضها عرضة لخطر عظيم وبعضها عرضة لخطر بسيط، ولكنها جميعها على كل حال عرضة للخطر. فهذا النجاح العظيم الذي أحرزه لبنان نجاح هش سهل الإنكسار مما يستدعي منا التأمل والتفكير.

إن في ترك لبنان يتمادى في نشوته وهو يندفع في قطاع الخدمات متناسياً إستغلال موارده الطبيعية وتأسيس الصناعة فيه، خطراً أعظم مما تسمح الحكمة لبلد ما بأن يتعرض له. ان هناك إمكانات كبيرة في قطاع الخدمات يعود الفضل فيها إلى العبقرية الخاصة التي يتميز بها اللبنانيون في الأعمال التجارية على الصعيد الدولي وإلى الشبكة العالمية التي يملكونها. ولكن هذه الشبكة غير مكتملة البناء.

وخلاصة القول أنكم تقفون في مركز الصدارة في هذا العالم. غير أنه إذا انخفضت بعض هذه الخدمات، فسوف تصبحون بسرعة بلداً آخذاً بالتدهور بحيث لا يمكنه على الإطلاق أن يقيم أود سكانه. وهذا يدعونا إلى أن ننظر في الإطار الذي ينبغي إيجاده للتنمية في بلدكم.

(ج) إطار التنمية :

أود أن أنوه فقط ببعض الإتجاهات الرئيسية التي يجب إتباعها. إن المرء يجب أن يبدأ بما «يعرف». إذ ليس في الإمكان تحقيق التنمية بدون حصول المعرفة. وليس في الإمكان أن نضمن نمواً كذلك الذي لا بد منه لبلادكم إذا لم تكن لدينا هذه المعرفة.

١ــ دراسة الموارد المائية :

ومن الدراسات التي تفرض نفسها علينا بصورة عاجلة. دراسة الطريقة المثلى للإستفادة من المياه. إن من الضروري بمكان أن يتم توزيع مواردكم المائية التي هي ملك الأمة جميعها بحيث يمكن إعطاء الأراضي قيمتها الكاملة. أي الإنتفاع منها إلى أقصى الحدود قانوني. مما يسمح بإعطاء هذه المياه قيمتها والإفادة منها على نحو ينسجم مع حكم العقل بحيث لا يتمادى أحد في إساءة استعمالها. فهناك من الناس من يبدد من الماء أربعة أو خمسة أضعاف ما يحتاج إليه فيتلف بذلك محاصيله ولا يجني منها إلا القليل.

٢ — التنقيب عن الموارد المعدنية :

التنقيب عن موارد البلاد المعدنية أمر هو الآخر على جانب كبير من الأهمية. وفي لبنان مصادر عدة للخامات المعدنية. فإذا توفرت فعلاً موارد معدنية غنية. وإذا أمكن لطبقات الأرض الجوفية أن تؤمن المواد الأولية للصناعة فان في هذا ما يؤدي بداهة إلى إجراء تغيير في التطور الصناعي. لذلك فانه من الواجب إجراء التنقيب المشار إليه وإن ارتفعت تكاليفه. إذ ان هناك منظمات للإحصاء وللمعونة الدولية الثنائية يمكن الإستفادة من استعدادها لمساعدة مشاريع كهذه.

ويجب القيام بهذه الدراسات الإقتصادية اللازمة بمنتهى السرعة لتحديد الخطوط الرئيسية لهذه التنمية. فهناك إجماع عالمي في هذه الأيام على ضرورة الدراسات الإحصائية. إذ انه عندما يراد توجيه إقتصاد معين فان الأمر يتطلب توفر المعلومات المتعلقة بالإحصاءات البشرية والإقتصادية. لذلك فتنظيم جهاز إحصائي يقوم بهذه المهام ويتمكن من تحديد السرعة الإنمائية بشيء من الدقة هو من الأمور التي تؤثر في مجرى التنمية بأجمعه.



آخ يا بلدنا !

ويجب إلّا يكتفي بجمع هذه المعلومات الإحصائية بل يجب أن يتمكن هذا الجهاز الإحصائي من تفسيرها . إذن يجب إنشاء مصلحة أو جهاز يمكن له أن يتوصل إلى التقديرات الإنمائية المستقبلة . هذه جميعاً أمور يجب أن نجد لها المكان المناسب في المخطط الإنمائي العام في أقرب وقت ممكن

٣ – التخطيط اللازم :

لا يمكن للتنمية ان تتحقق اذا لم يتوفر لها التخطيط . فالتنمية بدون خطة معرضة لعراقيل وعقبات تؤدي الى هدر الجهود ويقف عائقاً في سبيل بلوغ الأهداف المرجوة . لذلك فأنه لمن اهم الامور ان يتوافر لوزارة التصميم العام الجهاز اللازم والميزانية الكافية .

وهنالك عمليات عدّة تقع ضمن اختصاص الدولة . فمن الامور الطبيعية ان تضع الدولة الأساس الذي يقوم عليه البنيان أو الهيكل العام . وقد تحدث فخامة الرئيس الينا البارحة عن القرى الستمائة في لبنان التي لا تزال بلا طرقات . فالطرقات ليست مهمة فقط بالنسبة للسياحة بل لأنها تعين على الاستفادة المجدية من المناطق الجبلية . فأسس البناء ، كالهيكل الاساسي الذي تقوم عليه المواصلات والهيكل الاساسي الذي يقوم عليه توليد الطاقة ، تقع في اختصاص الدولة .

وهذه الاوجه من الاستثمار الحكومي لا تكون عادة استثمارات مربحة من حيث مردود رأس المال المستخدم ، وانما هي مربحة اذا اعتبرنا فائدتها على الصعيد العام . وعلى الدولة ان تساهم بقسط اوفر من الجهد لمساعدة الصناعة وذلك مثلاً عن طريق تخصيص مناطق معينة لبناء المصانع . ففي طرابلس مثلاً يمكن تخصيص منطقة من هذا النوع لاجتلاب الراغبين في الانشاءات من اللبنانيين أو الاجانب . وسأطرق بعد برهة وجيزة الى المشكلات التي ينطوي عليها هذا الامر من حيث القروض الطويلة الاجل . وتجب الاشارة هنا الى ان التصميم لا يقتصر على تحديد التدابير الواجب اتخاذها من قبل الدولة ، بل يتعدى ذلك الى توجيه المجهود الفردي الذي كثيراً ما يتصف بقصر النظر وكثيراً ما يلقي بنفسه في المخاطرات . فاذا ما أخفق هذا المجهود كان ذلك سبباً لا في هدر الموارد بالنسبة لمشروع معين فحسب ، وانما في ابطاء حركة النمو والتطور العامين . والتصميم ضروري ايضاً لتحديد اوجه النشاط المجدية وتقسيمها بحسب أولويتها بما يتناسب مع الاحتياجات والامكانات العامة . كذلك لا يقتصر التصميم على تحديد ما على الدولة ان تبذله من مجهود مباشر ، بل انه يساعد ايضاً على توجيه الجهد الخاص في السبيل السوي تفادياً لمضاعفة الاغلاط او تكرير

ما اقترف منها في مشاريعكم الانمائية منذ عشر سنوات أو خمس عشرة سنة ، علماً بأنها اغلاط فادحة الثمن.

وبيروت مثلاً ، مدينة ستتكلف الأموال الطائلة لان نموها لا يستند الى مخطط . لذلك فهو اليوم مصيبة من المصائب .

واذ لم يوجد هذا التنسيق ، كانت حصيلة ما يبذل في جميع المجالات من الجهود التي لا يتمم بعضها بعضاً ، الاستمرار في انتاج لا يرتفع الى مستوى الجودة المطلوب ، وبقاء الاسعار كثيرة الارتفاع والصعوبات في التصدير ، وبالتالي استحالة زيادة الموازنة المعدة للاستثمار في المستقبل وكذلك استحالة تحقيق الشروط اللازمة لتنمية متدرجة ومستمرة .

٤ — التعاون بين الوزارات في سبيل التنمية .

وتحقيق هذا الامر يتطلب اقامة بنيان او هيكل للتنمية ، ولكن ذلك لا يمكن له ان يتأتي حالاً او تلقائياً بل يجب ان يكون الجهازان الحكومي والاداري بأجمعها مهيأين للتنمية . فالتنمية مهمة تشترك فيها جميع الوزارات . الا ان الوزارات الفنية وكذلك وزارتي التربية والصحة معنيتان بالامر بشكل مباشر ، ويجب ان يجري البحث عن الاصول الواجب اتباعها للحصول على تعاون وثيق بين السلطات العليا جميعها وكذلك بين هذه السلطات والوزارات والادارات التي تهتم بأمور التنمية .

٥ — الجهاز الاداري الاقليمي .

لا يكفي وجود جهاز ومخطط حكوميين بل يجب ايضاً ان يوجد جهاز اداري اقليمي ومحلي ، لأن التنمية حين تعتمد على جهاز إداري متدرج عمودياً تدرجاً تاماً ، وحين يكون لدى كل وزارة موظفون من اسمى الرتب الى اقلها دون ان يكون هنالك تنسيق انمائي على مستوى الناحية أو القضاء ، فانه من البديهي ان تكون التنمية في هذه الحال قاصرة . لذلك فانه من الضروري ان يوجد في كل محافظة موظفون مختصون بامور الانماء لكي لا تتبعثر الجهود ولكي تتحقق المخططات الانمائية بأقل كلفة وأقصر مهلة . كل هذه الامور تتطلب التنسيق او هي بكلمة اخرى تتطلب . بالاضافة الى النظام العمودي المتدرج المتبع حالياً . ان يصار الى تنظيم اداري افقي يسمح بالبت في الامور وبالدراسة وبالتنفيذ وهي جميعاً شروط اساسية للنجاح . وهذا مما يؤدي بالاصلاح الاداري الذي يدرس حالياً الى تأمين المكان اللائق للناحية التي تقوم على وجود المجموعات الادارية المتكاملة . واقول «متكاملة» لأن جميع الفنيين الذين يعملون في مختلف الوزارات سواء منها الاشغال العامة او الاصلاح الريفي او الزراعة او الصحة . او في مجالات التعليم الفني او الاحصاء وغيرها مما يفوتني ذكره . كل هؤلاء الناس . اذ يعملون سوياً في منطقة يعرفونها جيداً . يساهمون سوياً في اعداد المخطط الانمائي الاقليمي وفي تحقيقه . ولكم ان تتصوروا ما يضيفه هذا الترتيب من حيوية على الاقتصاد .

وبناء على ما تقدم يمكن لكم أن تهيئوا تنظيماً انمائياً . فالعامل البشري متوافر ولكنه يحتاج الى ان يهيأ للانماء . وهذا امر يمكن تحقيقه بسرعة . ونادراً ما تستطيع دولة لا تزال في مراحل التطور ان تجد الشكل الذي يجب ان يصاغ عليه التنظيم الاداري الحكومي الذي يتجاوب مع متطلبات الانماء . اما هنا فان النخبة اللبنانية . والاخصائيين اللبنانيين . والوسط الفني الموجود حالياً . كل هذه تمكنكم من تحقيق نهج مبتكر يصح ان يكون مثلاً يحتذى للانماء في بلاد اخرى .

٦ — تجهيز افضل لقصبات الاقاليم ومراكز الاقضية .

اذا اريد للتنمية ان تنجح فانه من الواجب ان يصار الى تعميمها . لذلك فان على الحكومة

والادارات المركزية والمؤسسات الجامعية في بيروت ان تعمد الى ايجاد الأموال اللازمة لهذا التعميم على شكل مخطط متدرج يؤمن تجهيز مراكز الدرجة الثانية والدرجة الثالثة في البلاد بوسائل التنمية. والمراكز الثانوية هي عواصم المحافظات كطرابلس وصيدا وزحله. اما المراكز الثالثة فتتشكل في معظمها من مراكز الاقضية.

ولا يكفي ان يصار الى تخطيط المدن الكبيرة فقط بل يجب ان تتناول العناية مجموع رقعة الدولة والمراكز التي تأتي في المرتبة الثالثة والا استمر السكان في النزوح الى العاصمة. فتنعدم عند ذلك مظاهر الحياة المحلية اذ تكون العاصمة قد اجتذبت اليها كل شيء.

٧ - تنظيم القروض متوسطة وطويلة الاجل.

يجب ان يصار الى تنظيم القروض. هنالك عدة حلول لهذه المشكلة المهمة. فيمكن مثلاً انشاء مصرف للتنمية واحد. او على النقيض من ذلك ايجاد عدة صناديق لأنواع معينة من القروض. الا ان انشاء مصرف للتنمية يعمل حسب الاساليب المصرفية يمتاز بحسنات عديدة من الناحية الادارية اذا ما قورن بصناديق القروض الصغيرة التي قد تكون اصلح منه في بيئات معينة. فيجب ان تجري الخيار بين هذه وذلك حسب الظروف. اما القروض طويلة الأجل فلا وجود لها حالياً. في حين انها هي التي تصنع الانماء

٨ - زيادة الايرادات المالية:

من البديهي أن يكون في متناول الدولة من الايرادات ما يمكنها من تحقيق التنظيمات اللازمة. واذا لم يكن هنالك من داع لا جراء تعديلات كبيرة في نظام الضرائب. فأن تحسين وسائل جباية ضرائب الدخل تؤمن للدولة دخلا يبلغ في الاغلب ثلاثة اضعاف المبلغ الذي تستوفيه حالياً. ويمكن تخصيص جزء من زيادة ثمن الاراضي الناتج عن التداولات العقارية للمشاريع العامة التي ساهمت في ارتفاع اثمان الاراضي الزراعية واراضي البناء.

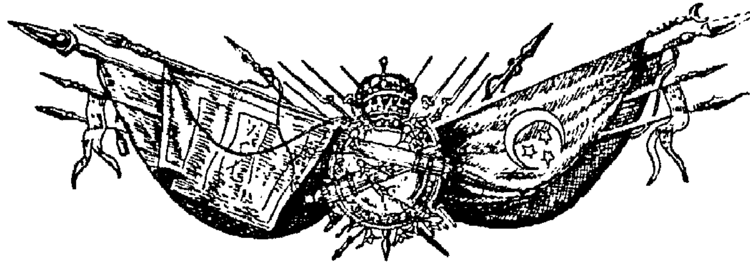
وسوف يكون من شأن اصلاح النظام المالي ان يؤدي بالتدريج الى اعادة النظر بصورة شاملة- فيما يتعلق بالنشاط وبتغيير البنيان الاقتصادي والبنيان الاجتماعي.

نجاح مخطط كبير

ان لبنان إذ يواجه هذه المستلزمات، ولا سيما التجارب مع زيادة عدد سكانه والتخفيف من الفروق في مستوى المعيشة بين طبقات الشعب، وموازنة العوامل الايجابية والعوامل السلبية في مجالات التنمية، فانه يخوض غمار مغامرة كبيرة، لذلك يجب أن يكون للبنان مخطط كبير، كما يجب على لبنان أن يضمن لنفسه النجاح وإلاّ يتعرض لخطر الاخفاق.

النخبة والجهد الواعي المتحمس من الشعب. فالاقتصاد الذي يعتمد بهذا المقدار على الخدمات هو اقتصاد هش ضعيف. ولسنا ندري كيف يكون تطور العالم في المستقبل. اذ ان كل يوم يحمل الينا من الانباء ما يؤكد ان كل شيء يمكن له ان يتغير بسرعة لذلك فأن تكييف الاقتصاد مع انواع جديدة من الخدمات امر قد يكتب له النجاح.

وقد يتردى لبنان في ازمات حادة من جراء طبيعة تركيبه الاقتصادي. اذ انه اقتصاد يرتكز على الخارج اكثر مما هو اقتصاد يرتكز على الداخل. فالحذر اذن واجب. وتنفيذ ما توحي به الدراسات من انشاء جهاز للتخطيط واسع الصلاحيات واجراء اصلاح اداري يصل بهذا الجهاز الى القرية، امر ضروري. ومن البديهي ان الحياة يجب ان تنفخ في هذا جميعه. وهذه احدى المهمات التي يجب على الشبان ان يكونوا على استعداد للقيام باعبائها. ولديكم في هذه البلاد شبان يطمحون الى المساهمة في هذا الجهد الكبير الذي لا غنى للبنان عن بذلة لتحسين أحوال جموع الشعوب. ■



معاهدة كوتاهية (١٨٣٣)

اول دولة للوحدة العربية منذ هزيمة الصليبيين

سعيد كريديه

معاهدة كوتاهية ١٨٣٣

■ رأى محمد علي باشا والي مصر عندما تمكن من حكمها ، ان السبيل الوحيد للمحافظة على ممتلكاته هو أن يوسع حكمه إلى البلاد العربية : مصر والسودان وشبه الجزيرة العربية وسوريا والعراق ، وأن يجعل زمام الأمر بيده. وإذا ما تحقق حلمه فإن سلطته على مصر ستضمن له موارد وفيرة من المال والرجال.

وعلى هذا الأساس فإن محمد علي بعد أن قضى على الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية ، أخذ ينظم شؤونها وعيّن الموالين في الوظائف واسترضى الأشراف وزعماء القبائل. ثم احتل الموانئ اليمنية كالحديدة بعد أن تم له فتح السودان.

كانت سوريا في نظر محمد علي ، كما كانت في نظر جميع حكام مصر منذ أيام الفراعنة ، أكثر بلاد الشرق أهمية لمصر، وذلك لما بين البلدين من تكامل طبيعي واقتصادي ، وتعود أهمية سوريا (أي سوريا الطبيعية) لدى محمد علي إلى العوامل التاليــة :

١ - حدود سوريا الشمالية تقف عند جبال طوروس ، وهي تشكل حاجزاً طبيعياً يحمي مصر من أي هجوم عثماني محتمل.

٢ - يعتبر فتح سوريا جزءاً من مشروع محمد علي ، وهو تأسيس دولة حديثة قوية تضاهي الامبراطورية العثمانية.

٣ - لأرض سوريا أهمية اقتصادية كبيرة ، ففيها الأخشاب والزيتون والحرير والجلود والمعادن والأنهار وهذه الخيرات تكمل ما هو موجود في مصر وتساعد على تقوية الجيش وتنمية ميزانيته.

إن ما ذكر عن أهمية سوريا يعتبر من العوامل الرئيسية التي دفعت محمد علي لفتحها ، لذلك كان محمد علي يغتنم المناسبات لبسط نفوذه عليها. فطالب بولاية سوريا أثناء محاربته للوهابين أعداء العثمانيين بحجة أنه في حاجة إلى مدد منها لمعاونته في القتال ، وأخذ يتودد لزعماء المنطقة كالأمير بشير الشهابي وعبد الله باشا والي عكا. ولما كلفه السلطان بالقضاء على ثورة اليونان أمل محمد علي بالولاية على سوريا كمكافأة من السلطان على صنيعه الطيب. ولكن الباب العالي رفض منحه

إياها. وأخيراً وجد محمد علي عذراً لبدء الفتح أثر النزاع بينه وبين عبد الله باشا والي عكا الذي كانت له مطامع هو الآخر في بلاد الشام إذ ساعد المصريين الهاربين من الجندية ومن دفع الضرائب وامتنع عن تسديد ما عليه من ديون لمحمد علي ورفض إرسال الأخشاب اللازمة لأسطول مصر، وساعد التجار على تهريب البضائع إلى مصر عن طريق شبه جزيرة سيناء.

وفي خريف عام ١٨٣١ أرسل محمد علي قواته البرية والبحرية بقيادة ابنه ابراهيم، فاستولى على غزة ويافا وحاصر عكا، وفتح القدس وطرابلس وبيروت. ثم سقطت عكا بعد حصار شديد دام ستة أشهر، واتجه إلى دمشق التي كانت في ثورة على الوالي العثماني، فدخلها دون مقاومة ثم هزم القوات التركية عند بحيرة حمص، واستولى على حماه وحلب وهزم جيشاً عثمانياً آخر عند ممر بيلان قرب الاسكندرونة جنوب آسيا الصغرى.

ظن السلطان العثماني محمود الثاني أول الأمر ان معركة محمد علي ما هي إلا نزاع بسيط كما يحدث مراراً. فلم يهتم بها كثيراً في بادىء الأمر. لكن الحقيقة اتضحت عندما تابع ابراهيم بن محمد علي زحفه إلى دمشق واستولى على بيروت وطرابلس، فاعتبر الباب العالي السلطان، هذه الأعمال تحدياً له فأصدر مرسوماً بعزل محمد علي وأرسل جيوشه لمحاربته.

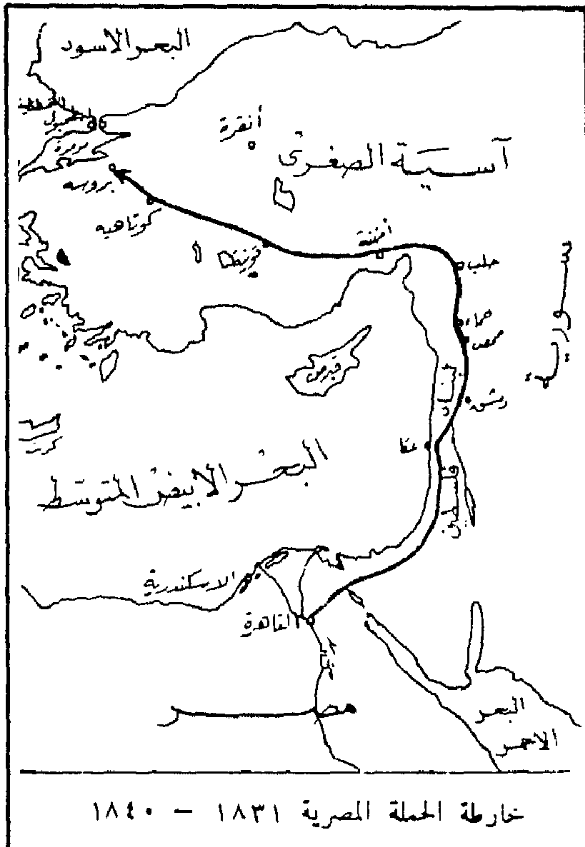
وقد أعلن الأمير بشير الشهابي الثاني والأعيان والزعماء انضمامهم إلى ابراهيم واستقبله السكان في معظم المدن استقبالاً حافلاً وفتحت له المدن أبوابها. وكان إبراهيم يعلن أن جيوشه لن تقف إلا عند الفاصل بين المتكلمين بالتركية والناطقين بلغة الضاد. وقال أنه ينوي احياء القومية العربية واسناد المناصب إلى العرب في الادارة والجيش. وانه يريد أن يجعل منهم شعباً مستقلاً. وكان يذكر هذه الأشياء بمنشورات يوزعها بين الجنود والسكان ويذكرهم بعظمة الأمة العربية وماضيها المجيد وحضارتها الرفيعة.

عندما وصل إبراهيم إلى حدود الأناضول بعد معركة بيلان، عرض محمد علي على السلطان إعطاءه حكومة سوريا ومصر، فلما رفض الباب العالي هذا العرض دخل إبراهيم آسيا الصغرى واحتل أضنه، ألى أن وصل إلى قونية في قلب الأناضول، حيث انتصر انتصاراً رائعاً على الجيش العثماني الكبير وأصبحت الطريق إلى استانبول مفتوحةً أمامه.

أذهلت هذه الانتصارات السريعة المتكررة دول الغرب عامة، وبخاصة:

١ – فرنسا التي أيدت صديقها محمد علي واعتقدت ان اتساع نفوذه هو بالتالي اتساع لنفوذها.

٢ – بريطانيا التي لم ترغب بنشوء دولة قوية فتية صديقة لفرنسا تسيطر على أهم الطرق الموصلة إلى



خارطة الحملة المصرية ١٨٣١ – ١٨٤٠

الهند وتحد من أطماعها في تلك المناطق.

٣ – روسيا التي قلقت من هذا التوسع وخافت من امتداده إلى بقية أراضي الدولة العثمانية فيؤدي ذلك إلى قيام دولة قوية على انقاض الرجل المريض (أو الامبراطورية العثمانية) فتحول دون تحقيق أطماع روسيا القيصرية في السيطرة على مضائق البوسفور والدردنيل.

وقد كانت هذه الدول آنذاك مشغولة بثورات ومشاكل في أوروبا فاكتفت أولاً بنصح محمد علي بأن يوقف القتال. الا ان هذه الدول عادت وعزمت على التدخل جدياً عندما رأت السلطان محمود الثاني سلطان الامبراطورية العثمانية، بعد معركة قونية يقبل مساعدة روسيا العسكرية التي تستجيب لطلبه وترسل أسطولها إلى البوسفور، ويسمح بنزول القوات الروسية في استانبول. لهذا ضغطت كل من فرنسا وبريطانيا على السلطان لإرضاء محمد علي وطرد الروس من بلاده، وفي نفس الوقت أجبرتا محمد علي على عقد الصلح. وتمت المفاوضات بين السلطان ومحمد علي باتفاقية كوتاهية (نسبةً لمدينة كوتاهية التي وقعت فيها عام ١٨٣٣).

مضمون هذه الاتفاقية:

١ – إعتراف السلطان العثماني محمود الثاني لمحمد علي باشا بسلطته على:

(أ) مصر

(ب) سوريا الطبيعية (أي ما يسمى اليوم بسوريا ولبنان وفلسطين والأردن).

(ج) منطقة أضنه جنوب آسيا الصغرى.

(د) جزيرة كريت أو كريد.

٢ – ولي إبراهيم على الحجاز.

٣ – تعهد محمد علي بأن يدفع للسلطان عن سوريا الأموال التي كان يدفعها له الولاة العثمانيون سابقاً أي ما يعادل ١٥٠٠٠٠ جنيه استرليني.

وقد كافأ محمد علي الأمير بشير، باعطائه مزيداً من الاستقلال الذاتي في جبل لبنان.

وهكذا نرى أن دولة عربية قوية قد تشكلت وامتدت من أضنه شمالاً إلى أقصى مصر وأطراف شبه الجزيرة العربية جنوباً ومن الخليج العربي شرقاً إلى حدود ليبيا غرباً. ويمكن القول أنها أول محاولة لتحقيق وحدة عربية حديثة وآخر انتصار عربي. إذ بعدها بدأ الأعاجم باحراز انتصار تلو انتصار تمكنوا من بسط سيطرتهم على كل الوطن العربي.

كما أوجدت هذه المعاهدة أول وحدة بين مصر وسوريا تحت قيادة عربية موحدة منذ جلاء الصليبيين.

والواقع أن ابراهيم باشا كان أكثر ايماناً وحماسة من أبيه للوحدة العربية. فقد نشأ في محيط عربي وتكلم بلسان عربي على خلاف أبيه الألباني الأصل، ونهل من الثقافة العربية، ودرس التاريخ العربي. وظهر لديه ميل قوي لهذه الأمة، واعتقد ابراهيم بأن الدولة التي يرنو اليها والده تزداد قوة وثباتاً إذا قامت في الأصل على بعث امة العرب بعثاً قومياً. ■

المراجع:

كريزي. ادوارد: «تاريخ الأتراك العثمانيين».
هولت. پ. م.: «مصر والهلال الخصيب ١٥١٦ – ١٩٢٢».
حتي. فيليب.: «اليقظة العربية».
عرحجاني. يحي: «الشرق الأوسط في الماضي والحاضر».
الخاني. علاء الدين: «تاريخ العرب الحديث والمعاصر».

نحو تاريخ بدون تزييف...

بعد الرسالة التي أثار فيها أحد قراء «تاريخ العرب والعالم» مسألة البت نهائياً فما اذا كان الأمير فخر الدين المعني الثاني بطلاً وطنياً كما يقول البعض. أم متعاوناً مع الأجنبي. كما يقول البعض الآخر. وبعد الرد الذي كتبه «لتاريخ العرب والعالم» الاستاذ محي الدين قدورة (العدد الـ ٤)، والذي تبنى فيه مدرس التاريخ. وجهة النظر الثانية. ها هو المحامي عصام العريضي. يرد على الرد، مبرئاً ساحة الأمير فخر الدين. وفاتحاً في الوقت ذاته على صفحات المجلة. معركة يرجى منها أن تسهم في جلاء جانب من الحقيقة. حقيقة هذا السياسي الذي حكم لبنان فترات متقطعة طوال خمس وأربعين سنة.

فخر الدين المعني الثاني

اختلف المؤرخون فيه ... واتفق الشعب

رد المحامي عصام العريضي

تاريخ الأبطال الوطنيين الذين غيّروا مجرى التاريخ ليس أثراً تخلّف عن أصحابه ليدركهُ الفناء فيتبع على حد قول أبي الطيب.

ولأن التاريخ لا يُكتب بالطبشور. وبالتالي لا يموت. كان من الطبيعي أن تستمرّ حياة هؤلاء الأبطال خالدة في شعوبهم أو تنبعث فيهم شعلة هدي ونار ثورة اذا ما ناخ عليهم ليل جهل وتخلّف.

والأمير فخر الدين الثاني هو أحد هؤلاء الأبطال التاريخيين وفي طليعتهم. إلاّ انني اذا كنت قد وضعت الأمير في مقامه اللائق. مستبقاً الأدلّة التي سأعرضها في هذا البحث. فانني لن أنطلق في ردّي على الموضوع الذي تطرحه مجلة «تاريخ العرب والعالم» إلاّ من موضوعيّة علميّة بحتة.

■ رأيي أن هناك ثغرة كبيرة في تاريخ هذا الرجل الكبير يجب أن تُسدَّ حتى تظهر صورته الوطنية والقومية والاجتماعية مجلّوة على حقيقتها.

وهذه الثغرة تكمن في الشبهات الحائمة حول علاقاته الخارجية أي حول سياسته الخارجية مع دول غربية كتوسكانه والفاتيكان بصورة خاصة.

ولم أقع الاّ على النادر من المصادر التاريخية التي حاولت أن تدفع القليل من هذه الشبهات. وكانت محاولات غير وافية. أما سائر المصادر فمنها ما استق من غيره معتمداً النقل دون التدقيق ومنها ما وقف حائراً أمام سياسة الأمير الخارجية فتجاوزها وقفز فوقها إماً قصوراً أو هرباً من هذا الموضوع الشائك ومنها ما طلاها بلون ميوله ورغائبه فجاء الطلاء أبيض حيناً وحيناً آخر أسود.

بيد أن بعض المصادر لجأت إلى الوثائق كأسانيد في كتابة تاريخ الأمير كالأب بولس قرألي. الذي أعلن في مقدمة مؤلفه «فخر الدين المعني الثاني» (١٩٣٧). انه وقف على الوثائق في خزائن توسكانا (وثائق أل مديتشي) وفي خزائن الفاتيكان خلال حكمي البابا بولس الخامس ثم البابا أوربانوس الثامن.

الاّ أن هذه الوثائق بالذات. على قيمتها. ما جاءت الاّ لتعكس رغبة المؤلف في إبراز الأمير وكانّه متعامل مع توسكانة واسبانيا والفاتيكان يتواطأ معها لاستعادة الأراضي المقدسة من أيدي العثمانيين. والحقيقة أننا عدنا ودققنا في هذه الوثائق فوجدناها لاتدين الأمير مطلقاً ولكنها. على العكس. تدفع عنه كل شبهة وترفع جبينه ناصعاً. هذا مع العلم أن لنا رأياً لايلتزم «بعقدة التعامل مع الأجنبي» سنعرضه في سياق هذا البحث.

ومن هنا لم أجد غرابة في معاناة السيد سامي الشامي (النبطية) الذي اختار منبر «تاريخ العرب والعالم» ليزيل شكّه في الأمير المعني. هذا الشك الذي تسّرب إلى نفسه بعد قراءته كتاب الشيخ علي



فخر الدين المعني الثاني. في إحدى صوره القليلة. ويشاهد وهو يدخن غليونا. ومحفر عصا خشبية.

الزين «للبحث عن تاريخنا في لبنان» كذلك لم أجد غرابة في ردّ الاستاذ محي الدين قدورة الذي التزم برأي الشيخ الزين بعد أن عاد وتمعّن في قراءة كتابه. لكن ما استغربته من السيد الشامي طلب محاكمة الأمير (الشوفي) فوراً او دون درس «قضيته». وأنا واثق من أنه بعد أن يطلع على مناقشة الوثائق التي تبرِّئ ساحة الأمير - كما سيأتي في بحثنا - فسيطلب محاكمة المؤرخين وكتبة التاريخ لثبوت مسؤوليتهم. تجاه الأجيال الجديدة في تشويه صورة الأمير. هذا التشويه. الذي أقل ما يقال فيه إنه ناجم عن التسّرع وعدم التمحيص وعن انتفاء الموضوعية التي يتطلبها علم كعلم التاريخ. هذا إن لم نقل ان التشويه المذكور مصدره خلفيات طائفية ترسّبت في أذهان لم يستطع العلم أن يجلو صدأها.

أولاً: في مناقشة الوثائق

بما أن الشيخ علي الزين استند في كتابه

المذكور الى رسالة «محفوظة» من الأمير فخر الدين إلى البابا

وبما أن السيد محي الدين قدورة قد أيّد بدوره هذا المستند ثم ارتكزبدوره الى معاهدة ١٦٠٨.

لذا نرى لزاماً علينا مناقشة هذين المستندين منوّهين بأن المجال قصير في هذا البحث التعرض لسائر الوثائق وعسى أن نوفق إلى اصدارها مجتمعة في كتاب بعنوان «سياسةفخر الدين الخارجية».

١ - في الرسالة «المحفوظة» الى البابا:

من العودةالى النص الوارد في كتاب الشيخ علي الزين (للبحث عن تاريخنا في لبنان) وفي الصفحتين ٢٣٨و ٢٣٩، جاء ما حرفيته: «ومما يشعرنا بملاءمة الظروف» لمحاولات فخر الدين ما تضمنته رسالة (**محفوظة**) منه الى البابا يحثه فيها على السعي للاستيلاء على الأراضي المقدسة ويؤكد له فيها أن الوقت مناسب لأن الفوضى ضاربة أطنابها في البلاد العثمانية والضعف باد عليها. وعرض فيها الأمير على البابا أن يذهب بنفسه الى روميه ليتولى تنظيم هذه الحملة (انتهى النص).

ومن مراجعة النص الوارد في كتاب الأب بولس قرألي (فخر الدين المعني الثاني) وتحت عنوانأوربانوس الثامن ص ١٤٣ جاء ما حرفيته: «وفي السنة ١٦٢٤ كتب فخر الدين الى البابا المذكور (والكلام الآتي يضعه الآب قرألي بين مزدوجين) «**حاثاً إياه على السعي للاستيلاء على الأراضي المقدسة فالوقت مناسب لأن الفوضى ضاربة اطنابها في الامبراطورية العثمانية والضعف باد عليها. وعاهده أن يضع تحت تصرفه جيشه البّري.. وعرض الأمير أن يذهب بنفسه الى روميه ليتولى تنظيم هذه الحملة المجيدة**» (هنا يقفل المزدوجان) واستكتب بهذا المعنى البطريرك الماروني وأبا صافي الخازن حاكم جبّة بشري، (انتهى نص قرألي)

ومن المقارنة بين النصين يتّضح مايلي:

أ - في نص الشيخ الزين ماهو مأخوذ بحرفيته عن نص الأب قرألي. وهذا يعني أن نص الشيخ مأخوذ من نص الأب.

ب - الكلام الموضوع بين مزدوجين في نص الأب قرألي لا يتبين أنه مأخوذ من نص رسالة لفخر الدين الى البابا وذلك كما يتبين من صياغة النص بصورة الغائب وليس بصورة المخاطب كما هي العادة في الرسائل (مثلاً: حاثاً إياه.. وعرض الأمير أن يذهب..)

ج - والذي يبعث على العجب أن الشيخ الزين اكتفى بما اقتطفه من النص الوارد في الصفحة ١٤٣ من كتاب الأب قرألي ولم ينتقل الى باب«عرض الوثائق» في المؤلف نفسه ليدقق في صحة هذا النص المقتطف وذلك في ضوء ما توضحه الوثائق المعروضة. أما عزوف الشيخ الزين عن هذا التدقيق الواجب على المؤرخ فلست ارى تفسيراً له الآغاية منطوية أو قصوراً في التحقيق واليكم ما ورد في كتاب الأب قرآلي نفسه (ص ٢٧٠) في «باب عرض الوثائق» وتحت عنوان «سفارة الخوري يوحنا الحصروني»!

فر الخوري المذكور (الحصروني) في الخامس والعشرين من تشرين الأول (اوكتوبر) سنة ١٦٢٤ وقابل الأمير فخر الدين مقابلة سرّية فسلمه (الأمير) كتاباً بهذا التاريخ الى البابا أوربانوس الثامن يحثه فيه على السعي وراء مشروع الحملة على الأراضي المقدسة. وحمل الخوري يوحنا معه كتابين آخرين وجهها الى الحبر الأعظم البطريرك مخلوف أبي صافي الخازن حاكم جبة بشري تأييداً لطلب الأمير (انتهى النص)

نفهم من هذا النص ان الخوري الحصروني حمل ثلاث رسائل الى الحبر الأعظم واحده منها للأمير فخر الدين

الآ أنه لدى اطلاعنا على عرض هذه الرسائل - الوثائق **لا نجد أثراً لرسالة فخر الدين المزعومة**.



معركة عنجر. اهم معارك فخر الدين. وقد انتصر فيها على أعدائه الذين سيرتهم الدولة العثمانية لتأديبه.

نجد فقط نص رسالة أبي صافي الخازن (ص ٢٧١). ونجد نصاً ثانياً لجواب البابا اوربانوس الثامن على رسالة البطريرك (ص ٢٧١ - ٢٧٢).

وعندما يصل الأب قرألي الى رسالة الأمير (وهنا بيت القصيد) يقول تحت عنوان «جواب البابا أوربانوس للأمير» ص (٢٧٣) ما حرفيته:

«تعبنا كثيراً في التفتيش على نص كتاب الأمير الى أوربانوس الثامن فلم نعثر عليه»

فالرسالة اذن **غير موجودة باعتراف الأب** قرألي وهو الذي فتح خزائن الفاتيكان ليطلع على الوثائق. ويقول إنه لم يعثر عليها.

فكيف يجيز الشيخ الزين لنفسه أن يقول أن الرسالة من فخر الدين الى البابا «**محفوظة**» كما ورد عنده ما حرفيته: «ما تضمنته رسالة محفوظة منه الى البابا» فإذا كان الأب قرألي يعترف بأنها غير موجودة فكيف يجوز للشيخ الزين الذي استند إليه أن يزعم أنها محفوظة! أهذه منهجية المؤرخ المدقق؟ أيحق له أن يورد واقعة لم تحدث أصلاً؟ أليست هذه من مغالطات المؤرخين الذين ينقلون كيفما اتفق؟

د - والطريف أن الأب قرألي يقول انه استدل على رسالة الأمير من جواب البابا اوربانوس الثامن فيضع مقتطفات من هذا الجواب لا يتبين فيها أي ذكر للأمير فخر الدين. بل هي موجهة الى «حفيد قائد الصليبيين» «غودفروا دو بويون»! ويستنتج الأب قرألي أن حفيد قائد الصليبيين هذا هو الأمير فخر الدين. أليس طريفاً حقاً، ومضحكاً في آن معاً، أن يكون الأمير فخر الدين الثاني، الذي يعترف الأب قرألي بدرزيته (وكذلك البابا بولس الخامس بنفسه كما سيأتي بيانه) حفيداً لقائد الصليبيين غودفروا دوبويون. أليس مثل هذا التشويه للتاريخ كان وراء الخرافات المتعدّدة ومنها أن الدروز هم من بقايا الصليبيين؟

هـ - وقبل أن نقفل باب مناقشة الرسالة المزعومة أودّ أن أذكّر بأن الأمير فخر الدين كان سنة ١٦٢٤ (وهو تاريخ الرسالة المذكورة) قد بلغ أوج عزّه وأصبح أمير عربستان بفرمان من الدولة العثمانية. وامتدت سيطرته من انطاكية إلى غزّه فكانت القدس على حدوده وتحت تأثير نفوذه. فما هي حاجته في ذلك الحين الى البابا ليكتب اليه لمساعدته على الاستيلاء عليها؟ ألأنّه كان عاجزاً عن ذلك؟ أم لأنّه كان يريد مكافأة الدولة العثمانية التي كانت قد اقرته على «عربستان» فيغضبها بلجوئه الى التآمر عليها مع البابا؟ واذا كان قد استولى على القدس فهل من أجل أن يقدّمها غنيمة باردة للبابا؟ ألهذا الحد كان ينتهي طموح الأمير فخر الدين؟

و- وقبل الانتهاء من علاقة فخر الدين بالفاتيكان تحدثت بعض المصادر التاريخية على معاهدة «اخرى» بين الأمير والبابا سنة ١٩٣٣. ولدى التدقيق في هذه المعاهدة تبين أنها مجرد تقرير رفعه المطران جرجس الماروني رئيس اساقفة نيقوسيا الى البابا أوربانوس الثامن بشأن فتح مملكة قبرص ومدينة القدس. ومن الغريب أن بعض المؤرخين (ومنهم عيسى اسكندر المعلوف) قد أطلق على هذا لتقرير اسم معاهدة فيقول: «هذه صورة معاهدة الأمير فخر الدين مع البابا أوربانوس الثامن» وهي **التقرير الموجز** الذي رفعه سيادة المطران جرجس مارون الماروني رئيس أساقفة نيقوسيا الى قداسة البابا (ص٢٧٦)

بعد هذا ألا يرى القارىء وجه الشبه بين الرسالة «المحفوظة»- والمعاهدة- التقرير؟

اذا كان من حق سفير أي دولة أن يقدم التقرير المناسب لدولته فهل يمكن أن يسمى مثل هذا التقرير معاهدة في علم القانون الدولي العام!

٢- في معاهدة ١٦٠٨

شدّد السيد محي الدين قدّورة في جوابه على معاهدة ١٦٠٨. ومما قاله: «هذه الاتصالات التي قام بها فخر الدين مع دولة أوروبا ضد الدولة العثمانية استمرّت نيرانها متأججة فترة امتدت منذ عقد المحالفة المعنية- التوسكانية ١٦٠٨ الى عام ١٦٥٣ (المقصود ١٦٣٥) حين اعدم فخر الدين في الآستانة بسبب استمراره في الأتصال بدول أوروبا الآنفة الذكر» وعلى هذا أجدني مضطراً أن انوّه بالحقائق التالية:

أ- ليس هنالك من معاهدة تسمى معاهدة ١٦٠٨ وإن كانت المصادر قد تناقلتها ومنها لمؤرخين كبار وقعوا في هذا الخطأ دون أن يدققوا. فحتى الدكتور حتي في مؤلفه تاريخ لبنان يذكر هذه المعاهدة (ص ٤٥٦) ثم ينسب المصدر في الحاشية الى الأب بولس قرألي. ومن العودة الى المصدر المنسوب اليه نفاجأ، أول ما نفاجأ تحت عنوان معاهدة ١٦٠٨، وفي الحاشية بالذات: بما حرفيته «**لا تاريخ لنص هذه المعاهدة ولما** كانت المعاهدة مع جانبولادباشا قد وقعت في ٣ تشرين الثاني ١٦٠٧ ومضت بضعة أشهر بينها وبين هذه فنرجح أنها جرت في ربيع ١٦٠٨ (انتهى النص)

ب- وقصة ما يسمى بهذه المعاهدة أن غراندوق توسكانا أرسل بعثة برئاسة السفير هيوبوليت ليونسي وذلك على أثر هزيمة علي باشا جانبولاد امام الدولة العثمانية. وعقدت هذه البعثة اجتماعاً مع الأمير فخر الدين يتبينّ من خلاصته أن الغاية الأساسية كانت دعوة الأمير الى التوسط للافراج عن ثلاثة أسرى توسكانيين ويقول الأب قرألي أن فخر الدين قد أملى شروطه على البعثة المذكورة لتنقلها الى غراندوق توسكانا. واليكم ما يقوله بالحرف عن مصير هذه المعاهدة: «ولما وصلت البعثة الى توسكانا قدّم الترجمان للغراندوق **خلاف هذا التقرير** شكوى على السفير اتهمه فيها بافشاء سّر المحالفة في كل الثغور»

ج- من جهة اخرى يقول الأب قرألي في كتابه الأنف الذكر (ص ٢٦٨) ما حرفيته: ويتذكر القرّاء أن آخر وثيقة توسكانية عائدة الى إقامة الأمير في ايطاليا تحمل تاريخ ١١ آب (اغسطس) ١٦١٥، اليوم الذي، وصل فيه الى مسّينافأمامنا بين هاتين الوثيقتين ثغرة تسع سنوات لا يعقل أن ينقطع الأمير خلالها عن مكاتبة البلاط التوسكاني أن لم يكن من باب المجاملة فمن باب المصلحة. وبين السنتين ١٦٢٤ و١٦٢٩ تنفرج ثغرة أخرى توقعنا في الحيرة نفسها: فأكبر الظن أن هناك نقصاً فيالاسانيدلأن المؤرخ مارتي الذي قبلها قبلنا بقرن ونصف قرن لم يملأ هاتين الثغرتين الاّ بتخيلات خارجة من دماغه مما يدل على نقص حقيقي. انتهى النص.

بعد هذا نقول للسيد قدّورة إن معاهدة ١٦٠٨ هي مزعومة ولا تاريخ صحيحاً لها وهي مجرّد تقرير لم يتسلمه صاحب العلاقة نفسه أي

الغراندوق . ثم أن هذه المعاهدة المزعومة لم تستمر حتى سنة ١٦٣٥ فالمصادر تقّر بأن هناك «ثغرتين» الأولى تمتد تسع سنوات (من ١٦١٥ الى ١٦٢٤) والثانية خمس سنوات (من ١٦٢٤ الى ١٦٢٩) فكيف كانت «نيران هذه الاتصالات متأججة من سنة ١٦٠٨ حتى ١٦٣٥» كما جاء في رد السيد قدورة .

ثانياً :
في طبيعة العلاقات الدولية للأمير فخر الدين

بعد هذا العرض المقتضب للرسالة المنسوبة أو المزعومة للأمير فخر الدين الى البابا وبعد التعّرض لمعاهدة ١٦٠٨ المزعومة أيضاً . لا بد لنا من أن نلقي ضوءاً على طبيعة العلاقات الدولية للأمير فخر الدين مراعين الظروف الداخلية والدولية التي كانت تحيق بدولته الناشئة. من البديهي أن دولة كالتي بناها الأمير بسيفه حيناً وحنكته ودهائه حيناً آخر لا يمكن أن تكتب لها الحياة اذا لم تجد متنفساً لها . فهي اذن بحاجة الى ان تقيم علاقات طبيعية مع غيرها من الدول– علاقات اقتصادية وسياسية وعسكرية وغيرها واذا عدنا الى الأوضاع التي عاشها الأمير فخر الدين لوجدنا أن سياسته الداخلية قد أملت عليه سياسته الخارجية : فهو من جهة حارب الاقطاعات الصغيرة ووحدها في دولة هي أقرب ما تكون الى الهلال الخصيب فاضطر لذلك الى أن يجابه الدولة العثمانية ويقف في وجهها في عصر كانت فيه الدول الأوروبية تخشى صولتها . ولم تكن مجابهته عسكرية دوماً فكثيراً ما كان يلجأ الى الحيلة والدهاء فيأخذ بالكلام ما لا يضطر الى أخذه بالسيف . ولا ننس أن عداء قديماً قد استحكم بين الأمير والدولة العثمانية التي قتلت والده قرقماس غدراً وبهتاناً وفتكت بالألوف من عشيرته الدرزية بينهم ستمائة شهيد من العقال غدر بهم ابراهيم باشا والي مصر دفعة واحدة في عين صوفر . فمن الطبيعي أن لا يكون ولاؤه للدولة العثمانية . كما أنه لن يكون لدولة أجنبية أخرى . وإذا كان قد اتجه إلى إقامة علاقات مع بعض الدول الغربية ومنها الفاتيكان فلأنه كان مقبولاً لديها نتيجة لتسامحه الديني مع المسيحيين وخاصة الموارنة منهم الذين خلصهم من جور يوسف باشا سيفا بأن قضى على نفوذه قضاءً مبرماً والذين أعطاهم حقوق المواطنية كاملة بعد أن كانوا يعتبرون من أهل الذمة في نظر الدولة العثمانية .

وبالفعل فقد أقام علاقات حميمة مع الفاتيكان وتوسكانا . وهذا من حقه كما كان من حق الدولة العثمانية أن يكون لها حلفاء في الدول الأوروبية كفرنسا وإنكلترا وهولندا والبندقية .

إلاّ أن هذه العلاقات العادية جداً لا يمكن أن نصفها بالعمالة لأنها تعامل دولي بين دولة وأخرى والمعروف أن التعامل غير العمالة . ولو كان الأمر غير ذلك لجاز لنا أن نتهم اليوم كبريات الدول بالعمالة لمجرد إقامتها علاقات ديبلوماسية بينها وبين دولة من معسكر آخر كما هي حال الصين اليوم مع أميركا . وبَعد الم يقض فخرالدين خمس سنوات في منفاه في إيطاليا دون أن تقدّم له أية دولة . لا توسكانا ولا الفاتيكان ، أية مساعدة سوى أن غراندوق توسكانا توسط له الصدر الأعظم للعفو عنه . أليس في عفو السلطات عنه دليلاً على براءته من العمالة لا سيما وأن الوسيط للعفو دولة كتوسكانة . وهنا نسأل أين مصير المعاهدات ، ومنها معاهدة ١٦٠٨ ، لماذا لم تنفَّذ والأمير ينتظر على أحر من الجمر ويُمنع من العودة إلى بلاده . ناهيك بأن هذه الدول التي أقام فخرالدين معها علاقات ديبلوماسية لم تكن لتغامر بوجودها وأمنها ومصالحها تجاه الدولة العثمانية القوية والتي لها حلفاء من الدول الغربية الأخرى يشدّون إزرها .

ولا بدّ لنا في هذا المجال من أن نذكر ما كان يتمتع به الأمير فخرالدين من قوة ومكانة رفيعة لدى الدول الغربية الصديقة ومنها توسكانا . مما يدل على أنه لم يكن يفاوض من موقع ضعف .

وهاكم رسالة بعث بها غراندوق توسكانا في ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٦٠٧ إلى الأمير وهذا نصّها.

«أيها السيد الكلي الشرف.

وفّق الله سموك – أملي منك أنك ما زلت تذكر الرغبة الشديدة التي أبديتها سابقاً لأفوز بصداقتك. تأكد أني ما زلت راغباً فيها ومقدراً إياها حق قدرها لبسالتك وشرف نفسك. ولما كنت قد أوعزت إلى حامل هذه الرسالة أن يقبل يديك بدلاً مني وأن يؤكد لك محبتي أرجوك أن تقبله في حضرتك وتصغي إليه بارتياح وثق بكلامه كأنه صادر مني. فأوصيك به خيراً واقدم لك نفسي للقيام بكل ما يمكنني من أن أخدمك به.

ليفورنو في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٦٠٧.

خادم سعادتكم المحب»

المرجع: يوسف مزهر تاريخ لبنان العام ج أ ص ٢٧٦.

بعد هذه الرسالة ألا يستغرب القارئ قيمة فخرالدين لدى حلفائه حتى أن غراندوق توسكانة قد أوعز لموفده أن يقبّل يدي الأمير عنه؟

وهناك رسالة شهيرة من البابا بولس الخامس نفسه إلى الأمير فخرالدين ومؤرخة في ١٦ كانون الثاني ١٦٠٩ نقتطف منها ما يلي:

«الى فخرالدين أمير الدروز ونيقوميدية وفلسطين وفينيقية.

سلام أيها الرجل الشريف وليحل عليك نور النعمة الالهية:

عرفنا الأخ المحترم سركيس رئيس أساقفة دمشق الماروني الذي أمّ روميه لزيارة ضريحي الرسولين القديسين عطفَك على أولادنا المسيحيين وخاصة الموارنة. فبتنا مدينين لك كثيراً لأن ما تفعله نحو أولادنا تفعله نحونا...الخ».

أليس في رسالة الحبر الأعظم ما يؤكد المكانة التي كان يحتلها فخرالدين في علاقاته الخارجية. ألا يبرز ذلك في هذه اللهجة السامية التي يخاطب بها البابا الأمير المعنيّ العظيم معترفاً بفضله وبتسامحه الديني في عصر كانت فيه هذه الفضيلة نادرة. وبيننا اليوم وبين فخرالدين ثلاثة قرون ونصف القرن وبيننا وبين فضيلة التسامح الديني «بيد دونها بيد».

(ثالثاً: ماذا وراء تشويه صورة الأمير).

إختلف المؤرخون على فخرالدين. والناس ما اختلفوا يوماً إلاّ على رجل عظيم. إلاّ أنه بعد ما تقدم من بحث يُثبت تشويه التاريخ وتزويره، نجد أنه من الحيف أن يرمى مثل هذه البطل بفرّية. من ترى يبقى لنا من أبطال التاريخ سالماً إذا شوهنا فخر الدين؟ هذا الثائر الكبير على الإقطاع وعلى الإستعمار العثماني قبل ثلاثة قرون من سقوطه. هذا البطل القومي الوحدوي الذي ما زال قدوة يحتذى سواء في أوضاعنا الداخلية في لبنان أو في التيارات القومية التي تحتضن لبنان. هذا المصلح الإجتماعي الذي حقق أسمى مبدأ نتوق اليوم إلى تحقيقه ألا وهو التسامح الديني والإقلاع عن الطائفية والعصبيات الدينية التي تمعن فينا تمزيقاً.

ومن المؤسف أن يكون بعض المؤرخين وكتبة التاريخ قد أخذوا على هذا الرجل الكبير تساهله الديني فتناولوه من هذه الزاوية بالذات. ومن المؤسف أن يكون قد قصد «تبنّيه» دينياً بنسج الحكايات المختلفة عنه كاعتناقه النصرانية وهو في أواخر حياته وفي حالة المرض كما تزعم الرواية. أو اعتباره حفيداً صليبياً لغودفروا دو بويّون وهو حفيد الأمير معن الذي نزل الشوف مع عشيرته في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد لمحاربة الصليبيين، بعد أن نازل ملك الفرنجة بلوديون بالقرب من انطاكيا. وهذه الروايات تقرب كثيراً من تلك التي تعتبر الدروز من بقايا الصليبيين لأنها من نسج واحد أليس هذا تشويهاً لتاريخنا وإساءة لكرامتنا القومية. فإما أن نصدق الخرافات المشوّهة وإما أن

نعتبر فخر الدين بطلاً قومياً لا متعاملاً مع الدول الغربية لبعث صليبية جديدة. والمعنيون لم يبرزوا في التاريخ إلاّ عندما قاوموا الفتوحات الصليبية فشكلوا حلفاً مقدساً مع العائلات الدرزية العريقة كالارسلانية والبحترية التنوخية وآل نكد وآل تلحوق. هذا الحلف الذي شد أزره الشهابيون عندما قدموا إلى وادي التيم في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

يبقى لي أن أقول كلمة أخيرة وهي أن فخر الدين لم يعدم في الآستانة لتعامله مع الدول الغربية كما ذكر في ردّه. إن الآستانة قضت على فخر الدين لتقضي على طموحاته التوسعية التي كانت تهدّد الدولة العثمانية بالتفكك. وقد ذكرت بعض المصادر ومنها المحبي أنه لم «يبق أمام فخر الدين سوى دعوى السلطنة». إن طموح فخر الدين، وربما للوصول إلى عرش السلطنة، هو الذي قضى عليه وقد دافع عن نفسه أمام السلطان مراد فأقنعه وعفا عنه. لكن خصومه في الداخل أوعزوا إلى ابن أخيه يونس ليثير القلاقل ضد الدولة العثمانية. مما أثار حفيظة السلطان فأمر بإعدامه في يوم مشؤوم هو الثالث عشر من نيسان (ابريل) سنة ١٦٣٥.

لنكتب عن فخر الدين ولكن من منطلق وطني وليس من خلفيات طائفية. لأن في ذلك إساءة للرجل الكبير الذي عرف كيف يذيب الطائفية في نفسه ليقتدي بها شعبه. فهو الدرزي إبن بعقلين الذي يكسب ود الفاتيكان لتساهله مع المسيحيين، وهو الدرزي الذي كان يمارس الشعائر الإسلامية حتى في إيطاليا نفسها. فقد ذكر الدكتور حتي في مؤلفه تاريخ لبنان أنّه بنى جامعاً في نابولي واستقدم مؤذناً له للصلاة وهو الذي حلف بحق «زمزم والنبي المختار» ليبني دير القمر من حجر عكار وما زال جامعه في الدير قائماً إلى اليوم. وهو القيسي الذي أذاب العصبية القيسية اليمنيّة بتقربه منْ اليمنيين وإقامة علاقات القرابة والمصاهرة. فجمع الحزبيين المتناحرين تحت لوائه الذي ضم اللونين الأبيض والأحمر الأول شعار اليمني والثاني شعار القيسي.

والخلاصة أن فخر الدين لم يكن مؤسس دولة بضم أشلائها المتنافرة فحسب، بل كان باني عمارة شعب بأسره لا تتحكم بمصيره طائفية أو إقطاعية او عرقية. ولم يكن مرتهناً في علاقاته السياسية الداخلية والخارجية. وإذا كان قد أجمع عليه شعبه قديماً وحديثاً فليس من العدل أن يختلف فيه المؤرخون حتى لا تتشوه صورته الوطنية الصافية وحتى لا يتناول التشويه حاضرنا في لبنان وماضينا معاً.

١ - **الخوري بولس قرألي «فخر الدين المعني الثاني» أمير لبنان. إدارته وسياسته. ١٥٩٠ - ١٦٣٥ (حريصا. مطبعة القديس بولس. ١٩٣٧. الأجزاء الثلاثة).**

٢ - **أحمد بن محمد الخالدي الصفدي «لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني» (منشورات الجامعة اللبنانية. بيروت ١٩٦٩. رستم البستاني).**

٣ - **الدكتور فيليب حتي «تاريخ لبنان» منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر. ترجمة الدكتور أنيس فريحة. مراجعة الدكتور نقولا زيادة. دار الثقافة. بيروت. الطبعة الثانية آذار ١٩٧٢.**

٤ - **عيسى اسكندر المعلوف «تاريخ فخر الدين المعني الثاني» (جونية. مطبعة الرسالة اللبنانية. ١٩٣٤).**

٥ - **عزيز الأحدب. عميد ركن. «فخر الدين إن حكى» دار الكتاب اللبناني.**

٦ - **عزيز الأحدب. عميد ركن. «فخر الدين مؤسس لبنان الحديث» (دار الكتاب اللبناني).**

٧ - **دكتور عبد العزيز نوّار: «دراسات في تاريخ لبنان الحديث». جامعة بيروت العربية. كلية الآداب. قسم التاريخ والجغرافيا. السنة الرابعة.**

٨ - **«مجلة فخر الدين» وما يضاف بعد؟ إعداد المجلس الدرزي للبحوث والانماء. جريدة «النهار» ١٩٧٧/١٠/٣٠**

٩ - **ردّ محمد العريفي على الدكتور كمال الصليبي. جريدة «الزمان» العدد ٤٦٩٨ تاريخ ٨ آب ١٩٦٦**

الجغرافية عند أصحاب الحضارات القديمة

وجيه عضاضة

ولدت الجغرافيا كفرع من شجرة المعرفة الإنسانية في أرض الحضارات القديمة. وأخذت على مر الزمن تنمو وتتطور حتى اكتملت اليوم علماً ثابت الأصول قوي الأركان.

في المرحلة الأولى من هذه الدراسة نقسم المعرفة الجغرافية إلى ثلاثة أقسام:

أ : آراء ومعتقدات تتصل بشكل الأرض ومركزها من الكون.

ب : معلومات عن العالم المعمور.

ج : معرفة بعمليات حساب الزمن وقياس الأرض والمحاولات الأولى لرسم الخرائط.

وهذا عرض للمعرفة الجغرافية وفقاً للتقسيم المشار إليه عند المصريين والسوريين والبابليين والفينيقيين والصينيين.

فيما يتعلق بالخلق تقول نظرية المصريين القدماء بأن الأرض والسماء قد نشآ في المحيط الأزلي الذي يعتبر بداية لكل خلق. فمن ذلك المحيط أن إله الشمس الذي كانوا يعرفونه بإسم «أمون – رع» وُلَد من زهرة «لوتس» كانت نامية على سطح المحيط، باعتبار أن الماء هو أساس كل شيء وأصل كل خلق. ثم ارتفع بارزاً من المحيط وقام بخلق إله الهواء «شو». ثم جعله يقوم بفصل اخته «نوت» (السماء) عن أخيه «كب» الأرض)..

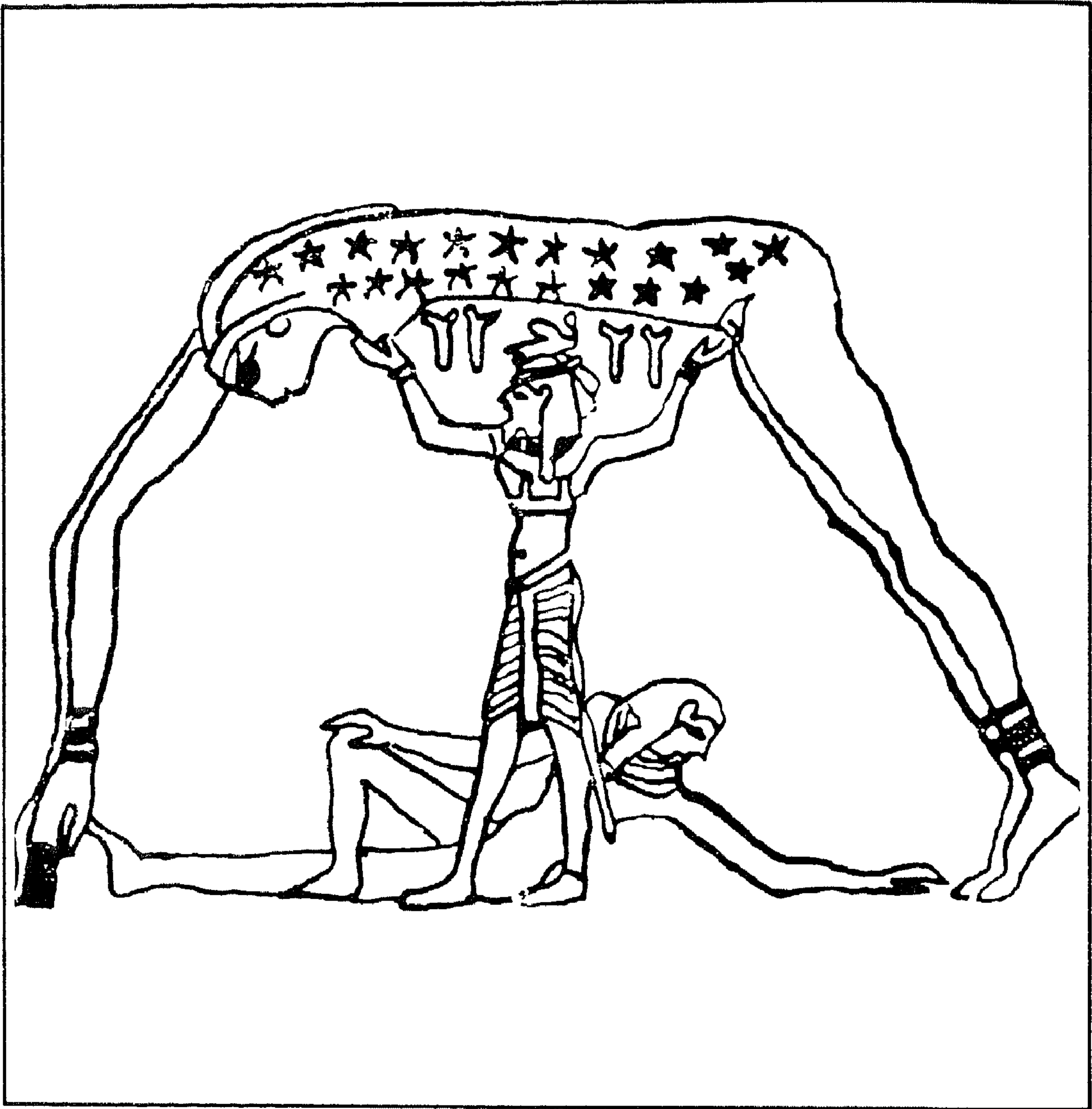
وجيه عضاضة: مدرس مادة الاجتماعيات في المدارس التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية.

لقد صور المصريون القدماء تلك الصورة الأسطورية بشكل يبين طريقة فصل السماء عن الأرض.

وصوروا إلهة السماء «نوت» تحيط بالسماء حاملة نفسها على يديها وقدميها. كما يجعل إله الأرض «كب» ممدداً على الأرض أما الإله «شو» فيقف في الوسط بعد أن رفع «نوت» على يديه. واعتقد المصريون القدماء كذلك بأن الإله «شو» ربما كانت تساعده في حمل السماء أعمدة أو جبال عند الأفق.

لقد تصور المصريون القدماء الكون على هيئة صندوق شكله متوسط بين البيضي والمستطيل. وأطول أبعاده يمتد بين الشمال والجنوب وأقصر أبعاده بين الشرق والغرب. وتكون الأرض (ومصر في وسطها) القاعدة المنبسطة أو المقعرة قليلاً لهذا الصندوق، بينما تكون سلاسل من الجبال جوانب الصندوق وأركانه وتكون السماء غطاءه. كذلك اعتقدوا بوجود نهر سماوي عظيم يجري على إرتفاع قريب من مستوى السلاسل الجبلية المحيطة. هذا النهر يجري حول الأرض باستمرار. وما النيل إلا فرع من هذا النهر السماوي يأخذ منه عند شلال عظيم يقع قريباً من ثنيته الجنوبية. ولهذا فأن الجنوب كان عند المصريين أهم جهة أصلية. وقد حددوا على أساسها بقية الجهات.

وقد تصوروا الشمس والقمر والكواكب آلهة تحملها قوارب تتحرك على ماء النهر السماوي



عقيدة قدماء المصريين في خلق العالم

بسرعات مختلفة. وعندما يكون القارب متجهاً من الشرق إلى الغرب ماراً بالجنوب يكون النهار. ويحتجب الضوء ويكون النهار عندما ينحدر القارب في رحلته من الغرب إلى الشرق ماراً بالقمة الشمالية. أما كسوف الشمس فقد فُسِّرَ بأن إله الشمس كان أحياناً يدخل في معركة مع ثعبان عظيم في النهر السماوي مما كان يمنع ضوءه من الوصول إلى الأرض. وكان تغير أوجه القمر في رأيهم يرجع إلى أن هذا الإله كان يموت ويولد من جديد ١٢ مرة في السنة. فعندما يصبح بدراً في منتصف كل شهر تنقض عليه خنزيرة لتنزعه من صفحة السماء وتلقي به في النهر السماوي هناك؛ ينطفئ نوره ويختفي عدة أيام. كذلك كانت الكواكب آلهة تحملها قوارب تسبح في مياه النهر السماوي ولكن تختلف في إتجاهاتها وسرعاتها. أما النجوم فهي في ظنهم مصابيح تتدلى من قبة السماء الحديدية بواسطة حبال حديدية أيضاً.

أما عن إهتمام البابليين بخلق الكون فتحكي الأساطير أنه قبل معرفة السماء والأرض كان يوجد البحر والمحيط. وفي أسطورة بابلية أخرى نجد

اعتقاداً آخر مفاده أن الإله قهر تيامات الممثلة للقوة أو السلطة الأقدم للكون، قبل تكوينه او ما يسمى «باهيولي». فَلِقَ هذا الإله إلى فلقتين كما تفلق صدفة السمكة. فكانت الفلقتان هما الأرض والسماء.

أما فيما يختص بالأرض فقد كانت معتقدات البابليين غير ناضجة:

فتقول أساطيرهم أن الأرض قفة[1] مقلوبة طافية علي الأوقيانوس بمعنى انها تشبه قبة محدَّبةً ضخمةً أو جبلاً هائلاً بارزاً من العمق الأزلي. كما أن آلهتهم تسكن فوق الجبل بل وتستقر الأرواح بعد مفارقة الأبدان في عالم سفلي خاص.

واعتقد البابليون كذلك بأن الأرض تتكون من سبع طبقات وبأن الشمس تختفي ليلاً خلف جبل في شمال الأرض.

ماذا عن معرفة القدماء بالعالم المعمور؟

كانت معرفة القدماء بالعالم المعمور تزداد بالغزوات الحربية وبنشاط التجارة وبالرغبة في الرحلة وكشف المجهول والتعرف على الشعوب الأخرى. هذه المعرفة كانت محدودة نسبياً تتخللها الأساطير والخيالات. وسبب ذلك هو ضعف وسائل التنقل والحركة وانعزال الحضارات. فقد عرف المصريون القدماء جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا عن طريق الغزوات والتجارة. كما هدفت رحلاتهم إلى سواحل البحر الأحمر للوصول إلى «الأرض المقدسة» بونت أي بلاد الهند. حيث يشرق إله الشمس.

أشهر الرحلات هذه تلك الرحلة التي أرسلتها الملكة حتشبسوت عام ١٥٠٠ ق.م.. وكانت مكونة من خمس سفن.

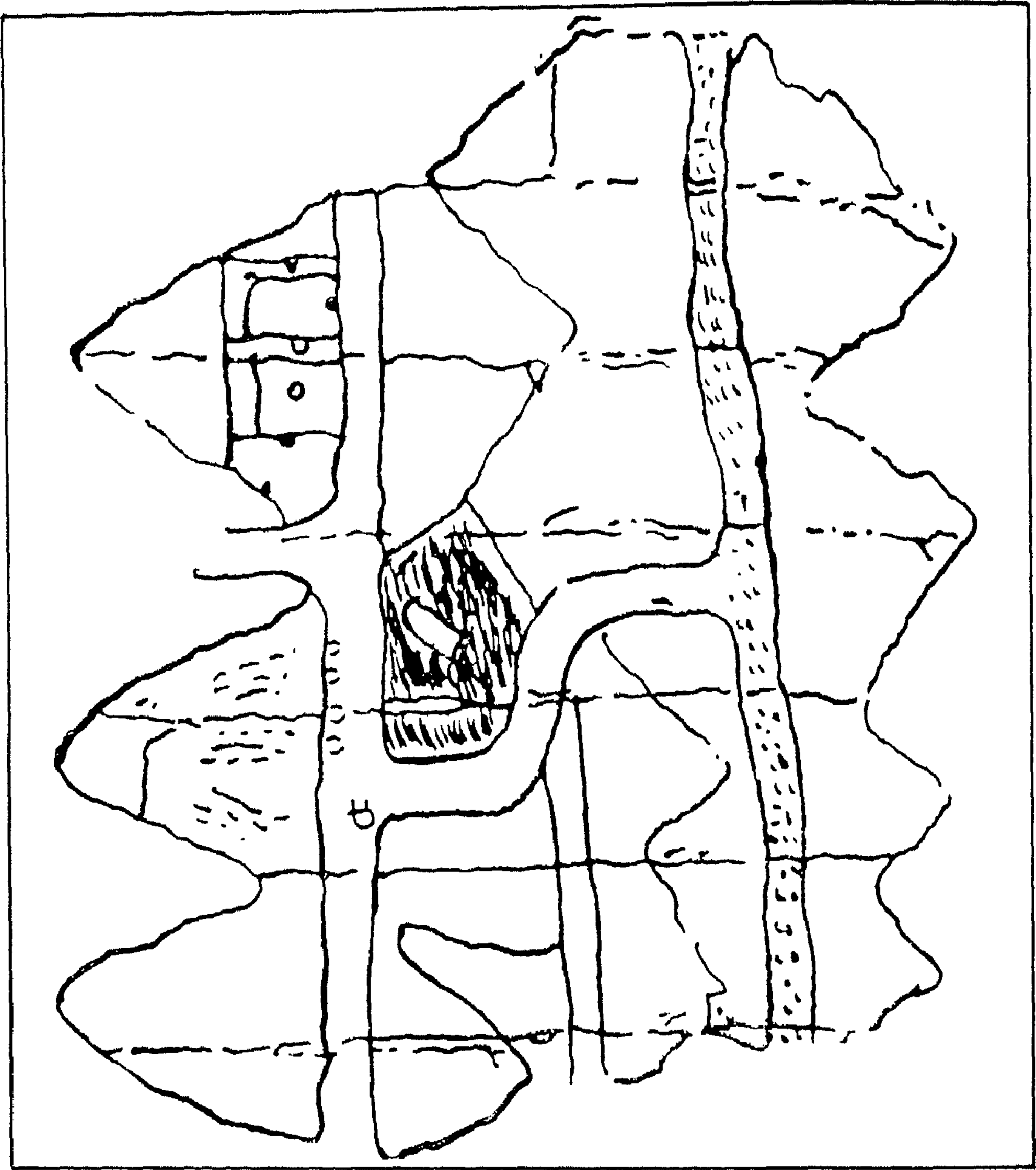
وكان هدف هذه الرحلة هو جلب شجر البخور لكي تزين الملكة المصرية معبدها الجميل. تحدوها الرغبة في أن تجعل للإله «آمون» بونت أخرى في حديقة المعبد. وعادت السفن محملة بعجائب بونت التي لم تجلب لأحد من الملوك السابقين. فمن ذلك، البخور والتوابل والأخشاب الثمينة والعاج والعبيد والببغاوات...

كما توغل المصريون القدماء جنوباً عن طريق نهر النيل ودرب الأربعين إلى السودان. فتجمعت لديهم معلومات عن بعض الشعوب الأفريقية. وتحكي الأساطير أن هنالك أقواماً من الناس ذوي صفات غاية في الغرابة: فمنهم من لا لسان له أوليست له قصبة أنف. ومنهم من له وجوه شبيهة بوجوه الكلاب، ومجموعة أخرى لكل فرد فيها عين واحدة في الصدر وليست في الرأس. كما امتدت غرائب قصصهم إلى عالم الحيوان أيضاً. فذكر مثلاً عن وجود حمير لها قرون. ووحوش ضارية ذات خطر شديد كالثعابين مثلاً.

ولقد وجه البابليون أهتماماً خاصاً إلى التعرف على بلاد فارس وبلاد حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي والجزيرة العربية ومصر. وذلك عن طريق التجارة والفتوحات ولذلك فقد اهتموا كثيراً بعلم الفلك لإرتباطه المباشر بالملاحة البحرية. كما بنوا لهذه الغاية سفناً أبحروا بها على طول سواحل البلدان المذكورة.

إحتفظ الفينيقيون لأنفسهم بأسرار الطرق التجارية والمعارف الجغرافية حرصاً على مصادر بضائعهم ومنابع ثرواتهم ورخائهم. وكان الفينيقيون يفضلون الموت على أن يبوحوا بأي من أسرار تلك الطرق التجارية في البحار. ومما يدون بصدد ذلك ان إحدى السفن الفينيقية تعقبتها ذات مرة سفينة رومانية. فما كان من السفينة الفينيقية إلا ان جنحت إلى أقرب ساحل وتوقفت تماماً عن الرحلة، إلى أن يئست السفينة الرومانية وابتعدت عنها.

وليس بغريب أن يكون الفينيقيون هم الذين ابتكروا القصص المخيفة عن أخطار ركوب البحر ليخلوا لهم المجال ويحتكروا التجارة البحرية وحدهم.



خريطة مصرية قديمة تبين الطرق الى مناجم الذهب

وقام الفينيقيون بتأسيس عدة مستعمرات لهم في حوض البحر المتوسط . فكان لهم مستعمرات في قبرص وصقلية وسردينية وكريت وغيرها . وكانت أعظم محطاتهم التجارية قرطاجة التي أسسوها عام ٨٠٠ ق.م. وتقع مكان مدينة تونس الحالية في شمال أفريقيا . أما عن الرحلات الفينيقية في المحيط الأطلسي والتي اجتازت فيها السفن الفينيقية أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) . فقد كشف الفينيقيون سواحل أفريقيا الغربية وبنوا عليها محطاتهم التجارية. وكان الفينيقيون أول الشعوب التي اكتشفت هذه السواحل . وكانت قد ظلت مدة طويلة مجهولة تماماً . وقد تعرفوا على شعوبها القديمة كعناصر البربر في وادي دراع . وكذلك رأوا في شمال نهر أورور قطعاناً من الفيلة الوحشية . بينما

هاجمتهم في السنغال شعوب بدائية تشبه إنسان العصر الحجري الحديث في ملبسه وسلاحه.

وقد تعرّف الفينيقيون على تجار بلاد البحر البلطي وتبادلوا معهم الكهرمان. كما كان لهم علاقات إقتصادية بأهل إقليم كورنوال.

أما عن إهتمام الصينيين بالرحلات البحرية فيعود إلى تشجيع الملاحين العرب الذين كانت لهم خبرة واسعة بركوب البحر. فقد ورد في كتاب المسعودي أن أقدم رحلة صينية ترجع إلى النصف الأول من القرن الخامس الميلادي. وقد عبرت نهر الفرات عند الحيرة. فضلاً عن الحوليات الصينية التي إجتازت البحر من كانتون إلى الفرات كذلك قام الصينيون برحلات من سيلان (سريلانكا) إلى ساحل مالابار وعبروا أيضاً كامبي حتى وصلوا إلى ديو. وكان لهم إهتمام خاص بجزيرة سيلان لاعتناقها البوذية.

وكان أول ما اهتم به الصينيون الكشف عن معالم العالم الآسيوي وقلب آسيا وبعض أقاليمها الواقعة إلى الشرق من جبال زاجروس.

حساب الزمن والمساحات

أما عن الجانب الثالث من المعرفة الجغرافية وهو المتعلق بحساب الزمن والمسافة والتفكير في عمل الخرائط. فقد راقب قدماء المصريين ما في السماء من نجوم وحددوا مواقعها ورصدوا تحركاتها وقسموا السنة إلى ٣٦٥ يوماً وربع اليوم. وقسموا السنة إلى إثني عشر شهراً. وكانوا يقيسون الأرض الزراعية لتحديد الضرائب بواسطة حبل طوله مائة ذراع. كذلك توصل المصريون إلى حساب مساحة الشكل المربع والمثلث وتقدير حجم الشكل الهرمي.

أما الخرائط التي تركوها فهي توضح الطرق ومناجم الذهب في الصحراء الشرقية وتعود هذه الخرائط إلى الأسرة التاسعة عشر (١١٠٠ ق.م.) وتوجد الآن محفوظة بمتحف تورينو ومرسومة على ورق البردى.

وبرع البابليون في علم الأرصاد الفلكية. رغم الأدوات البسيطة التي استعملوها لهذا الغرض. فقد استخدموا المزولة[٢] الشمسية.

كما عرفوا بعض النجوم القريبة من الشمس: عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل. ووضعوا تقويماً قمرياً. وقسموا الشهر القمري بين ٢٩ و ٣٠ يوماً. وقاموا بتسجيل ظاهرة الخسوف والكسوف.

إن أقدم الخرائط البابلية المحفوظة. موجودة حالياً في جامعة هارفارد الأميركية. وهي المعروفة باسم لوحة جاسور نظراً لأنها اكتشفت في مدينة جاسور. الواقعة شمالي بابل. ويرجع تاريخها الى عام ٢٥٠٠ ق. م. وهذه الخريطة عبارة عن لوحة من الطين بعداها ٧ سم و ٩ سم تقريباً. عليها أحد الأنهار تحيط به رموز من الجانبين.

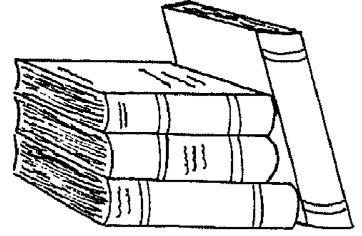
أما أهم الخرائط البابلية التي أثارت الانتباه والدهشة بشكل استثنائي. نظراً لأنها تكاد تكون إحدى العجائب والغرائب. فهي خريطة للعالم. وهي تعتبر تغييراً كبيراً في مفهومهم للعالم. وتعود تقريباً الى القرن السادس قبل الميلاد. وهذه الخريطة تصور العالم على شكل قرص مستدير يحيط به البحر من جميع الجهات.

أما عن اهتمام الفينيقيين بالنجوم فقد استخدموها للسفر ومعرفة طريقهم في البحر ليلاً. وكذلك الصينيون. فالتقويم الفلكي معروف عندهم منذ زمن طويل. أما الخرائط فقد اهتموا بها بعض الشيء وان كانت لا تستند الى اسس علمية. لكنها كانت ضرورية لقياس الأرض الزراعية وتحديد الضريبة ومصادر المياه. وكانت تبين المناطق المرتفعة عن المناطق المنخفضة. كما تبين الاتجاهات والانحناءات.

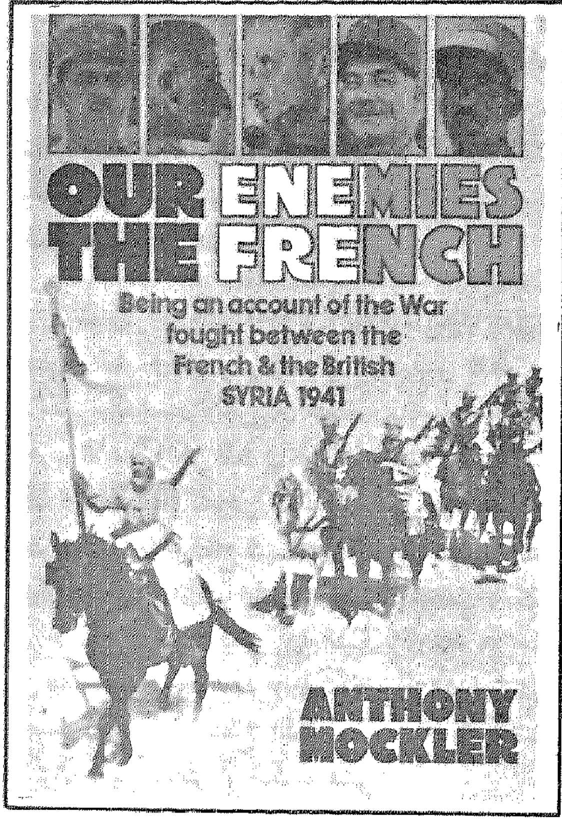
---

(١) «القفة» قارب مستدير الشكل كان يصنع من نبات الحلفا والبردى ثم يُطلى بالقار وكان هذا النوع من القوارب يستعمل في بلاد ما بين النهرين منذ أقدم العصور.

٢ – قضيب بنظام خاص يقيس بالظل زاوية الشمس.



عرض كتاب



أعداؤنا الفرنسيّون

تقرير عن الحرب بين الفرنسيين والانكليز في سوريا

تأليف : انتوني موكلر
عرض : عايده نعمان

■ يعرف المؤلف كتابه في المقدمة بقوله انه مجرد تاريخ عسكري لحرب وقعت من أجل السيطرة على سوريا في عام ١٩٤١ وانه لا يختلف عن غيره من كتب التاريخ العسكري بكل ما تتميز به من تفاصيل. سوى ان المتحاربين كانوا في شك دائم انهم لا يحاربون عدوهم الحقيقي. يستثني من ذلك فوزي القاوقجي ورجاله الذين كانوا يدركون انه لا بد لهم من محاربة الانكليز ويدركون أيضاً لماذا يحاربونهم.

ينطلق المؤلف من قناعات اساسية كما يذكر وهي انه رغم شدّة التداخل والتشابك في أحداث الشرق الأدنى حينذاك هناك ثوابت لا يمكن تجاهلها وهي :

أولاً : ان الامة العربية وحدت فعلاً كوحدة سياسية وثقافية. وما كان يحل في جزء منها كان يؤثر في الجزء الآخر.

ثانياً : في المنطقة حينذاك كانت هناك ثلاث قوى وهي تركيا وفرنسا وانكلترا. وكانت هذه القوى على وفاق تام على اقتسام مغانم المنطقة بحيث لم يكن للالمان أو لأية فئة ثورية عربية من حظ في إحداث أي تغيير يذكر.

ثالثاً : مهما صغرت أو كبرت التناقضات بين القوى الثلاث المذكورة كانت مجمعة بل مصممة على منع المانيا أو حليفتها ايطاليا من تعكير التوازن الحاصل في الدول العربية.

في الرابع عشر من حزيران ١٩٤٠. وبينما كان الماريشال بيتان يعلن هزيمة فرنسا واستسلامها كان السفير البولوني في أنقره يسر في أذن السفير البريطاني : «لماذا لا تتحرك قواتكم وتحتل سوريا؟» ولم يكن اقتراح السفير البولوني مجرّد مصادفة إذ في حمص كانت هناك قوة بولونية من أربعة آلاف رجل ممن افلتوا من مذابح الالمان في بولونيا لتسعة أشهر خلت. هذه القوة لم يكن ليثير

عايده سلمان نعمان. نالت ب.ع. أدب عربي من كلية بيروت للبنات. وماجستير علم المكتبات من جامعة مينيسوتا. الولايات المتحدة الأميركية. درست علم المكتبات في كل من الجامعة اللبنانية. كلية الاعلام والتوثيق. وكلية بيروت الجامعية حاليا. رئيسة قسم الاعارة في مكتبة يافت. الجامعة الأميركية في بيروت.

حماستها أكثر من دعم أي تحرك انكليزي يبعد شبح المانيا عن الشرق. أما الانكليز فكانوا يتساءلون إذا ما كانت هزيمة فرنسا ستعني حكماً سقوط مناطق نفوذها تباعاً بيد الالمان. بل كانوا يتساءلون أكثر من ذلك: لماذا لا تسقط هذه المناطق تحت نفوذهم هم، وخاصة تلك المتاخمة لمناطق وجودهم، بل من أحق منهم في وراثة حلفاء الأمس وخاصة في سوريا ولبنان وجيشهم على بعد أميال في فلسطين أو بعض مناطق العراق؟.

سوريا أصبحت فجأة في الواجهة وكأنها امتداد لخطوط النار في أوروبا. الصراع حولها ليس فقط بين الانكليز والفرنسيين ولكن بين الفرنسيين أنفسهم بما يشبه الحرب الاهلية ولكن فقط في صفوف الجيش. من بيروت كان الجنرال دانتز المفوض السامي الفرنسي وممثل حكومة فيشي يحاول ما استطاع تثبيت سيطرته على سوريا لدعم حكومة فيشي بينما اعتبر الجنرال ديغول ان محالفة الانكليز في حرب ضد قوات فيشي في الشرق الاوسط هو جزء من قتاله ضد المانيا. لذلك أرسل بكاترو الى الشرق لينظم الحملة وليشق ما استطاع القوات الفرنسية التي كانت ما تزال تدين لدانتز أو لحكومة فيشي.

في هذا الوقت كان راديو برلين يغدق الوعود على العرب «إذا نجح المحور في الحرب فسوف تنشأ أمة عربية حرّة يكون لبنان وفلسطين جزئين منها ولن يكون هناك وطن لليهود. ولم تكن هذه الدعوة لتذهب هباء إذ كتب الحاج أمين الحسيني إلى هتلر في عام ١٩٤١ يقول:

«يا صاحب السعادة،

ان بريطانية ذلك العدو الظالم والخبيث، العدو الحقيقي لتحرر العرب. لا تكل عن صنع الاغلال لاستعباد الشعب العربي واذلاله».

وختم رسالته بتمني النصر السريع لهتلر ولجيوش المحور! يقول المؤلف ان هذه المشاعر لم تكم وقفاً على الحاج أمين الحسيني في تلك الفترة وانما كانت مشاعر معظم العرب التواقين الى الحرية وغير القادرين على التعبير عنها.

في حين راجت شائعات ان الالمان سيتوجهون الى الشرق. أبرق الجنرال دانتز الى حكومة فيشي يقول: «انني الآن في مواجهة تهديد ديغولي - انكليزي. وما لم أظهر انني ادافع عن فرنسا ولست بصدد دعم أو عداء للالمان. ما لم اظهر بهذا المظهر فسيكون مصيرنا الانهيار».

ولكن كانت ردّة فعل ديغول برقية أرسل بها إلى الجنرال كاترو يقول ان السرعة وحدها تقرر مدى نجاح أو فشل الحملة الى دمشق. يجب أن تزحف توا الى دمشق. حتى ولو بلواء واحد. ان ما يستتبعه ذلك من الوقع النفسي سيضمن النتائج.

وبالفعل بدأ الفرنسيون الاحرار زحفهم على سوريا ولبنان وكذلك الانكليز الذين لم يكن ليعيق تقدمهم نحو تدمر إلاّ الهجمات الخاطفة الآتية في جنح الظلام من الصحراء بقيادة فوزي القاوقجي الذي كان الانكليز يجدّون في البحث عنه لاعتقاله اينما وجد.

كانت الحرب حينذاك تبدو وكأنها حرب الجميع إلاّ أهل المنطقة بالذات. كان الانكليز يحاربون بفرق من كل لون وجنس من جميع مستعمراتهم. وكان هناك السنغاليون والشركس وقوات فرنسية. من شمال افريقيا. وكان الانكليز يحاربون بالاوستراليين وبفرق من الهند والبنجاب وغيرها. حتى ان أحد الضباط الفرنسيين صرخ بزميل انكليزي بعد إحدى المعارك «ان هنودكم حقاً رائعون».

اللبنانيون والسوريون كانوا يرقبون عن بعد. لم تكن الحرب لتعنيهم. الانكليز يحاولون توسيع سلطتهم لتشمل الهلال الخصيب الفرنسيون بحربهم هنا يوفرون على انفسهم حرباً أهلية غير ممكنة بوجود الالمان المنتصرين. كان الاهالي فقط يودون انتهاء الحرب وعودة السلم بصرف النظر عن النتائج. إذ حين ضرب الانكليز قصر الصنوبر مقر القيادة الفرنسية أرسل دانتز الى فيشي يقول: «لقد هدم مقرّي. كذلك ضربت بيروت بالمدفعية دون سبب سوى إثارة المواطنين ضدي. انهم على كل حال يدعونني بالجزار ويجدون مقاومتي ضرباً من السخرية».

لم تكن الحرب حرب اللبنانيين ولا السوريين. لم تكن من أجل سوريا أو لبنان، إذ حين انجلت عن انتصار الانكليز والديغوليين، دفنت جثث ثمانمائة فرنسي قتلوا في معارك بعضهم مع البعض، دفنت كلها معاً في مقبرة الفرنسيين في دمشق وكتب فوقها جميعاً «ماتوا من أجل فرنسا».

المرجع

''Our ennemies the French''
by Antony Mockler, London
Leo Cooper, 1974



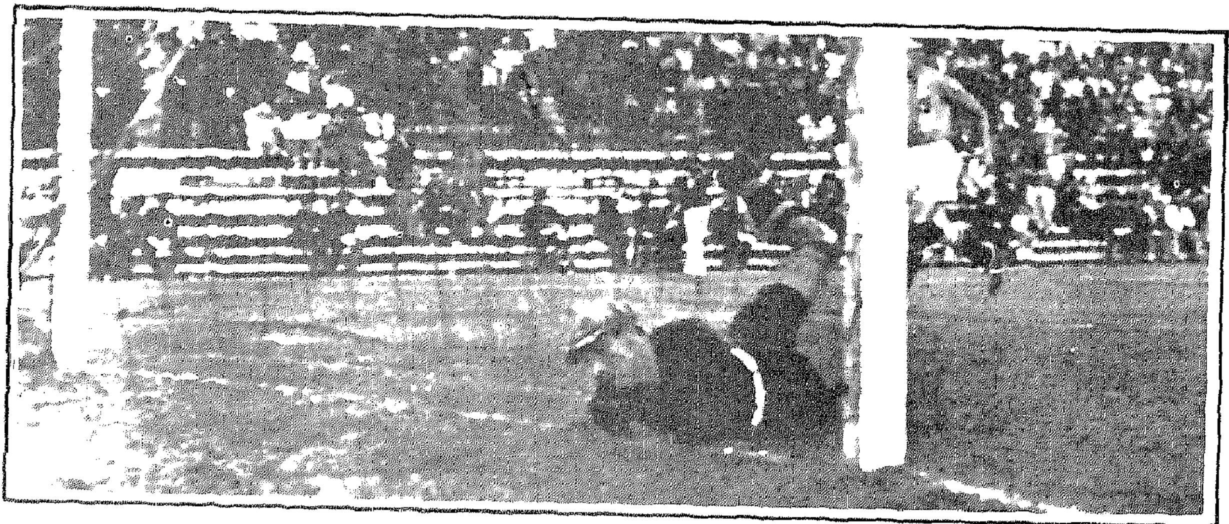
ايطاليا رعت بطولة ١٩٣٤ التي انتصر فيها... موسوليني

رفيق علم الدين

جرت بطولة كأس العالم الثانية لكرة القدم في روما في العام ١٩٣٤ بتشجيع شخصي من موسوليني الذي امر بتجهيز المنشآت الرياضية لاستقبال فرق العالم في الادوار النهائية من البطولة. كان «الدوتشي» يريد استغلال هذه المناسبة الرياضية الدولية — تماماً كما سيفعل رفيق دربه هتلر بالنسبة الى الالعاب الاولمبية في العام ١٩٣٦ — في محاولة لفك عزلة بلاده المتزايدة وسط طبول الحرب التي كانت تسمع أصداؤها في انحاء عديدة من اوروبا، خصوصاً بعد استلام هتلر السلطة في المانيا في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣.

تميزت البطولة الثانية لكرة القدم بطابعها الاوروبي ان لجهة مستوى الفرق الوطنية المشاركة او لجهة عددها: فمن اصل ١٦ دولة اشتركت في البطولة كان هناك ٤ دول غير اوروبية: اميركا والبرازيل والارجنتين ومصر. وكانت الفرق الاوروبية بلا منازع من اقوى المنتخبات الدولية يومها، نذكر خصوصاً فريق النمسا الذي كان المرشح للفوز لكنه فشل.

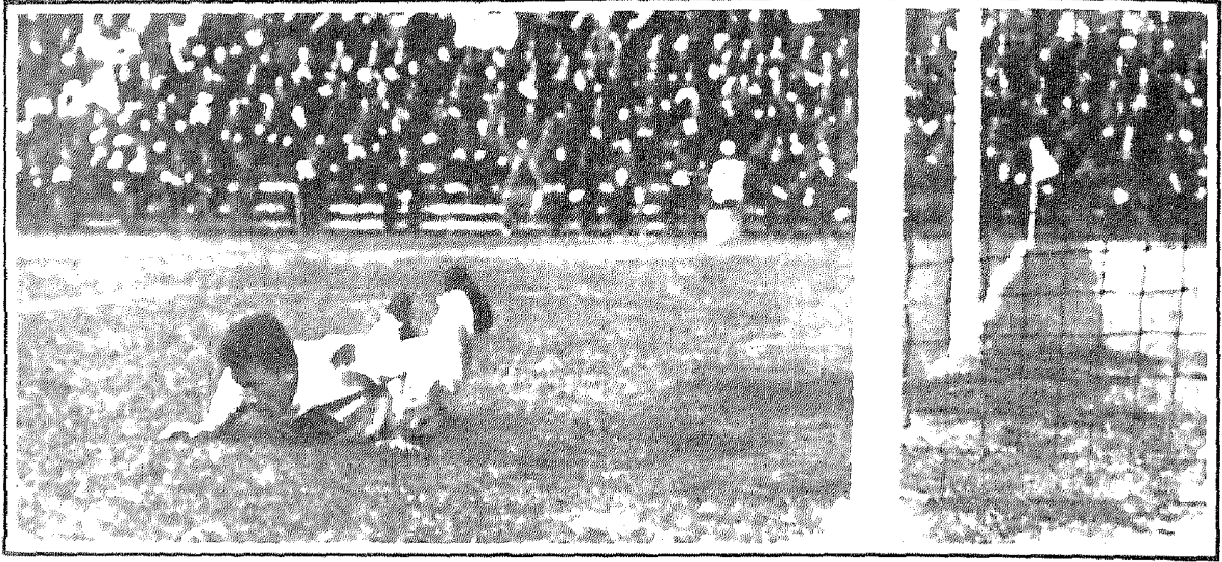
في الدور نصف النهائي تنافست تشيكوسلوفاكيا مع المانيا، وايطاليا مع النمسا. وكانت هذه الفرق الاربع. تشكل حينها اقوى المنتخبات الاوروبية. وكما رجحت التقديرات فان المانيا هزمت النمسا (٣-٢)، ووصل فريقا تشيكوسلوفاكيا وايطاليا الى الدور النهائي للبطولة، والانظار تتجه كلها نحو الفريق التشيكوسلوفاكي الذي هزم المانيا (٣-١) بينما ايطاليا لم تحرز النصر على النمسا الا بهدف يتيم.



— حارس المرمى الايطالي (وكابتن الفريق أيضاً) كومبي. يعجز عن صدّ كرة من اللاعب التشيكي بوتش. وهكذا يتم تسجيل أول أهداف المباراة. فيطير صواب الجمهور الايطالي.



– ربحت ايطاليا كأس العالم في روما. رد فعل اللاعبين الايطاليين الأول كان الهجوم على استاذهم فيتوريو بوتزو لحمله على الأكتاف. هذا المهندس القديم الذي أنهى حياته العملية صحافياً. استطاع أن ينقل عدوى الحماسة والتفاني إلى لاعبيه. وأبرزهم مونزيليو الظهير الأيمن وبرتوليني لاعب الوسط الأيسر. ومونتي قلب الهجوم (من اليسار إلى اليمين). مونتي كان قد لعب قبل أربع سنوات في المركز ذاته. ولكن ضمن فريق الأرجنتين في نهائي كأس العالم في مونتيفيديو.



– بلانيكا . حارس مرمى تشيكوسلوفاكيا (وكابتن الفريق أيضاً هو الآخر) لحظة تسجيل أحد هدفي المباراة التاريخية . وقد سجّل لايطاليا أورسي وشيافو.

في العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٣٤ بدأت الساعة عدّها العكسي بين الفريق التشيكوسلوفاكي هادئ الأعصاب والواثق من نفسه . والفريق الايطالي المضطرب والذي كان يشعر بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه وهو الذي يلعب على ملعبه ولا يمثل ايطاليا فقط ولكن خصوصاً «الدوتشي» .

خلال الشوط الاول من المباراة تعادل الفريقان . لكن الايطاليين شعروا بأنهم هم الخاسرون . فازدادت شراستهم في الشوط الثاني الى درجة ان موسوليني اضطر للتدخل شخصياً بواسطة مبعوث خاص لدعوتهم الى التخفيف من خشونتهم ذلك هو افضل سبيل للفوز بكرامة .

في الدقيقة ٦٩ من المباراة سجلت تشيكوسلوفاكيا الهدف الأول . فالتهب الملعب بمشاهديه ال ٥٥ الفاً وكادت الروح الفاشية النائمة في لا وعي الايطاليين يومها ان تستيقظ لولا هدف التعادل الذي سجلته ايطاليا بعد دقائق قليلة . ولم تسجل إيطاليا هدف الفوز الا بعد تمديد المباراة ، اي في الدقيقة ٩٥ .

المفاجأة لم تكن في فوز ايطاليا فحسب بقدر ما كانت ايضاً في كيفية هزيمة تشيكوسلوفاكيا ، إذ تساءل المراقبون يومها كيف استطاع الفريق المهزوم ان يبقى محافظاً على هدوئه ورباطة جأشه امام خشونة الايطاليين غير المعهودة .

المهم النتيجة : فايطاليا ربحت وزعيمها الفاشي ربح أيضاً على طريقته الخاصة . وبقي في الظل الرابح الأكبر وهو «عراب» الفريق الايطالي : المهندس سابقاً والصحافي لاحقاً فيتوريو بوتزو . وليس صدفة . كما لاحظ الآف المشاهدين ، ان يلتف اللاعبون الايطاليون حول عرابهم ويحملوه على الاكتاف فور انتهاء المباراة . فهو كان حاضراً معهم بتوجيهاته وبنصائحه في كل دقيقة من دقائق المباراة . وخصوصاً خلال الشوط الثاني حين كانت اعصاب اللاعبين الايطاليين مشدودة الى أقصى مداها . اما العراب الكبير . موسوليني . فكانت له حساباته الخاصة : اذ بعد ايام قليلة من البطولة (١٤-١٥ حزيران-يونيو-) سيستقبل هتلر للتخطيط سوية من أجل اشعال الحرب مستثمرا افضل استثمار استضافته لبطولة كأس العالم لكرة القدم . أكثر الالعاب الرياضية دعوة للوفاق بين الدول والشعوب

البروج الفلكيّة

برج الحوت

٢٠ شباط (فبراير) - ٢١ آذار (مارس)

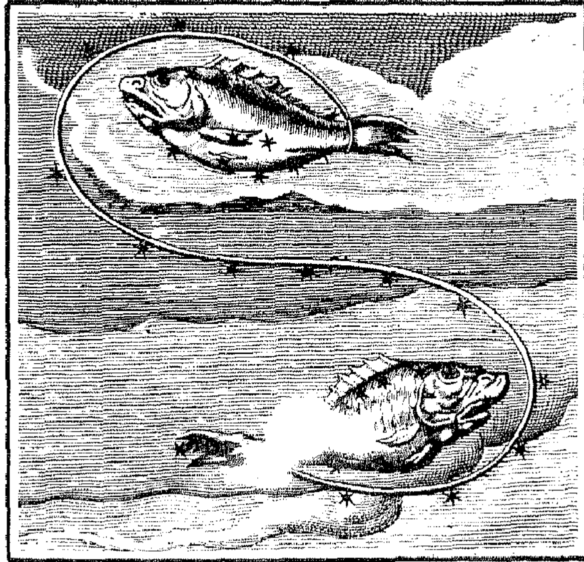
منى التنير

بغض النظر عن الطابع العلمي أو الاسطوري الذي تتخذه المعتقدات الفلكية في أذهان الناس . فان فيها مقداراً من العلم . كانت للعلماء العرب حصة فيه . أمثال عبد الرحمن الصوفي الرازي وأبي الريحاني البيروني .

ولقد كان « لعلم التنجيم » بداية وتطور . حتى وصل الينا . وكان لكل برج من البروج قصة وتاريخ . وفي ما يلي تاريخ برج الحوت :

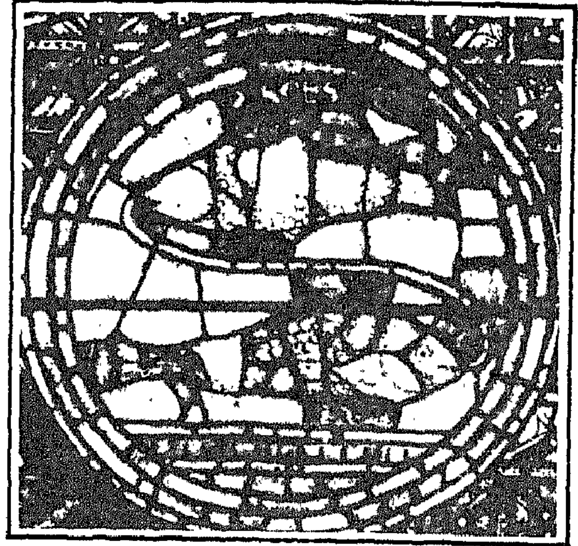
يرمز الى برج الحوت بصورة « السمكتين » وذلك استنادا الى اسطورة يونانية قديمة تفيد ان فينوس ، ألهة الحب ، وكوبيدون ، إله الحب ، تحولا الى سمكتين هربتا من الاعاصير المدمرة . فأخذتهما مينيرفا ، آلهة الحكمة ، الى السماء تخليداً لهروبهما . ومنذ القدم اتفق البابليون واليونانيون والسوريون والفرس على وصف هذا البرج ببرج السمكتين . اما الفراعنة فانهم رمزوا اليه برمز بلدة « اسنا » . استنادا الى ابحاث العلماء فان برج الحوت له تأثير مباشر في ناحية محددة من الجسم البشري هي القدم .

يمتاز مواليد هذا البرج بحس مرهف وبطبع رقيق . وهم يخضعون بسهولة لتأثير الغير . انهم دائماً قلقون يعتريهم الخوف من شيء مجهول الى درجة انهم يندمجون مع الغير فيفقدون شخصيتهم المميزة ويظهرون وكأن لا رأي لهم . انهم يهربون دائماً من



رسم لبرج الحوت نقلاً عن الاسطورة اليونانية .

مشاكلهم الخاصة ويجدون لذة في الانزواء عن المجتمع . وهذا ما يدفع البعض الى اعتبارهم



صورة لبرج الحوت على زجاج ملون في احدى الكنائس .

جبناء . ان حياتهم الخاصة تشبه الى حد كبير حياة السمك . ومع ذلك يمكنهم ان يعيشوا حياة هانئة راغدة بلا هموم وبلا صعوبات مادية تذكر. اذا ما انساقوا الى حسهم المرهف ووجّهوه وجهة بناءة . انهم عاطفيون أكثر من كونهم عقلانيين لذلك فهم رومانطيقيون مخلصون ويعرفون كيف يكون العشق الحقيقي .

بين الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث والتي ولدت في برج الحوت نذكر : - الموسيقار البولوني فريدريك شوبان- العالم الالماني البيرت اينشتاين- الكاتب الفرنسي فيكتور هوغو- الرئيس الاميركي- جيمس ماديسون- الفنان الايطالي مايكل انجلو- الرسام الفرنسي اوغست رونوار- الكاتب الاميركي جون شتاينك- الممثلة الاميركية اليزابيت تايلور- اول رئيس اميركي جورج واشنطن .

تاريخ العرب والعالم
مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

قسيمة اشتراك

إقطع هذه القسيمة وأرسلها مرفقة بقيمة الإشتراك باسم مجلة تاريخ العرب والعالم إلى العنوان التالي :
شارع السادات - بناية أبو هليل - ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان

الاسم الكامل : ________
العنوان : ________
المدينة : ________
الامضاء : ________
أرفق اشتراكي : ☐ شك ☐ شك بريدي ☐ حوالة بريدية
اشتراك لمدة : ☐ سنة (١٢ عدد)



خسر الملك فيليب كل جولاته فهرب منافسه خوفاً!

يكتبها محمد مراد شكر
رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج
الامين العام للاتحاد العربي للشطرنج

مصر:

يقول ابن عزة في قصيدته العبرية عن الشطرنج: ان موسى عليه السلام هو الذي اخترع الشطرنج في بلاط الفراعنة. وهو قول لم يتطرق اليه أحد من المؤرخين لذلك نذكره بكل تحفظ لأننا لم نلق له أي مؤيد فيما قرأنا من كتب حول هذا الموضوع.

لقد كان للمصريين لعبة مليئة بالخطط، تبدو قديمة جداً ومنتشرة بين الشعب المصري القديم وترى واضحة في الرسوم الهيروغلوفية القديمة مع صورة اسرتاسن الأول OSORTASEN Premier وفي جناح رمسيس Ramses — Meiamoun في مدينة حبو (Habou) هذه اللوحة تمثل فرعون يلعب هذه اللعبة مع احدى زوجاته.

هذه الصورة مأخوذة دائماً من الجانب دون أن يظهر عمق الصورة. ويصعب على المشاهد رؤية الرقعة، شكلها وعدد خاناتها. هذه الرقعة المصرية، كما ترى في متحف اللوفر، تشبه علبة طولها ٢٨ سنتمتراً تقريباً وعرضها ٧ سنتميترات، منحوتة من الجهتين ولها خانات تشبه خانات الشطرنج. سطح العلبة مقطع إلى ثلاثين خانة أما السطح المقابل فليس فيه سوى ١٢ خانة تشكل مربعاً في إحدى الزوايا حيث القطر يضيف خانات ثمانية أخرى. للعلبة هذه جارور صغير يحوي قطعاً مختلفة بألوان مختلفة تشبه قليلا البيزوس (Pessos) وما يدعى بـ (Latruncules).

هذا الوصف كتبه السيد (Prisse d'Avesne) في مقاله عن مجموعة القطع القديمة المصرية في القاهرة والمنشور في مجلة (Archeólogique) لصاحبها (Leleux) سنة ١٨٤٦ م.

يرى الكاتب ان اللعبة هذه تشبه الداما وقد تكون فرعاً منها، وقطعها تشبه قطع الداما الملعوبة كثيراً في الشرق.

ويضيف عالم الآثار هذا، ان الداما المصرية هذه تختلف قليلاً عما هو معروف في أوروبا (في ذلك الحين) وهي تعتبر نموذجاً لألعاب شبيهة عند اليونانيين وعند الرومان.

وقد نشر السيد (Doazan) في باريس سنة ١٨٦٠ تحت عنوان حلم: لدينا في متاحفنا علب الشطرنج من خشب ومن فخار، وبيادق من



فيليب الثاني : خسر الجولات فهرب الرابع . (لاروس)

زجاج ملون ، من عظم أو من عاج ، قسم منها يمثل العبيد الافريقيين والاسيويين ، وقسم منها يمثل أشكالاً أخرى يظهر انها اخترعت أخيراً وكلها تعود إلى ثلاثة آلاف وأربعمائة عام. احدى هذه العلب تعود إلى ابنة تحوتمس الأول التي كانت تدعى HA-T-ASOU والتي حكمت بعد وفاة والدها .

اسبانيا — البرتغال

الشطرنج — مجلة ظهرت في برشلونة لأول مرة سنة ١٨٦٢ ، وهي شهرية تحوى ١٦ إلى ٢٠ صفحة .

وأشهر الشطرنجيين القدامى هم :

بلانكو اسفار (Blasco Isfar) لاعب شهير في القرن السادس عشر كان يلعب استدباراً (أي دون النظر الى الرقعة).

دون كارلوس ، لاعب مشهور سافر إلى البرتغال والى ايطاليا وهولندا وفرنسا ، وكان يربح في كل مكان حل به . في باريس تعرف على آنسة تدعى مينيت (Minette) كانت تخسر باستمرار ضد قسيس يلاعبها الشطرنج ، فأخذها ودربها وعلمها كيف يمكن الربح مع هذا القسيس . وهكذا وحتى لا يعرفها القسيس تخفت يوماً تحت قناع وذهبت تتحدى القسيس الذي قبل التحدي . دون أن يحاول اكتشاف المتحدي . وما لبث القسيس ان خسر بسرعة ولأول مرة بهذا الشكل ، فانسحب إلى الدير بعد أن ساءته هذه الخسارة وأثرت في معنوياته . ولما طالت غيبته حوالي ستة أشهر ذهبت مينيت اليه لتعلمه ان المتحدي لم يكن أحداً سواها .

لوسانا (Lucena) ، كاتب اسباني (لم يذكر اسمه الأول) حوالى ١٤٩٥ كتب في الشطرنج ٨٧ صفحة يعلّم فيها فنون الشطرنج ناشراً ١٥٠ وضعاً مختلفاً يشرح فيها كيفية متابعة اللعبة لربح الجولة .

ويقول وولكر ان داميانو أخذ من هذا الكتاب ١٢٠ نهاية جولة . هذا الكتاب لم يترجم ولكنه يحوي نهايات جولات جميلة مع قليل من الملح (بضم الميم وفتح اللام) فهو يقول مثلاً :

اذا لعبت مساء على ضوء قنديل واحد . ضعه من جهة يدك اليسرى لأن ذلك لن يزعج نظرك ، في النهار ، ضع خصمك بمواجهة النور فذلك سيعطيك أفضلية الخ ...

وهذا كان أول كتاب نرى سير القطع فيه يشبه سير القطع اليوم مما يدل على ان تعديل سير الوزير والفيل قد تما في اسبانيا . ولا يوجد اليوم من هذا الكتاب سوى ثلاث نسخ ، واحدة في المكتبة العامة في باريس وثانية في المتحف البريطاني والثالثة في المكتبة الملكية في بروكسل . اسم الكتاب طويل ننشره كما وردنا :

Arte breve, e introduccion muy necessario para saber jugar al axedres, can ciento y cincuenta juegos de partido etc...

فيليب الثاني المتوفي سنة ١٥٩٨ كان من كبار هواة الشطرنج ، وفي عهده برز ليوناردودي كوتري ، بوي دي سيراكوس ، دون سالفيو وغيرهم من مشاهير اللاعبين .

في كتابه Amelot de la Houssaie رجل القصر l'Homme de cour المنشور سنة ١٦٩٠ يروي في الصفحة السابعة القصة التالية :

أحد الأشراف الاسبان ، بعد أن لعب طويلاً الشطرنج مع الملك فيليب الثاني ، لاحظ غضب الملك لخسارته (أي الملك) للجولات كافة فلما كان بعد ان وصل إلى منزله الا ان قال لعائلته يظهر انه لم يعد لدينا ما نعمله هنا ، هيا نرحل فالملك غاضب علينا لخسارته معي الدائمة في الشطرنج .

روي لوبيز Roy Lopez اللاعب المشهور الذي وضع الجولة الاسبانية المعروفة جيداً باسمه اليوم ، ألّف كتابه الأول سنة ١٥٦١ ، وكان كتاباً قيماً ترجم إلى الفرنسية في حينه ، وطريقته في اللعب عدلت فيما بعد من قبل بعض الجهابذة في اللعب ولكنها كما اسلفنا لا تزال تعرف باسمه .

يقول روي لوبيز ان مخترع الشطرنج هو بالاميد ، وهو قول لا يستند إلى اسس صحيحة . فالكتب التي وقعت بين أيدينا ان بالاميد هذا أوجد لعبة أخرى ظنها البعض شطرنج . بالاميد هذا هو قائد يوناني اخترع لعبة تتألف من خمس قطع لا تشبه الشطرنج في شيء ولعلها اللعبة اليونانية الشعبية (Petteia) التي ذكرها هومير في الأوديسة .

وهناك كتاب آخر كتبه فيسان (Vicent) سنة ١٤٩٥ يشرح فيه كاتبه كيفية لعب الشطرنج في مائة جولة مختلفة .

داميانو سنة ١٥١٠ (كاتب شهير) ألّف كتاباً من ٦٤ صفحة تحوي ثلاثمائة صورة لقس يلعب الشطرنج مع راهب وقد توجت كل الصفحات بصورة رقعة الشطرنج .

صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب في العام نفسه وكذلك الثالثة ، أما الرابعة فصدرت سنة ١٥١٢ والخامسة سنة ١٥١٨ ثم تتابعت الطبعات لغاية سنة ١٨٤٩ وفي اللغات كافة ولم نعثر على أثر لطبعة أخرى بعد هذا التاريخ ..

داميانو هو أول مؤلف حاول تسهيل دراسة هذه اللعبة ، استقى ، كما اسلفنا ، كثيراً من جولاته من لوسانا (Lucena) . هذا الكتاب هو أقدم كتاب نشر في البرتغال وهو مهم جداً رجع اليه فيما بعد كثير من الكتاب والمؤلفين في الشطرنج مثل غريكو (Greco) كما ترجمه إلى الفرنسية أيضاً كلود كروجيه سنة ١٥٦٠ .

الكتاب يحتوي على عشرة أبواب ، قانون اللعبة ، ملاحظات عامة ، افتتاحيات مختلفة ، نخبة من المسائل وباب خاص في كيفية اللعب استدبارا (أي دون رؤية الرقعة) .

الرموز : نعيد ذكرها بناء على طلب القراء :

D يقصد به الوزير (Dame) باللغة الفرنسية ، أو (Queen) باللغة الانكليزية .

R يقصد به الشاه (Roi) باللغة الفرنسية ، أو (King) باللغة الانكليزية .

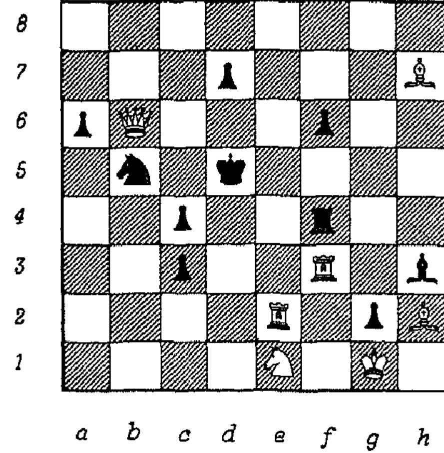
T يقصد به الحصان (Cavalier) باللغة الفرنسية ، أو (Knight) باللغة الانكليزية .

C يقصد به الرخ (Tour) باللغة الفرنسية ، أو (.Rook) باللغة الانكليزية .

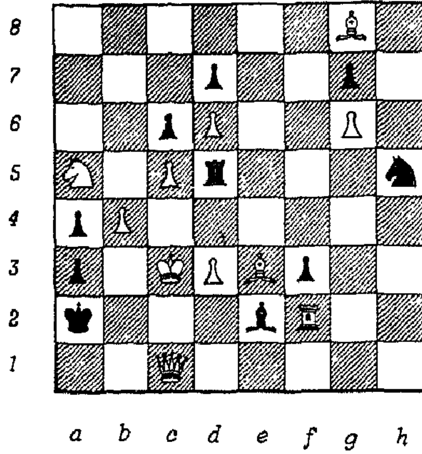


المسابقة رقم ٥

(مات بنقلتين)



مات بثلاث نقلات



■ يرسل الحل الصحيح مع القسيمة الى ادارة المجلة ص٠ب (٥٩٠٥) ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج ٠ يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال ٠

حل المسابقة رقم ٣

المسألة رقم ٥ : المفتاح : 1- DX d 7

المسألة رقم ٦ : المفتاح : 1- DÇ5

وهذه هي الامكانات المنتظرة :

1. DÇ5 CXÇ2
2. DXÇ2 —

1. ..... RC 1
2. DC 3

1. ..... Ra 2
2. Da 3 .....
3. DX a 1 mat (CXC)

الفائزون :

الأجوبة التي وصلتنا عديدة ومن دول عربية عديدة لا سيما من الدوحة قطر ورغم انتظارنا الى اليوم الذي أرسلنا بهذه الصفحة إلى المطبعة فان أحداً لم يعط الحل الصحيح الكامل للمسألتين سوى السيدين نبيل أسود من بيروت و م. كامل سعيد من حمص. وبنتيجة القرعة فاز السيد نبيل أسود بالجائزة الأولى وقدرها مائة ليرة لبنانية. وفاز بالجائزة الثانية السيد م. كامل سعيد من حمص بالجائزة الثانية وقدرها اشتراك مجاني سنوي في مجلة «تاريخ العرب والعالم».





للطلاب ... فقط ...

اعداد : سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي. خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة عن الأسئلة جميعها وأرفاقها بالقسيمة المنشورة إلى جانب الزاوية. ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من أخطأ في أحد الحلول.

اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك إلاّ أن ترسل الأجوبة مع القسيمة الى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب.. وللطلاب فقط.

من هو؟

فلكي وعالم بولوني من أصل الماني (١٤٧٣ - ١٥٤٣) تعلم الطب وعلم الدين في خراكوف وتولى منصباً دينياً في فراونبرغ. ثم قام بتدريس الرياضيات والفلك في روما. هو الذي اكتشف أن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية وأن الأرض مجرد تابع للشمس وليست المركز كما كان معتقداً من قبل.

أصدر كتاباً عن دوران الأفلاك سنة ١٥٣٠ ظل ممنوعاً من النشر حتى سنة ١٥٤٣ حين تم طبعه في نورنبرغ ثم حرّم توزيعه حتى سنة ١٧٥٨ وذلك لموقف الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من مادة الكتاب العلمية.

ماهي؟

قرية صغيرة في فلسطين جرت فيها في ٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ مجزرة رهيبة قامت بها العصابات الارهابية الصهيونية وأسفرت عن ذبح ٢٥٠ عربياً معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ العزل من السلاح. ويعتبر المسؤولون عن هذه المجزرة انه كان لا بد منها لترويع السكان الفلسطينيين ودفعهم إلى ترك بيوتهم. وقد أكدت تقارير الأمم المتحدة هذه الواقعة واعترفت اسرائيل نفسها بها بالرغم من أنها تميل إلى تقليل عدد ضحاياها واظهارها بأنها من عمل مجموعة إرهابية ودون أن تذكر أن هذه المجموعة الإرهابية قد انضمت فيما بعد إلى الجيش الإسرائيلي ذاته.

ماهو؟

موقع استراتيجي مصري يقوم على الطرف الجنوبي من شبه جزيرة سيناء ويسيطر على المدخل الغربي والرئيسي لخليج العقبة. تقابله جزيرة تيران التي تفصلها عنه حوالي أربعة أميال. احتلته اسرائيل ابان العدوان الثلاثي على سيناء والسويس (١٩٥٦) وانسحبت منه في ٧ آذار (مارس) ١٩٥٧ بعد تدمير المنشآت المصرية العسكرية وتمركزت فيه قوات الطوارئ الدولية حتى ٢١ أيار (مايو) ١٩٦٧. استولت عليه قوات المظليين الاسرائيلية في حرب حزيران ١٩٦٧ وأقامت فيه منشآت سياحية وعسكرية بقصد الاحتفاظ به والاستمرار في احتلاله.

ماهي؟

اسم مشترك لمعركتين كبيرتين وهامتين حدثتا أثناء الحرب العالمية الأولى. يرجع اسم المعركتين إلى نهر طويل (يبلغ طوله ٥٢٠كم) ينبع من هضبة لانجري غرباً ماراً بشالون وايبرين وشاتور تري ليتصل مع نهر السين.

حدثت المعركة الأولى بين ٦ – ٩ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١٤ حيث بدا أن تقدم القوات الالمانية نحو باريس مؤكد. إلا أن الامبراطور الالماني فلهلم الثاني أوقف القتال لأسباب غير معروفة وما زالت موضع نقاش.

أما المعركة الثانية فقد وقعت في تموز (يوليو) سنة ١٩١٨.

الجوائز هي :

الجائزة الأولى : مائة ليرة لبنانية أو ما يعادلها.

الجائزة الثانية : اشتراك سنة في المجلة.

الجائزة الثالثة : اشتراك نصف سنة في المجلة.

أجوبة مسابقة العدد الثالث :

١ – دولة المرابطين. ٢ – المناضل الفلسطيني محمد يوسف النجار (أبو يوسف). ٣ – جمهورية سان مارينو
٤ – البيروني.

الفائزون :

– الفائز الأول : ناصر الحاج علي – صور – لبنان – خمسون ليرة لبنانية.

– الفائز الثاني : سالم حميد عمير – مدرسة جابر بن زيد الثانوية. ص.ب. ٣٥١٠ روى – سلطنة عمان اشتراك سنة في المجلة.

– الفائز الثالث : سمر لبابيدي – الجامعة اللبنانية – بيروت – لبنان. اشتراك نصف سنة في المجلة.

تاريخ الطوابع

طوابع سورية من السلطنة الى فيصل الاول

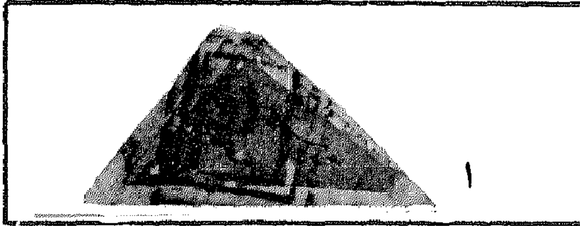
ميشال اسطفان

بدأ تخليص البريد في سورية في عهد السلطنة العثمانية التي حكمت البلاد من سنة ١٥١٦ إلى ١٨٣٢ ثم حكمها السلطان محمد علي الكبير وأسرته من سنة ١٨٣٢ إلى ١٨٤٠، والعثمانيون ثانيةً من سنة ١٨٤٠ إلى ١٩١٨.

كان البريد في سورية خلال العهود السابقة لظهور أول مجموعة تركية سنة ١٨٦٣ يخلص بالوسائل المتبعة قديماً، لكن منذ صدرت الجموعة التركية المشار إليها ووضعت للإستعمال في سورية وكانت تعطل بأختام مربعة في بادئ الأمر (صورة ١) ثم بأختام مختلفة تحمل إسم المصدر والتاريخ. (صورة ٢).

إنتشرت هذه الطوابع التركية في سورية كانتشارها في جميع الأراضي المشمولة بحماية الدولة العثمانية إلى جانب طوابع المكاتب الأجنبية (الأوروبية) ـ التي أشرنا إليها في أعداد سابقة من هذه المجلة ؛ وذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ تاريخ دخول جيوش الحلفاء ؛ فتوقف إستعمال الطابع العثماني أولاً ثم طوابع المكاتب الأجنبية التي أقفلت سنة ١٩٢٣ على أثر معاهدة لوزان.

عندما دخل الجيش البريطاني فلسطين ثم الأردن فسورية وضع في التداول إبتداء من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨ مجموعة مؤلفة من ١١ طابعاً (صورة٣)، كتب عليها «خالص الأجرة» و«بالإنكليزية»
"E.E.F. Postage Paid"


١

(قوات إستطلاعية مصرية أجور البريد مدفوعة).
هذه المجموعة هي الأولى التي استعملت في فلسطين منذ ١٦ تموز (يوليو) سنة ١٩١٨، وهي الأولى في مجموعة الطوابع الفلسطينية. ومع دخول قوات الحلفاء سورية من الجنوب كان الأمير فيصل الإبن الأكبر للشريف حسين بن علي ملك الحجاز قد دخل في أول تشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩١٨ سورية من الشرق مع قوات عسكرية عربية، ثم أعلنها مملكة في ٨ آذار (مارس) ١٩٢٠.

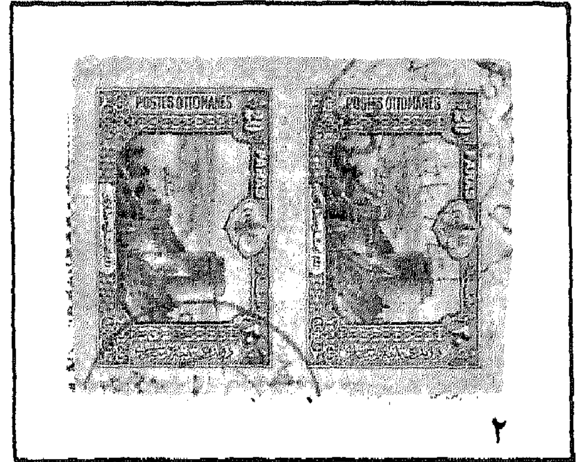
وفي ٨ تشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩١٨ كان الجيش الفرنسي قد إحتل بيروت والساحل السوري فصارت البلاد مقسومة إلى ثلاث مقاطعات:

أ – المقاطعة الغربية الممتدة ساحلياً من الإسكندرونة شمالاً فاللاذقية فلبنان. بإدارة قائد الجيش الفرنسي.

ب – المقاطعة الشرقية التي تشمل الجزء الداخلي من سورية والأردن، بإدارة الملك فيصل الذي أسس فيها مملكة سورية العربية.

ج – المقاطعة الجنوبية فلسطين، بإدارة قائد

الجيش البريطاني. وخلال سنة ١٩٢٠ أصدرت حكومة الملك فيصل ٩٣ طابعاً بريدياً وخمسة طوابع أجور مستحقة، وذلك بأن استولت على الطوابع التركية المتبقية وكانت من إصدارات سنة ١٩٠٩ - ١٩١٩ ووشحت باليد ٨٥ طابعاً مختلفاً بخاتم نحاسي يحمل إسم «الحكومة العربية» (صورة ٤) ثم ٧ طوابع بخاتم آخر مثلث يحمل إسم «الحكومة السورية العربية» (صورة ٥). وبعد ذلك أصدرت مجموعة مؤلفة من ٨ طوابع بريدية توشح منها طابع واحد لذكرى الإستقلال وطابع واحد أجور مستحقة (صورة ٦) طبعت كلها محلياً وصُمِّغَت بالفرشاة يدوياً وبصورة بدائية.



٢

وبجانب هذه الطوابع كانت الطوابع الفرنسية الموشحة T.E.O قد أخذت طريقها إلى الإستعمال بدءاً ببيروت في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٩ ثم في سورية، ثم تلتها الطوابع الموشحة O.M.F وهي ما شرحنا عنه مفصلاً في العدد الأول في هذه المجلة.

وفي ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٩ انسحب الجيش البريطاني من حلب وفي ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ دخلت القوات الفرنسية حلب ثم دخلت دمشق في ٢٤ منه بعد معركة ميسلون المشهورة التي أودت بحكومة الملك فيصل.

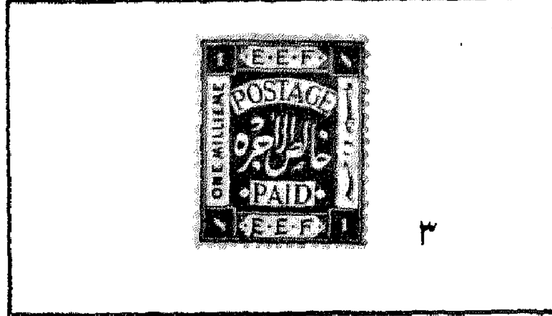
وفي ٣١ آب (أغسطس) سنة ١٩٢١ أعلن قيام لبنان الكبير وقسمت سورية إلى أربع ولايات:

أ - ولاية دمشق - تشمل سناجق حماه وحمص، ودمشق.

ب - ولاية حلب - تشمل دير الزور واسكندرونة وحلب.

ج - ولاية العلويين بعاصمتها اللاذقية.

د - ولاية جبل الدروز التي كانت مرتبطة بحكومة دمشق إدارياً.



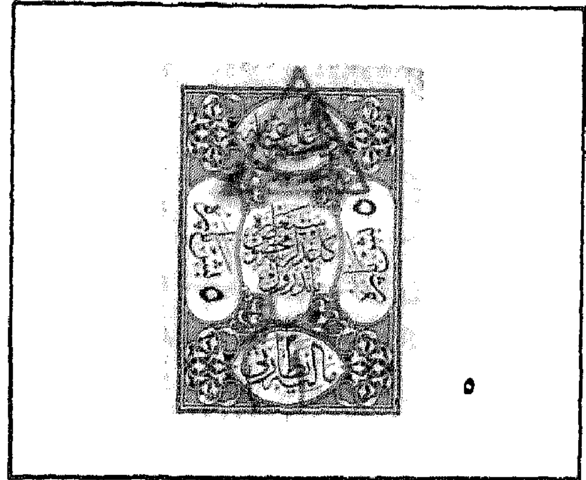
٣

وفي ٥ تشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩٢٣ تمَّ إنتداب فرنسا على سورية ولبنان وسلخ سنجق الإسكندرونة من سورية ثم إعلان إستقلاله بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٣٨ ثم وضعه تحت نفوذ تركيا التي أعطته إسم «هاتاي» ثم ألحقته بها نهائياً بتاريخ ٣٠ حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٩ على أثر إستفتاء شعبي ثارت حوله كثير من الشبهات.

لبث الإنتداب الفرنسي قائماً على سورية حتى ٢٧ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٤١ يوم أعلنت إستقلالها ثم أجلت قواتها عن البلاد بتاريخ ١٧ نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٦.

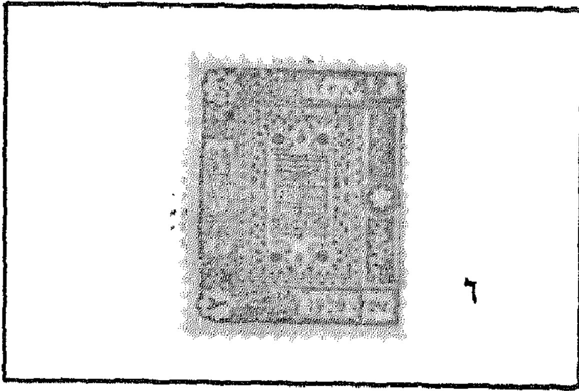

٤

أما تاريخ الطوابع خلال هذه الفترة فقد رافق الأحداث السياسية فدخل الطابع الموشح E.E.F الذي أشرنا إليه مع دخول الجيش البريطاني، ثم ظهرت الطوابع الفرنسية الموشحة T.E.O. (Territoires Ennemis Occupés) أي أراضي أعداء محتلة. ثم طوابع الملك فيصل التي ما لبث أن ألغيت بسقوط حكومة المملكة السورية العربية.


٥

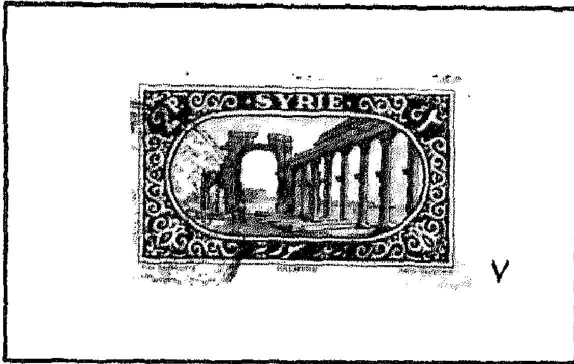
طوابع الإنتداب:

ولكن طوابع الإنتداب الفرنسي بقيت قيد الإستعمال وبعد المجموعات الموشحة «T.E.O» و O.M.F المذكورة آنفاً، صدرت مجموعتان أخريان موشحتان على الطوابع الفرنسية، الأولى موشحة « Syrie » صدرت في شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٤ والثانية موشحة «سوريا Syrie صدرت في شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٢٤. وفي أول آذار (مارس) سنة ١٩٢٥ صدرت أول مجموعة مصورة عليها مناظر البلاد مؤلفة من ١٣ طابعاً بريدياً وخمسة طوابع أجور مستحقة تميَّز من المجموعة الثانية المصورة التي صدرت في شهر أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٠ بكلمة « Syrie » باللغة الفرنسية، فوق كلمة «بريد سورية» (صورة نموذج واحد ٧). بعكس الأخيرة التي ظهرت فيها كلمة «سورية» بأعلى كل


٦

طابع، وعددها ٢٤ طابعاً بريدياً وطابعان أجور مستحقة. (صورة نموذج واحد ٨).

والجدير بالذكر أن مجموعات مختلفة مهمة صدرت في سورية تحمل توشيحات عدة! منها: «زهرة حلب» و«العلويين» و«سنجق الإسكندرونة» باللغة الفرنسية فقط، و«اللاذقية» و«عين تاب» توشحت O.M.F. Syrie على طوابع تركية فقط. و«جزيرة ارواد» باللغة الفرنسية فقط. وقد نشرح عنها جميعاً ومفصلاً في اعداد لاحقة لضيق المكان هذه المرة



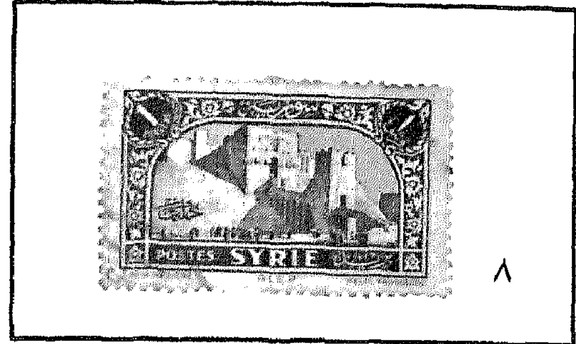
٧

المكاتب الأجنبية.

مكاتب البريد البريطاني في البلاد الأجنبية كانت في مراكش والشرق الأدنى ومدغشقر والصين.

مكتب مراكش إفتتح أعماله من سنة ١٨٩٨ إلى نيسان (ابريل) سنة ١٩٥٧ واستعمل ٣٨٢ طابعاً مختلفاً توشحت تباعاً « Morocco Agencies » و « Tangier » على طوابع الملكة فكتوريا والملك أدوار السابع والملك

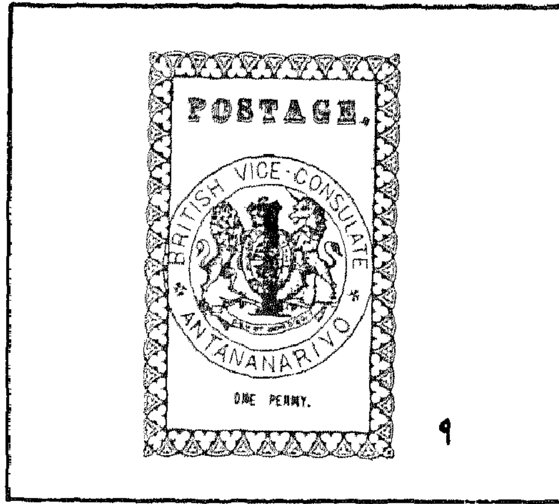
جورج الخامس والملك ادوار الثامن والملك جورج الخامس ثانية والملكة أليزابيت، واستعملت في الجزءين المحتلين من قبل فرنسا واسبانيا وبعملتها السانتيموس والبزيطة والسنتيم والفرنك. مكتب



٨

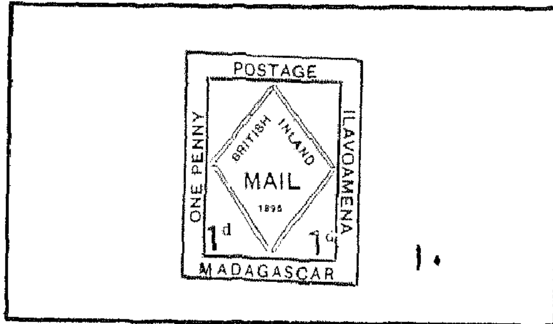
الشرق الأدنى افتتح أعماله من أول نيسان (ابريل) ١٨٨٥ إلى أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٣ واستعمل ٧٤ طابعاً توشحت « Levant » على طوابع الملكة فكتوريا والملك أدوار السابع والملك جورج الخامس استعملت في استنبول وأزمير وبيروت. وهناك ٨ طوابع توشحت على طوابع الملك جورج الخامس وصدرت في أواخر شباط (فبراير) سنة ١٩١٦ لتستعمل في سالونيك فقط.

مكتب مدغشقر افتتح أعماله بطوابع قنصلية من آذار (مارس) سنة ١٨٨٤ إلى سنة ١٨٨٧ وكان عددها ٤٩ طابعاً (صورة نموذج رقم ٩) ثم صدرت مجموعتان من ١٣ طابعاً للبريد الداخلي (صورة نموذج واحد ١٠) وعملت من كانون



٩

الثاني (يناير) إلى آخر أيلول (سبتمبر) سنة ١٨٩٥ تاريخ دخول القوات الفرنسية مدينة أنتنريف (تناناريف).



١٠

مكتب الصين إفتتح أعماله من سنة ١٩١٧ إلى أول تشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩٣٠ بطوابع الملك جورج الخامس واستعمل ٢٧ طابعاً بعد أن وشحها بالإنكليزية « China ».

حركة البيع والشراء:

هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع وللراغبين في المبادلة أو البيع أو الشراء. وقد درسنا أحسن الوسائل العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا في خدمة القراء.

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
			■						١
					■				٢
									٣
		■							٤
	■			■		■	■		٥
			■	■					٦
■	■								٧
						■		■	٨
■								■	٩

أفقياً –.

١ – منطقة في شمال المملكة العربية السعودية. أقل ثقلاً (معكوسة).

٢ – رماح طوال (معكوسة). لائمة وعاذلة (معكوسة).

٣ – ملكة مصرية قديمة (معكوسة).

٤ – أعلى جبال في العالم. جوهر.

٥ – ملكي. ٦ – عبرات. أسفل كل شيءٍ منخفض. ٧ – زعيم ديني يمثل دوراً سياسياً كبيراً حالياً (معكوسة). ٨ – فقيه في الفلسفة والدين المسيحي.

٩ – مرض الحنين إلى الوطن.

عمودياً –

١ – منطقة في الكويت. ٢ – مبعوث (معكوسة). أنغّم (معكوسة) ٣ – راوغ. نعم بالأجنبية. ٤ – الكثير عطاءً (معكوسة). ٥ – يقطع (معكوسة). أخفق. ٦ – واحد من اللاويين اليهود (معكوسة). ٧ – يحيط (معكوسة). ضدّ حواضر أو حوادي (معكوسة). ٨ – ملك عربي. متشابهان. ٩ – موضع في مصر مشهور بآثاره.

حل مسابقة العدد الرابع

أفقياً :

١ – الحطيئة :
٢ – شواهين. دم
٣ – علا حب. رهو
٤ – بي. سندباد
٥ –تية
٦ – الخورنق
٧ – بنت. وي. كج
٨ – كارم محمود
٩ – بابل. سال

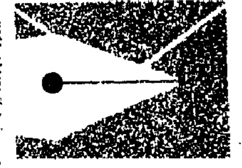
عامودياً :

١ – أشعب. نبك
٢ – أيلول. بان
٣ – حاء. ارتق
٤ – طه حسين. بم
٥ – يبني. روما
٦ – ان. وحيدة
٧ – خيبر. مس
٨ – أو كلتاهم.
٩ – سدود. أجدل.

الفائزون في مسابقة العدد الثالث

الفائز الأول : مهاب التنير – بريد الحمراء – بيروت. ٥٠ ل. ل.
الفائز الثاني : سامي الشامي – الجامعة اللبنانية – صيدا. اشتراك سنة في المجلة.
الفائز الثالث : أمل الشمعة – دمشق – أبو رمانة. اشتراك نصف سنة في المجلة.

اجابات صحيحة ولكن الحظ لم **يحالف أصحابها** : نزيه رمضان – رياق – حوش حالا – البقاع. لبنان. محمد أمين الأيوبي – مكتب بريد طرابلس. جوزيف وجورج حداد – جل الديب. لبنان. عسى أن يحالفكم الحظ في المرة القادمة.



بريد القراء

* تعليقاً على بحث «العرب والمردة» للدكتور احسان عباس (العدد الثالث من «تاريخ العرب والعالم») وردتنا رسالة من القارئ ميخايل الهاشم، سرجبال، لبنان، يقول فيها:

إيبيرية الوارد ذكرها في البحث، هي ليست الاندلس. بل اقليم يقع وراء جبل القوقاز، أو القفقاس، بين أرمينية وتركيا وروسيا، يرتقي تاريخُه المعروف إلى ما قبل الميلاد ببضعة قرون. وقد اتفق المؤرخون على ان هذا الاقليم قد دخلَ تحت سلطة الاسكندر ذي القرنين، وشارك في الحروب ضد الفرس. وبعد تقسيم الشرق على قواد الاسكندر، بقيت ايبيرية على سياستها، فخالفت الدولة السلوقية السورية، ثم الرومانَ، ثم البيزنطيين من بعدهم، في حروبهم ضد الفرس. أما العرب فقد فتحوها على عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وذلك عام ٧٣٢م. وبقوا فيها حتى القرن التاسع. وفي القرن العاشر، سيطر عليها الدَّيْلَم وبنو بوَيْه (والديلم اقليمٌ يجاور ايبيرية شرقاً، ويُعرف سكانُه بالاسم نفسه ومنهم بنو بويه). وبعدهم دخلها الأتراك العثمانيون، حتى القرن ١٨، إذ دخلت تحت حماية قيصر الروس.

وبسبب هذه المجموعة من الشعوب التي توالت على ايبيرية، فقد كان الاسم الرسمي (الذي يستعمله المؤرخون) مختلفاً عن تسمية الشعوب المختلفة. فالسكان يسمّون انفسَهم «قرطفيلي». واسم «إيبيرية» (Iberie) أطلقه اليونان وتبنّاه الرومان. ومع الفرس صار الاسم كورجستان، نسبة إلى نهر «كورا» (Kour). أما العرب فسمّوا الاقليم بلاد الكَرْج والكُرْج والروس سمّوه غروزيا وسماه الغربيون جيورجيا.

وطوال هذه العصور، كانت مدينتُهم الكبرى والأولى هي «تبليسّي» (Tbilissi)، أو «تفليس» (Tiflis)، وتجمع فيها السكان المحليون – وهم آريّون – مع اليونان والأرمن والترك، فصارت لغتُهم بسبب هذا الاختلاط، مجموعة لهجاتٍ تكاد تكون لغاتٍ قائمةً بذاتها.

أما تاريخُ آدابهم ففقير، لم يَرِدْ فيه سوى بعضُ الكتّاب والشعراء والمترجمين، أكثرهم من رجال الدين المسيحي، وجُلُّ تآليفهم تتعلّق بالدين.

وفي بعض المكتبات العالمية مجموعةٌ قيمة من المخطوطات باللغة الكرجية «حسب تسمية العرب» وهذه المخطوطات هي بأكثرها ترجمات لبعض الكتب اليونانية – الهيلينية على وجه الدقة – هذه الكتب القيّمة التي فُقدتْ نصوصُها – اليونانية – وما عاد بالامكان معرفتها إلا بفضل هذه الترجمات.

في ايامنا هذه، تقع «إيبيرية» ضمن حدود الاتحاد السوفياتي. أما الفاظ كورجستان، الكرج وجورجيا فهي على علاقة أكيدة، وأنا أرجّحُ أنها مشتقة من لفظة «يورغوس» اليونانية، ومعناها «الزارع» و«الفلاح».

---

* «تاريخ العرب والعالم» ترحب بالقارئ مخايل الهاشم وبمساهماته. فالقيمة للموضوع. ونرحب بأي تعليق أو بحث قيّم، صالح للنشر.

---

* ومن الطالب محمد يوسف شتال (اولى تاريخ، جامعة بيروت العربية) جاءنا الخطاب التالي:

وأخيراً صدرت مجلة متخصصة في شؤون التاريخ العربي والعالمي. التي انتظرناها بشغف كبير، لا سيا وانها المجلة الوحيدة تقريباً بين المجلات الثقافية التي تعطي للتاريخ أهميته، ولهذا سدت المجلة فراغاً عانت منه الثقافة في لبنان.

– ان معرفة تاريخنا خصوصاً في هذه المرحلة الحرجة، يتطلب مجهوداً كبيراً ومساهمة جبارة، وأعتقد بأن هذه المجلة قادرة على اختراق الصعاب، والسير دائماً نحو الامام.

– فتحية إلى كل العاملين في هذه المجلة الغراء

* جوزيف وجورج حداد من جل الديب، لبنان، كتبا يقولان:

لكم سررنا لدى قراءة الاعداد الأولى..خاصة وان المجلة ابتعدت عن الأساليب التقليدية في كتابة الاحداث التاريخية، وانتقلت إلى الاسلوب العلمي المقرون بالشروحات والصور المعبرة. لذلك نقدر لكم جهودكم المبذولة في سبيل إخراج هذه المجلة على هذا الوجه. ونشكر جميع الدين ساهموا في إبراز المجلة راجين من الله دوامها وتقدمها من الحسن إلى الأحسن.

وقد سرنا أن نشترك في مسابقة الكلمات المتقاطعة.

* ومن غسان وهبة، طرابلس، لبنان، جاءنا:

تحية إلى كل العاملين في مجلة «تاريخ العرب والعالم»، لنشرهم الثقافة بين أيدي طلابنا في البلدان العربية. تحية لجهودهم الخيّرة لمصلحة هذا الوطن.

عندما قرأت أول عدد للمجلة شدّني اليها استيعابها كل المواضيع وجميع الهوايات واسعدني بها أكثر وجود هوايتي فيها وهي «الطوابع».

واني أطلب منكم لو تضعوا في مجلتنا موضوعاً يتعلق بعالم التصوير، بفن التصوير، لأن التصوير عالم ثانٍ كبير جميل جداً، ويا حبذا لو أرى هذا الموضوع في عددنا القادم.

* المجلة ترحب بك صديقاً وتعدك بموضوع عن تاريخ التصوير، دون الالتزام بزمن معين. ونشكر لك اهتمامك.



تصحيح

في عناوين غلاف العدد الرابع من «تاريخ العرب والعالم»، ظهر ما يفيد ان في العدد «أسرار اتفاقية سايكس بيكو». فما خلا العدد من هذا الموضوع. والواقع ان هذا الموضوع استبدل به موضوع «الشيخ المناضل حسن سلامة»، في آخر لحظة. بسبب الحادثة التي أودت بحياة المرحوم أبو حسن سلامة. وكان الغلاف قد طبع. فاقتضى الاعتذار.

كذلك وقع خطأ في تنفيذ شبكة الكلمات المتقاطعة. فبدلاً من وضع المربع الأسود في ٩ أفقي - ٥ عمودي. كان المفترض ان يكون المربع الأسود في ٩ أفقي - ٦ عمودي. فالمعذرة.







المقاله الثانيه في طبيعه الدماغ ومنافعه قد يجب على من اراد
معرفه طبيعه العين ان يكون بطبيعه الدماغ عالمًا اذ كان مبداها منه
ومنفعتها لما يرجع اليه وانما يعرف الانسان طبيعه الشي اما حده واما
خاصته التي هو مخصوص بها فلذلك قد يجب علينا ان نعلم ما حد الدماغ
وما الشي الذي هو مخصوص به فنقول ان كل عضو من الاعضا له حدين
احدهما من عنصره اعني من طبيعته والاخر من نوعه اعني من فعله ومنفعته
والدماغ ايضا خاص بخاصتين اي بحدين احدهما كما ذكرنا من طبيعته وهو
ان نقول ان الدماغ عضوًا باردًا ابرد اعضا البدن وارطبها ه والحد الاخر
من فعله والحاجه اليه وهو ان نقول ان الدماغ ابتدى الحس والحركه
الاراديه والسياسه وكلا الحدين خاصان الدماغ دون غيره من الاعضاه
اما الحد الاول وهو ان الدماغ ابرد اعضا البدن وارطبها فانه لا يجد
شيئًا من الاعضا مع الدماغ لانه ليس في البدن عضو ارطب من الدماغ
ولا ابرد منه وذلك لما انا ذاكره لك بعد ايضاح فعل الدماغ ه واما
الحد الثاني القايل ان الدماغ ابتدى الحس والحركه الاراديه

تشريح العين . عن الطبيب العربي حنين بن اسحاق العبادي
القرن التاسع م . (دار الكتب - القاهرة)



أسطرلاب عربي توليدو - اسبانيا - عام ١٠٦٨ للعالم ابراهيم سعيد الساحلي